مُنْيَةُ الطَّالبين

في

تفسيرِ القرآنِ المبينِ

تفسير علمي أدبي يحتوي على أبحاث كلامية وعقائدية وتأريخية وروائية

المجلد السابع والعشرون

الفقيه المحقق

الشيخ جعفر السبحاني

دار جواد الأئمة

الفهرس

تأليف: الفقيه المحقّق: جعفر السبحاني

(الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَ قُرْآن مُبِين) الحجر: ١.

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦) وَالسَّمَاءِ
فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَ
إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَا
أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
(٤٠) وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (٤٢) وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِي
وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ
أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَ

تسمية السورة

سُمّيت السورة في التفاسير بسورة «الذاريات» بحذف الواو، وربّما تُسمّى بسورة «والذاريات» بإثبات الواو، والمشهور هو الأوّل. ووجه التسم

عدد آياتها ومحلّ نزولها

آياتها ستون آية بالإجماع، وهي مكّيّة، كما تشهد لها صياغتها ومضامينها.

أغراض السورة

تركّز السورة على أمرين:

١. التوحيد في الربوبية، وأنّ الله سبحانه هو المدبّر لا الآلهة المزعومة.

٢. المعاد، وإثبات ما وعد الله به من وقوع الحشر، بتوجيه نظرهم إلى دلائل قدرته الباهرة في الأرض والسماء وفي أنفسهم، الدالّة على وحد

هي إنذار قريش وغيرهم من المشركين الذين أشركوا، كهؤلاء الأقوام، في الربوبية وأنكروا المعاد.

وهذه السورة تشارك سورة القمر في كيفية الإنذار، وذكر قصص المنكرين، كما ستقرأ ذلك في تفسير تلك السورة.

سورة الذاريات: الآيات: ١ ـ ٦ (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * ... وَ إِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ).

الآيات: الست الأُولى

(وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلاَتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ).

المفردات

الذاريات: اسم فاعل (ذَرا)، يقال: ذَرت الريحُ الترابَ تذْروه ذَرْواً: إذا طَيّرتْه.

وقراً: الوِقْر: الحِمل الثقيل، ووَقِرت أُذنه بمعنى وقَرَت، أي ثَقُلت، قال تعالى: (وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ)(فصلت: ٥) .

التفسير

أقسم الله سبحانه هنا بأُمور أربعة تأكيداً لقوله: (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ)، وهي تشبه سورة المرسلات حيث أقسم سبحانه فيها بأُمور خمس

النازعات: ٦ .)، فالجواب في جميع هذه السور الثلاث هو: التأكيد على المعاد.

١. (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا):

أي الرياح التي تذرو التراب وغيره.

٢. (فَالْحَامِلاَتِ وِقْرًا) :

أي السحب التي تحمل المطر.

٣. (فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا):

أي الفُلك التي تجري في البحر سيراً سُجُحاً .

٤. (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا) :

أي الملائكة التي تقسّم الأُمور من الأمطار والأرزاق .

وعلى هذا التفسير، فالصفات الأربع لموصوفات أربعة، بخلاف الوجه الآتي إذ عليه صفات أربع لموصوف واحد .

ويؤيّد الوجه الأوّل الرواية المتضافرة عن باب مدينة علم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)ـ أعني: أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ حيث سأله ابـ

قال: (فَالْحَامِلاَتِ وِقْرًا)؟ قال (عليه السلام): السحاب.

قال: (فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا)؟ قال (عليه السلام): السفن.

قال: (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا)؟ قال (عليه السلام): الملائكة .(مجمع البيان: ٩ / ٢٨١. ورواه السيوطي عن الحاكم وقال: صحّحه البيهقي في شعب الإيمان. لا

وروى الصدوق (رحمه الله) في الفقيه: قال الصادق (عليه السلام)في قول الله عزوجل: (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا)قال: «الملائكة تقسّم أرزاق بني آ

وهنا سؤال وهو: أنّه لماذا عطف القسم الثاني والثالث والرابع بالفاء، وهل هناك ترتّب؟ وقد أجاب عن ذلك الزمخشري بقوله: إنّه تعالى أقسـ

ثم إنّ القرآن الكريم وإن نزل بلسان عربي مبين، لكنّه مع ذلك يحتاج في قسم من الآيات إلى بيان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما

وسلم) من الصحابة، عن تفسير الآيات، ومن حقّ السائلين أن يُستقبلوا برحابة صدر، ويعامَلوا برفق ولطف، لأنّهم بصدد فهم القرآن ووع

روى الحافظ الدارميّ في سننه عن أبي النعمان [محمد بن الفضل السدوسي]، عن حمّاد بن زيد، عن يزيد بن حازم، عن سليمان بن يسار

حتى دمي رأسه، فقال (يا أمير المؤمنين) حسبك قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي.(. سنن الدارمي: ١ / ٥٤، ٥٥. ورجال الرواية كلهم ثقات عند نقا

وعن السائب بن يزيد، قال: أُتي عمر بن الخطاب فقيل: (يا أمير المؤمنين): «إنا لقينا رجلاً يسأل عن تفسير مشكل القرآن؟ فقال عمر: ا

سقطت عمامته، فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك، ألبسوه ثياباً واحملوه على قتب وأخرجوه حتى تقدموا به با

٢١١).

أهكذا يتعامل مع مَن يريد أن يتعلّم القرآن؟! وما ذنب رجل يريد أن يفهم ما أنزل الله تعالى في كتابه ليتدبّر فيه، حتى يُصبُّ عليه كلّ ذ

ولو صحّ افتراض أُولئك الذين يسوّغون كلّ مواقف عمر، وأنّه ظهر له من أمر صبيغ فيما يسأل تعنّتاً وعناداً، وأنّ سؤاله لم يكن طلباً للعل

ألا يجدر به، وهو خليفة المسلمين، أن يتعاهده بالتوجيه والإرشاد، أو أن يعنّفه ويوبّخه إذا صحّ أنّه سأل تعنّتاً وعناداً؟

هذا، وقد ورد في رواية عن سعيد بن المسيب أنّ عمر أجاب صبيغاً عمّا سأل عنه (بمثل ما روي عن علي (عليه السلام)في جوابه لابن الك

وهذه الرواية، التي فيها أجوبة عمر، لا يمكن الركون إليها، وذلك:

أوّلاً: لمخالفتها لسائر الروايات، والتي خلتْ من أيّ إشارة إلى أجوبة عمر.

ثانياً: أنّ هذه الرواية ضعيفة، ففي إسنادها أبو بكر بن أبي سبرة، وسعيد بن سلاّم] العطار [، وهما ضعيفان عند نقّاد السنّة.(راجع ترجمة

ثالثاً: أنّ ما ورد فيها من أجوبة لا ينسجم مع سيرة عمر في ضيقه بالسائلين عن معاني القرآن ومشكله، بل كان هو نفسه لا يفقه جملة م

عود على بدء

قد عرفت ما هو المراد من الأقسام الأربعة في ظل الحديث المروي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)وباب علمه (عليه السلام)، وربما يقال

قال الزمخشري: ويجوز أن يراد الرياح لا غير لأنّها تنشئ السحاب وتقلّه وتصرّفه وتجري في الجو جرياً سهلاً وتقسّم الأمطار بتصريف الس

ثم ذكر وجه كون العطف في الثلاثة الأخيرة بالفاء، فقال: فلأنّ الرياح تبتدئ بالهبوب فتذرو التراب والحصباء وتقلّ السحاب فتجري في

ولا يخفى أن الوجه الأوّل هو الأنسب، وسيوافيك هذا الاختلاف في سورتي المرسلات والنازعات.

٥. (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ):

أي إنّ ما توعدون من يوم الجزاء لقول صادق. وهو جواب للقسم وعلى هذا فـ «ما» في قوله: (إِنَّمَا)موصولة، فالأصح أن تكتب مفصولة، أ

٦. (وَ إِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ):

أي إنّ الجزاء أمر واقع محقّق، فالآية الخامسة جواب للقسم، والآية السادسة تؤكّد مضمون الآية الخامسة .

ثم إنّ وجه القسم بهذه الأُمور الأربعة لكونها أُنموذجاً ممّا يدبَّر به الأمر في البرّ وهو (الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا)، وأُنموذجاً ممّا يدبَّر به الأمر في ال
العالم، وهذا بخلاف ما فسّرناه بالرياح فيكون المقسم به أمراً واحداً وهو الرياح.

بقي الكلام في وجه الصلة بين المقسم به والمقسم عليه، والذي يمكن أن يقال: إنّه سبحانه بعدما أقسم بالأُمور التي يتمّ بها أمر التدبير،
الغاية المتمثّلة في يوم الجزاء.

ثم إنّ بعض من لا معرفة له من المادّيين يزعم أنّ القسم بالرياح أمر لا طائل تحته، وهذا جَهْل منه بعظمة دور الرياح والسحاب في الطبي
سمّيت إعصاراً، وقد تصل سرعة الإعصار إلى ٢٤٠ كيلومتراً في الساعة، والرياح هي العامل المهم في نقل بخار الماء وتوزيعه، ومن تكاثف
السيرس الرقيق .

وعندما تكون سرعة الرياح الصاعدة أكثر من ثلاثين كيلومتراً في الساعة، لا يمكن نزول قطرات المطر المتكون، وذلك بالنسبة لمقاوم
الموجبة وتنفصل الكهرباء السالبة التي تحمل الرياح...وبعد مدّة تصير السحب مشحونة شحناً وافراً بالكهرباء. فعندما تقترب الشحنتان
سحابة المطر القاتمة اللون، ثمّ تظهر نقط كبيرة من الماء تسقط على الأرض، وفجأة يشتدّ المطر ويستمرّ حتى تأخذ الأرض ما قدّر الله لها م

الآيات: ٧ ـ ١٤ (وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ * إِنَّكُمْ لَفِي قَوْل مُخْتَلِف... هَذَا الذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) .

الآيات: السابعة إلى الرابعة عشرة

(وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ * إِنَّكُمْ لَفِي قَوْل مُخْتَلِف * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ * قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ * اَلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَة سَاهُونَ* يَسَأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّ

المفردات

الحُبُك: الطرائق، كطرائق الماء الساكن أو الرمل إذا هبّت عليهما الرياح. والحُبُك: الحسن والزينة.

يؤفك: أفك: أي انصرف، والإفك كلّ مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه، ومنه قيل للرياح العادلة عن المهابّ: مؤتفكة.

الخرّاصون: الخَرْص: كلّ قول مقول عن ظنّ وتخمين.

غَمْرة: معظم الماء الساترة لمقرّها، وجُعل مثلاً للجهالة التي تغمر صاحبها.

ساهون: السهو: خطأ عن غفلة.

يفتنون: يقول الراغب: أصل الفَتْن إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته، ويستعمل في إدخال الإنسان النار.

التفسير

أقسم سبحانه في هذه السورة بأقسام خمسة، مرّت أربعة منها، وإليك خامسها، قال:

٧. (وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ):

أي السماء ذات الطرائق المختلفة، وربّما يفسّر بالسماء ذات الحسن والزينة، نظير قوله تعالى: (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ)(الص

٨. (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ):

لأنّ القول المختلف له، أيضاً، طرائق.

ومعنى الآية: (إِنَّكُمْ) ـ أيّها المكذّبون بالنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)وما يدعو إليه ـ على آراء مختلفة وأفكار متناقضة، فتارة ترمون صاح

لائح، فإنّ تناقض المدّعي في كلامه أقوى دليل على بطلانه.

وأمّا الإعراض عن الحق فليس مختصّاً بهؤلاء، بل هو شيمة كلّ مخالف للحق، كما في قوله سبحانه:

٩. (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) :

أي كلّ من صُرف وخالف الحق، يُعرض عن الإيمان بالمعاد والجزاء، أو دعوة الأنبياء.

وحصيلة الكلام: أنّ إعراضهم عن الدعوة نابع عن وجود العناد واللجاج في قبول الحق مطلقاً، سواء أكان من مقولة الدعوة النبوية أم غير

١٠ و ١١. (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ) :

إنّ الذكر الحكيم يصف المشركين في بعض الآيات بالتخرّص ويقول: (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ)(. يونس: ٦٦ .)، ويقول أيض

القول على عواهنه، فيقولون نحن نظنّ أنّه شاعر، أو ساحر، أو مجنون، كلّ ذلك بلا دليل، فاستحقّوا بذلك اللعن والتحقير، كما قال: (قُتِلَ ا

لله تعالى (لاحظ : الزخرف: ١٩.) .

ثم إنّهم وراء كونهم خرّاصين، يسألون، ساخرين مستهزئين، عن وقت يوم القيامة، قال تعالى:

١٢. (يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ):

أي متى يكون يوم البعث والحساب؟ يقولون ذلك على وجه الإنكار والاستهزاء، فأُجيبوا بما يسوءهم من الحقّ الذي لا محالة أنّه نازل بهم

١٣. (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ):

أي يقع يوم البعث، في ذلك اليوم الذي يُعرضون فيه على جهنم ويُحرقون بها، ثم يقال لهم:

١٤. (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) :

فهذا اليوم الذي كنتم تسألون عنه، وتستعجلون به، فإذا رأيتموه بعيونكم فذوقوا عذابه.

الآيات: ١٥ ـ ١٩ (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّات وَ عُيُون ... وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ).

الآيات: الخامسة عشرة إلى التاسعة عشرة

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّات وَ عُيُون * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَ بِالأَسْحَارِ هُمْ يَ

المفردات

يهجعون: الهجوع: النوم ليلاً.

الأسحار: جمع السَّحَر، وهو آخر الليل قُبيل الفجر.

التفسير

لمّا ذكر سبحانه مآل المكذّبين وأحوالهم في يوم القيامة، ناسب أن يذكر مآل المتّقين وأحوالهم وما يُجزَون به في ذلك اليوم، فذكر في المقام أ

١٥ ـ أ. (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّات وَ عُيُون):

إذا كان مصير الخرّاصين هو النار، فمصير المتّقين هو حدائق تجنّها الأشجار بظلالها، وعيون ماء تجري لهم في جنّات الخُلد. وهل المراد أنّ لك

١٦. ب. (آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ):

أي إنّهم في حال كونهم في الجنات، آخذين ما أعطاهم ربّهم من النعيم والكرامة، راضين به وشاكرين .

وقوله: (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ) كأنّه تعليل لقوله: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّات وَعُيُون) والمعنى: أنّهم كانوا في الدنيا ذوي أعمال حسنة، فلذل

١٧. ج. (كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ):

أي كانوا يهجعون كلّ ليلة وقتاً قليلاً ويصلّون في أكثر الليل، ولعلّ الآية تشير إلى قوله تعالى: (قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ

فلاحظ .

هذا إذا قيس القليل من الليل إلى مجموع زمان كلّ ليلة، فيكون المعنى ما ذكرنا من أنّهم يقومون في كلّ ليلة أكثرها.

وأمّا إذا قيس إلى مجموع الليالي فيكون المراد أنّهم يقومون في أكثر الليالي، إلاّ القليل منها الذي تفوتهم فيه صلاة الليل .

ولعلّ المعنى الأوّل هو الأفضل بشهادة قوله:

١٨. د. (وَ بِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) :

أي إنّهم في كلّ سحر يستغفرون لا في أكثر الأسحار، فالاستغفار في عامّة الأسحار، يلازم القيام في عامّة الليالي.

وأمّا وجه الثناء عليهم بالاستغفار في الأسحار، فلأنّ تلك الأوقات أليق للاستغفار لبُعدها عن شائبة الرياء، وحيث إنّ عيون الناس نائمة

١٩. هـ. (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ):

فصِلَتُهم بالله سبحانه محفوظة بالقيام في الليل كما أنّ صلتهم بعباد الله كذلك، حيث يتصدّقون على السائل والمحروم وإن لم يكن سائلا

وهاهنا يتبيّن حال الفريقين، فالكافر يغفل عن الله سبحانه ليله ونهاره ويبخل بماله عن السائل والمحروم، وأمّا المتّقي فعينُه ساهرة في الل

إنّ المحروم هو الفقير الذي يستنكف عن السؤال وفيه يقول تعالى: (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ

وقوله: (حَقٌّ) يعني أنّ لهاتين الطائفتين حقّاً في أموال الأغنياء، فلو قاموا بالإنفاق عليهم فإنّما قاموا بإرجاع حقوق الآخرين إليهم.

إنّ القيام في الليل من خصال المتّقين ودأبهم كما ورد ذلك على لسان إمام المتّقين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حين سُئل عن أوصافهم

أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ

الآيات: ٢٠ ـ ٢٣ (وَ فِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * و ... إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ).

الآيات: العشرون إلى الثالثة والعشرين

(وَ فِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ * وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَ

التفسير

٢٠ و ٢١. (وَ فِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ):

الظاهر أنّ الدعوة إلى دراسة الكتاب الكوني والأنفسي لغاية تحصيل اليقين بأنّ المدبِّر واحد وليس للآلهة المزعومة أي دور في تدبير العالم

وقبل أن ندرس كيفية دلالة الأرض والأنفس على التوحيد في التدبير نذكر شيئاً من دلائل ذلك التوحيد.

وحدة النظام دليل على وحدة المدبّر

إنّ مطالعة كلّ صفحة من صفحات الكتاب الكوني العظيم تقودنا إلى وجود نظام موحّد، وكأنّ أوراق الكتاب التكويني على غرار الكتاب ال

إنّ القوانين والسنن الحاكمة على الموجودات الطبيعية كلّية وشاملة، بحيث لو أُتيح لأحد أن يكشف ناموساً طبيعياً في نقطة من نقاط الكو

إنّ وحدة النظام وشمول السنن تقودنا إلى موضوعين:

١. ليس للعالم إلاّ خالق واحد.

٢. ليس للعالم إلاّ مدبِّر واحد.

وعند ذلك يتجلّى مفاد قوله سبحانه: (أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)(الأعراف: ٥٤) .

إنّ جملة (لَهُ الْخَلْقُ)إشارة إلى التوحيد في الخالقية.

وجملة (وَالأَمْرُ)إشارة التوحيد في التدبير الذي هو نوع من الحاكمية .

وباختصار: إنّ وحدة النظام وانسجامه وتلاحمه لا تتحقّق إلاّ إذا كانالكون بأجمعه تحت نظر حاكم ومدبِّر واحد، ولو خضع الكون لإرادة

وبعبارة أُخرى: لو فرضنا وجود مدبِّرين، فإنْ كانا متساويين من كلّ الجهات ترتفع الاثنينية بينهما وكانا مدبِّراً واحداً، وإن لم يكونا متسا

وحصيلة الكلام: أنّ وحدة النظام وانسجامه وتلاصقه وتماسكه كاشف عن وحدة التدبير والمدبّر في مجموع العالم، وإلى ذلك يشير قوله سب

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «فلمّا رأينا الخلق منتظماً والفلك جارياً واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر، دلّ صحّة الأمر والت

وسأل هشام بن الحكم الإمام الصادق (عليه السلام)عن الدليل على وحدة المدبِّر؟ فقال: «اتّصال التدبير وتمام الصنع كما قال الله عزوجل

ما ذكرنا من التقرير راجع إلى دراسة مطلق الكون سمائه وأرضه وما فيهما من إنسان وحيوان، إلاّ أنّ الآية تركِّز تارة على الأرض وأُخرى ع

أمّا الأرض فإنّ لها حركتين:

الأُولى: حركة وضعية حول نفسها وينتج عن ذلك الليل والنهار.

الثانية: حركة انتقالية ويتمّ ذلك بصورة منتظمة وبشكل بيضوي حول الشمس، وبها تتحقق الفصول الأربعة، ثم إنّ الانسجام بين الحركت

وأمّا الكتاب الأنفسي، فما أجمل قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من عرف نفسه فقد عرف ربّه».

نعم، لو تأمّلنا، فقط، الأجهزة الموجودة في بدن الإنسان، لكان ذلك كافياً للإيمان بالتوحيد في الربوبية، فالنظر إلى مثل الرئتين، والأعصاب،

٢٢. (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ):

لمّا حثّ سبحانه في الآيتين السابقتين على التدبّر في الأرض والنفس،عاد البيان القرآني للحثّ على التدبّر في السماء، ومن المعلوم أنّ المراد م

وأمّا قوله: (وَ مَا تُوعَدُونَ)فالظاهر أنّ المراد به الجنة، لقوله تعالى: (عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى)(النجم: ١٥).

قال السيد الطباطبائي: وقول بعضهم: إنّ المراد به الجنة والنار، أو الثواب والعقاب لا يلائمه قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُو

وعلى هذا، فالآيات الثلاث تحثّ على التدبّر في مجموع الكون من السماء والأرض والإنسان .

٢٣. (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) :

لقد أقسم سبحانه في الآيات المتقدّمة بأُمور خمسة، أربعة منها في صدر السورة، والخامس في الآية السابعة، أعني قوله: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُ

المقسم به هو ربّ هذه الأشياء، وربّما يقال بأنّ المقسم به في الجميع هو ربّ هذه الأُمور، وهو خلاف الظاهر ونوع تفسير بالرأي، فليس ثَمّ

وأمّا جواب القسم فهو قوله: (إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ)، والظاهر أنّ الضمير يرجع إلى ما ورد من كون الرزق وما يوعدون به من ا

وقيل: إنّ الضمير في (إنّه) يعود إلى كلّ ما تقدّمه من الآيات، وعلى هذا يكون المعنى أنّه سبحانه يقسم بجلاله على صدق هذا الحديث كلّه.

ولا بأس أن ننقل بهذه المناسبة، النادرة التالية التي رواها الأصمعي، قال : أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابيّ على قعود(القَعُود: البَكر من ا
وأدبر، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولّى، فلمّا حججت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت دقيق، فالتفتُّ فإذا أنا
لم يصدّقوه بقوله حتى ألجأوه إلى اليمين! قالها ثلاثاً وخرجت معها نفسه .(. تفسير الكشّاف: ٣ / ١٦٩.)

وظاهر القصة أنّ هذا الأعرابي فهم أنّ الضمير في قوله: (إِنَّهُ لَحَقٌّ)يرجع إلى قوله: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ) ولذلك نحر ناقته وكسر قوسه، قائلا

الآيات: ٢٤ ـ ٣٧ (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ... لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ).

الآيات: الرابعة والعشرون إلى السابعة والثلاثين

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْل سَمِين * فَقَ
إِلَى قَوْم مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِين * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَ

المفردات

راغ: الرَّوْغ: الذهاب إلى الشيء في خفية.

صَرَّة: الصَّرّة: شدّة الصياح.

صكّت: الصكّ: الضرب باعتماد شديد.

العقيم: العاقر.

حجارة من طين: طين متحجِّر مطبوخ بالنّار، وهو السِّجّيل .

مُسوّمة: مُعلَّمة.

مُسرفين: السّرَف: تجاوز الحدّ في كلّ فعل يفعله الإنسان، وسمّي قوم لوط (مسرفين) لفجورهم، حيث إنّهم تعدّوا في وضع البذر في الحرث ا

التفسير

لمّا كان النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)يواجه أذى المشركين و تكذيبهم عاد البيان القرآني لتسليته وتطييب خاطره، من خلال الإش

٢٤. (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ):

وصف سبحانه ضيف إبراهيم بالمكرمين للإشارة إلى أنّهم كانوا من الملائكة، كما في قوله سبحانه في حقّهم: (بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لاَ يَسْبِقُ

٢٥. (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) :

فقوله: (سَلاَمًا)بالنصب حاك عن أنّه سدّ مسدّ الفعل، وكأنّهم قالوا: نسلّم عليك سلاماً، ففي الحقيقة سلّموا بالجملة الفعلية، ولكن إبرا
بأحسن ممّا حيّوه به، أخذاً بأدب الله تعالى، كما جاء في قوله تعالى: (وَ إِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّة فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا)(النساء: ٨٦).(. تف
وبما أنّهم ليسوا ممّن عَهِدهم من الناس، قال في نفسه: (قَوْمٌ مُنْكَرُونَ). ولكنّ الزمخشري قال في أحد تأويلاته للآية : كأنّه قال: أنتم قوم

٢٦. (فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْل سَمِين) :

وهنا سؤال وهو أنّه لماذا قال (فَرَاغَ) مكان «فذهب»؟ والوجه في ذلك ـ كما ذكروا ـ هو أنّ من أدب المضيِّف أن يُخفي أمره عن ضيفه وأن يب
ولم يلبث حتّى جاءهم، على عادته في إكرام الأضياف، بعجل (وهو ولد البقرة) سمين مشويّ .

٢٧ و ٢٨. (فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لاَ تَخَفْ وَ بَشَّرُوهُ بِغُلاَم عَلِيم) :

أي قرّب العجل إليهم وقدّمه بين أيديهم ليأكلوا، فلم يمدّوا إليه أيديهم، فقال في استنكار، متسائلاً عن السبب : (أَلاَ تَأْكُلُونَ)؟ وقيل: إنّ

١. ظنّ أنّهم يريدون به سوءاً لمّا رأى إعراضهم عن الطعام.

٢. وقع في نفسه أنّهم ملائكة أُرسلوا للعذاب.(. وقيل في سبب خوفه منهم غير هذين الوجهين. انظر: مجمع البيان: ٥ / ٣٤١.)

ولأجل رفع ما أحسّ به إبراهيم (عليه السلام)من خوف في نفسه، قال الضيوف: (لاَ تَخَفْ وَ بَشَّرُوهُ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ)، وكأنّ الملائكة علموا ما
رأوا عجزه (عليه السلام)عن حمايتهم: (... وَقَالُوا لاَ تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ...)، وقوله تعالى في (الآية ٨١ من سورة هود) حكاية عنهم: (قَالُو
(بَشَّرُوهُ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ) حتى يسرّ بذلك هو وزوجته ويُبدلوا الخوف بالبشارة بأنّه سيولد له من زوجته غلام سيكون عالماً في المستقبل، والمر
١٠٢ .).

٢٩. (فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّة فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَ قَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ):

كانت (سارة) امرأة إبراهيم (عليه السلام)تسمع ما يجري من حديث بين زوجها والملائكة، فلمّا سمعت البشارة أتتْ نحوهم، كما قال: (فَأَقْ
وهذا يدل على أنّ (سارة) كانت عاقراً أيام شبابها، وصارت عجوزاً حين البشارة.
ويظهر من آية أُخرى أنّ ثَمّة وجهاً ثالثاً لتعجّبها وهو هَرَمُ بعلها (أي زوجها)، كما حكى سبحانه: (قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هَذَا بَ
ولكن أُجيبت بقوله سبحانه:

٣٠. (قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ):

أي قالت الملائكة: نحن لا نبشرك من تلقاء أنفسنا بل (كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ)أي مثل ما بشّرناكِ به، حكم وقضى ربُّك بذلك، وإنّكِ ستلدين
وأضافت الملائكة (إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ)أي الحكيم في صنعه. فيضع الأشياء مواضعها، فرزقك الولد أثر حكمته، وهو العليم بخفايا الأ
ثم إنّ هذه البشارة أصبحت سبباً لذهاب الرّوع عن إبراهيم، ولكنّه ابتُلي برَوْع آخر كما يحكي عنه قوله سبحانه: (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ
وهذا هو الذي يحكيه سبحانه في الآية التالية:

٣١. (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ):

أي لمّا وقف إبراهيم (عليه السلام)على أنّهم ملائكة الله سبحانه وأنّهم لا ينزلون إلاّ باذن الله رسلاً في بعض الأُمور، سألهم عن شأنهم ونز

٣٢. (قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ) :

أي أُرسلنا إلى قوم عاصين لله كافرين بنعمه استحقّوا العذاب والهلاك، يعني قوم لوط، ثم بيّنوا كيفية تعذيبهم وإهلاكهم بقولهم:

٣٣ و ٣٤. (لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ):

وقد فسّرت الآية في سورة هود حيث قال: (وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَ مَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)(
ثم إنّه سبحانه وصف قوم لوط بالمسرفين، وقد مرّ أنّ الإسراف هو تجاوز الحدّ، وقد تجاوزوا الحدود في إعمال القوة الجنسية.
إلى هنا تمّ الحوار بين إبراهيم (عليه السلام)والملائكة، إلاّ أنّ البيان القرآني عاد إلى بيان بقية القصة، وبيّن أنّ العذاب الإلهي كان مختصّاً ب

٣٥. (فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ):

نسب الإخراج إلى الله سبحانه تسبيباً، لأنّه أمر نبيّه لوطاً، بإخراجهم، والضمير في قوله (فِيهَا)يرجع إلى القرية المعلومة من السياق، وقال (

٣٦. (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) :

أي فما وجد فيها غير بيت واحد ممّن آمن بلوط، وهو بيته (عليه السلام)لا غير، بشهادة قوله سبحانه: (وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ نَجَّيْنَاهُ
فالمستفاد من قوله: (ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ) هو استئصال الجميع غير أهله.
ثم إنّ القرآن المجيد تارة يستعمل الإيمان والإسلام بمعنى واحد كما في المقام حيث قال: (مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)، وقال: (غَيْرَ بَيْتٍ م
ثم إنّ هذا النوع من الاستعمال محفوف بالقرينة وهي أنّ إنجاءهم دليل على دخول الإيمان في قلوبهم، وأنّ وصفهم بالإسلام هو بمعنى التس
وأُخرى يستعمله في التسليم اللساني دون القلبي، فيكون الإسلام والإيمان أمرين متقابلين في مورد الأعراب وهم الذين أسلموا باللسان د
سبحانه بقوله: (قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) (الحجرات: ١٤.).

ولمّا كان في إهلاك المجرمين عبرة للآخرين فإنّه سبحانه أهلكهم وجعل عاليَ قريتهم سافلها ومع ذلك أبقى فيها آية لتكون عبرة للآخرين

٣٧ . (وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ):

وأمّا ما هي الآية؟ فلربّما تفسر بصخر منضود فيها، وأُخرى بماء أسود منتن. وقد شاهدت في رحلتي إلى الأردن فوق الجبل صخرة كبيرة

كما ترك أيضاً بدن فرعون، من بعدُ، وأبقاه آية وعبرة للناس، قال تعالى: (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّ

ثم إنّ العبرة بهلاك الآخرين هي المحور الذي يدور عليه أغلب آيات هذه السورة.

الآيات: ٣٨ ـ ٤٠ (وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ... فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ) .

الآيات: الثامنة والثلاثون إلى الأربعين

(وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ) .

المفردات

ركنه: رُكن الشيء: جانبه الذي يسكن إليه، وربما يستعار للقوّة، قال تعالى: (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ)(هود: ٨٠) .

مُليم: اللَّوم: عَذْل الإنسان بنسبته إلى ما فيه لَوم، يقال: لُمته فهو ملوم. والمُليم: هو الذي أتى بما يلام عليه. وإن شئت قلت: الذي يجعل غ

التفسير

بدأ سبحانه في هذه الآيات بذكر المشهد الثاني الذي فيه أيضاً آية وعبرة للذين يخافون العذاب الأليم يوم المعاد، وهذا المشهد يدور حول ق

٣٨ . (وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ):

قوله: (وَفِي مُوسَى)عطف على قوله: (فيها) في الآية السابقة ـ أعني:

(وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) ـ وعلى هذا فالمعنى: وتركنا في قصة موسى آية للذين يخافون العذاب الأليم.

(إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) أي بحجج واضحة ودلائل مشرقة تدلّ على صدق رسالته، ولكنّه مكان أن يؤمن به أظهر الكِبْر كما

٣٩. (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ):

أي أعرض عن الإيمان بدلائل موسى ومعاجزه، وتولّى بركنه أي بجانب بدنه كناية عن الإعراض ، أو تولّى بجنوده، (وَقَالَ)ـ ظلماً وزوراً

وصدّهم عن الاستماع لدعواتهم ونصائحهم.

والله سبحانه يمهل ولا يهمل، ولذلك أخذه أخذ عزيز مقتدر كما يقول:

٤٠. (فَأَخَذْنَاهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَ هُوَ مُلِيمٌ):

أي وهو ملوم إمّا من جانب موسى ومَن آمن به؟ أو من جانب نفسه، كما يظهر من قوله عندما أحاطت به مياه اليمّ : (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

وقد ترك سبحانه في قصة موسى آية لمن يخافون العذاب الأليم، حيث غشيت أمواج البحر فرعون وجنوده وأُغرقوا جميعاً في لحظات معدو

الآيات: ٤١ ـ ٤٢ (وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ...تَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ) .

الآيتان: الحادية والأربعون والثانية والأربعون

(وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ) .

المفردات

العقيم: العقيم من النساء من لا تحمل ولا تلد، والريح العقيم هي الريح الّتي لا تلقّح شجراً ولا تثير سحاباً، أي لا فائدة فيها.

الرميم: العظم البالي. قال تعالى: (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ)(يس: ٧٨).

وربما يراد بها هنا الشيء المتفتت.

التفسير

هذا هو المشهد الثالث الذي يعرضه القرآن الكريم للاعتبار.

٤١. (وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ):

قوله: (وَفِي عَادٍ)عطف على: (فيها) في قوله: (وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً) أي وفي قصة عاد آية للذين يخافون العذاب الأليم، ووجه العبرة أنّه سبحانه

٤٢. (مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ):

أي ما تَدَعُ شيئاً تمرّ عليه إلاّ جعلته كالعظام البالية أو المتفتتة.

ومن المعلوم أنّ المراد ما يقبل البِلى والتفتّت وهي أجسادهم وأجسام دوابهم، لا الجبال والأحجار، وغير ذلك .

الآيات: ٤٣ ـ ٤٥ (وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى ... فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَ مَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ).

الآيات: الثالثة والأربعون إلى الخامسة والأربعين

(وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِين * فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ * فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَ مَا كَانُوا مُنْتَصِ

المفردات

عَتَوْا: العتوّ عن الأمر: مخالفته على وجه التهاون به والاستكبار عن قبوله.

التفسير

هذا هو المشهد الرابع الذي يعرضه القرآن الكريم للاعتبار وهو خاص بثمود قوم صالح (عليه السلام)، وقد ذكر هذا المشهد بعد المشهد الثا

٤٣. (وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ):

والكلام في قوله: (وَفِي ثَمُودَ) هو نفس الكلام في قوله: (وَفِي مُوسَى)وقوله: (وَفِي عَادٍ) أي وتركنا في قصة ثمود آية للذين يخافون العذاب الألي

والظاهر من الآية أنّ نبيهم «صالحاً» بشّرهم بالتمتّع بنعم الله إلى حين معيّن: (إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ)، والغاية هي بيان نعم الله سب

وقد ورد نظير ذلك في خطابه سبحانه لقريش، قال سبحانه: (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى)(

نعم جاء الوعيد في آية أُخرى حينما ثبت عنادهم ولجاجهم بعد أن عقروا الناقة فقال: (تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوب

والذي يدلّ على ما ذكرنا هو قوله:

٤٤. (فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ) :

ووجه الدلالة أنّ حرف الفاء يدلّ على الترتيب وأنّ الخطاب بالتمتّع كان قبل عتوّهم، فلمّا عتوا واستكبروا عن امتثال أمر الله أخذتهم الص

٤٥. (فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَ مَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ):

أي ما استطاعوا الدفاع عن أنفسهم، وهو من قولهم: ما يقوم فلان بكذا، إذا عجز عن دفعه، كما لم يجدوا ناصراً ينصرهم.

الآية: ٤٦ (وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ).

الآية: السادسة والأربعون

(وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ).

المفردات

فاسقين: من الفِسق وهو الخروج، يقال: فَسق (بفتح السين وضمّها) الرُّطَب إذا خرج عن قشره، والمراد بالآية هو الخروج عن طاعة الله و

التفسير

٤٦. (وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ):

هذا هو المشهد الخامس الذي يعرضه القرآن للاعتبار.

غير أنّ في قوله: (وَقَوْمَ نُوحٍ)وجهان، فالقراءة المشهورة هي نصب قوم، وعلى هذا يكون منصوباً بفعل محذوف تقديره «اذكر» ولا يكون مع

ثم إنّ وصف قومه بالفسق دليلاً على سبب إهلاكهم.

ولم تذكر الآية شيئاً عن كيفية إهلاكهم اعتماداً على ما جاء في كثير من السور.

بقي هنا أمران:

الأوّل: أنّه سبحانه أهلك قوم لوط بالحجارة، وفرعون بالغرق في اليمّ، وقومَ عاد بالريح، وقوم ثمود بالصاعقة، وقوم نوح بالطوفان، والعجب

قال الرازي: وفيه إشارة إلى أنّه تعالى إذا عذّب قدر على أن يعذّب بما به البقاء والوجود وهو التراب والماء والهواء والنار، فحكايات لوط تدلّ

الثاني: أنّ صاحب الكشّاف فسّر ترتيب القصص الأربع بما عرفت.

يلاحظ عليه: بأن تفسيره غيرُ تامٍّ من وجهين:

أوّلاً: أنّه مبني على العلوم الموروثة طبقاً للهيئة البطليموسية، حيث قالوا بالكرات الأربع وأنّ كرة الأرض محاطة بكرة الماء وهي محاطة بـ

ثانياً: أنّه سبحانه في سورة القمر ذكر تلك القصص تبعاً للتسلسل الزمني، فبدأ بقصة نوح، حيث قال: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوح فَكَذَّبُوا عَـ

بِالنُّذُرِ)(القمر: ٣٣ .)، وانتهى إلى قصة آل فرعون فقال: (وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ)(القمر: ٤١ .)، وعندئذ يقع الكلام ما هو وجه الاختلاف

والذي عندي في تقديم قصة لوط هو أنّه لمّا بدأ في سورتنا هذه بقصة إبراهيم ونزول الملائكة عليه لإهلاك قوم لوط، ناسب أن يذكر قصة

الآيات: ٤٧ ـ ٤٩ (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْد ... وَمِنْ كُلِّ شَيْء خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

الآيات: السابعة والأربعون إلى التاسعة والأربعين

(وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْد وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ * وَمِنْ كُلِّ شَيْء خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

المفردات

أيد: اليَد: الجارحة، أصله يدي، لقولهم في جمعه أيد ويديّ، ثم إنّ اليد بمعنى الجارحة تستعمل بمعنى القوّة والمنعة، وعندئذ تجمع على (أيدي

الله برّ والأيادي شاهدة *** ....

وربّما لا يفرق بين الأيدي والأيادي في الاستعمال وهو خطأ، فيقال: توارُد الأيادي على مبيع، والصحيح أن يقال: توارد الأيدي عليه، ثم إ

٥٥١، مادة«يد») .

التفسير

لمّا فرغ سبحانه عن بيان ما حلّ بالأقوام السابقة من العذاب والتنكيل الذي لا يفارق القدرة العظيمة، أشار إلى بعض مظاهر قدرته سبـ

٤٧. (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْد وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ):

ولعلّ الوجه في الإشارة إلى مظاهر القدرة هو ردّ زعم المشركين الذين يعدّون إحياء الأموات أمراً مستحيلاً فالله سبحانه يشير إلى موضع

ثم إنّه سبحانه يخبر في تلك الآية عن حقيقة علمية أذعن بها العلم في العصر الحاضر وهي أنّ السماء لم تزل في سبيل التوسعة، كما قال:

والجملة الإسمية: (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)تدلّ على الاستمرار، وفي ذلك تعريض باليهود الذين قالوا إنّ الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام واس

وأمّا كيفية توسعة السماء، فيكفي في ذلك ما يقوله أهل الاختصاص: إن الفضاء يتمدّد بين المجرّات باستمرار، وأنّ حجم الفضاء العالمي يـ

يقول جورج جاموف في كتاب «خلق العالم» في هذا الصدد: إنّ فضاء العالم المتشكّل من مليارات المجرّات في حالة انبساط سريعة، والحـ

العالم ونهايته: ٧٤ ـ ٧٧ .)

يقول المغفور له الشيخ محمد جواد مغنية: إنّ هذه الآية الكريمة أصدق شاهد على أنّ معجزة محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله وسلم)هي

ثم أشار سبحانه إلى مظهر آخر من مظاهر قدرته التي يتمتع بها البشر، وقال:

٤٨ . (وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ) :

أي جعل الأرض مبسوطة ممتدّة لتستقرّوا عليها، وتنتفعوا بطرقها وأنواع مزروعاتها. ثم إنّه سبحانه يثني على نفسه في هذا العمل فيقول: (

ومن لطائف التعبير في الآية أنّه جمع بين فرش الأرض وجعلها مهداً، فإن مقتضى كونها مسطحة أن تكون ساكنة صالحة للاستقرار والز

٤٩. (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ):

والآية تدلّ على أنّ كلّ ما يصدق عليه شيء في هذا العالَم، فهو زوج لا فرد، فلا فرق بين الإنسان والحيوان والنبات والجماد لأنّ الجميع واق

لا يمكن لإنسان عاش في ذلك الوقت وفي تلك البيئة أن يتكلّم بضرس قاطع بأنّ الله سبحانه خلق من كلّ شيء زوجين بعد ما كانت الزو

القدماء يفسّرون الآية بشكل آخر ويقولون: أي خلقنا من كل شيء صنفين مثل: الليل والنهار، والأرض والسماء، والشمس والقمر، والجنّ

يلاحظ عليه: أنّ الآية تشير إلى معنى أدقّ من ذلك.. إلى زوجية مشهودة في كلّ ما خلق الله سبحانه من كائنات ، وعلى هذا فيمكن أن

يحملها الإلكترون، وشحنة موجبة يحملها البروتون، وثمة جُسيم أساسي ثالث في الذرة، يسمّى النيوترون، وهو غير مشحون، وبذلك تكو

وهذا لا يغني أنّني أقول بأنّ المراد من الآية هو هذا، بل يشبه أن يكون هذا أيضاً مقصوداً من القرآن.

هذا، وإنّ التدبّر في العالم وكون كلّ شيء زوجاً يورث العلم بعظمة القدرة، وأنّ ما يستحيله البشر من إحياء الأموات أمر سهل عليه.

الآيات: ٥٠ ـ ٥٥ (فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ... وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ).

الآيات: الخمسون إلى الخامسة والخمسين

(فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ * وَلاَ تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ * كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إ

المفردات

تواصَوا: من التواصي، وهو إيصاء بعض القوم إلى بعض بوصيّة.

التفسير

٥٠. (فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ):

أخذ البيان القرآني ـ بعد إيراد قصص بعض الأُمم التي أخذها سبحانه بعذاب الاستئصال بسبب عتوّهم عن أمر الله وتكذيبهم بأنبيائه

يستظلّ الإنسان بظلّ التوحيد وما لم يتّبع أمره سبحانه ويعمل بطاعته، فليس له أمن وأمان.

ثم نهاهم سبحانه، فقال:

٥١. (وَلاَ تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ):

فالمشرك بكفرانه لنعمة الله سبحانه لم يزل غير آمن من عقابه وغضبه، ولذا أُمر بالفرار إلى توحيده، وأن لا يجعل مع الله إلهاً آخر، ويشر

ومع هذه الإنذارات المتكرّرة من قبل الأنبياء لم يزل العتاة من المشركين في موقف العناد ورفض الدعوة الإلهية واتّهام الرسل والأنبياء بته

٥٢. (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ):

وهذه شنشنة نعرفها مِن كلّ مَنْ رأى اتّباع المصلحين مخالفاً لهواه ولم يستطع أن يتّهمهم بسوء الأعمال والأفعال فالتجأ إلى هذه التمويهات

وقد شاع اتّهام الأنبياء بذينك الوصفين عبر القرون وبين الطوائف المختلفة، فكأنّ كلّ فئة سابقة أوصت لاحقتها أن يتّهموا أنبياءهم بتي

٥٣. (أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ):

والاستفهام هنا للتعجيب من اتّفاقهم على اتّهام الرُّسل بالسحر والجنون، حتّى كأنّ هناك تواص بين السابقين واللاحقين بذلك! ثمّ أضرب ع

وعند ذلك فليس أمام المصلح إلاّ طريقان:

الأوّل: التولّي عن المعاند الذي لا يؤثر فيه نصح الناصح، كما قال:

٥٤. (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ):

والتولّي عنهم إمّا لعدم الجدوى في الدعوة.

وإمّا لأنّه (صلى الله عليه وآله وسلم)ليس بملوم أي ليس مسؤولاً عن أقوالهم وأفعالهم بعد إتمام الحجة عليهم.

الثاني: حفظ الصلة مع المؤمنين وتبليغ القرآن لهم، وما هذا إلاّ تنفيذاً لقوله تعالى:

٥٥. (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ):

فإنّ الأرض الصالحة للإنبات تنتفع بالماء والبذر الصالح وتعطي ثماراً طيّبة، وهكذا نفس المؤمن فإنّها تنتفع بتذكير الرسول. قال سبحانه:

الآيات: ٥٦ ـ ٦٠ (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الإِنْسَ ... فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الذِي يُوعَدُونَ).

الآيات: السادسة والخمسون إلى الستين

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْق وَ مَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ * فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَ

المفردات

الرزّاق: كثير الإرزاق.

القوّة: القدرة.

المتين: الشديد.

ذَنوباً: الذَّنوب: الفرس الطويل الذَّنَب، والدّلو العظيمة، وإنّما قيل لها ذَنوب لأنّها في طرف الحبل، كأنّها في الذَّنَب، واستعير للنصيب والسهم

التفسير

٥٦. (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ):

لمّا أُمر المشركون بالفرار من الشرك إلى التوحيد أو بالإقلاع عن الجحود بالبعث إلى الإيمان به، جاءت هذه الآية تفسيراً للوجه الأوّل، وأنّ

أيضاً، ثم إنّ كثيراً من المفسّرين يفسّرون العبادة بالخضوع، أو نهاية الخضوع، وغير ذلك من المعاني، وهي تفاسير ناقصة إذ ليس الخضوع

وعلى هذا لابد من تفسير العبادة بشيء يميّزها عن الخضوع والطاعة والخشوع وما يرادف ذلك، وقد أوضحنا معنى العبادة في كتابنا «مف

مفهوم العبادة: هي الخضوع اللفظي أو العملي الناشئ عن الاعتقاد بأُلوهية المعبود، والشاهد على ذلك أنّ كثيراً من الآيات تأمر بعبادة اللّ

بإله؟ وكيف تتركون عبادة الله وهو الإله الذي يجب أن يعبد دون سواه؟!

والإله في التعريف يساوق ويرادف لفظ الجلالة، غير أنّ الثاني علَم، والإله اسم جنس.

ويمكن أن تعرَّف العبادة بالتعريف التالي: العبادة هي الخضوع لشيء على أنّه ربٌّ .(البيان للسيد الخوئي: ٥٠٣ .)

فالمقصود من لفظة الربّ هو المالك لشؤون الشيء المتكفّل بتدبيره وتربيته، والشاهد على ذلك (أي على أنّ العبادة هي الخضوع النابع عن ا

ومن المعلوم أنّ تعليق الحكم بالوصف مشعر بالعلّيّة.

ويمكن أن تعرّف العبادة بتعريف ثالث، وهو: الخضوع أمام مَن يُعتقد بأنّه يملك شأناً من شؤون وجوده وحياته وآجله وعاجله.

ولعلّ مرجع التعاريف الثلاثة إلى شيء واحد، فتكون النتيجة أن العبادة متقوّمة بأمرين:

الأوّل: ما يرجع إلى الجوارح وهو الخضوع بالرأس واليد والبيان وغيرها .

الثاني: ما يرجع إلى اعتقاد الخاضع بأنّ المخضوع له إمّا خالقه أو ربّه، أو بيده شأن من شؤون حياته في الدنيا والآخرة.

فلو تجرّد الخضوع عن هذا الاعتقاد لأصبح تكريماً واحتراماً لا عبادة.

وبذلك تقدر على الإجابة عمّا يثيره الوهابيون حول تقبيل الضرائح والأبواب والجدران وكلّ ما يمتّ للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)بصلة، وليس ا

ومن أفضل ما عرّفت به العبادة ما ذكره ابن عاشور، قال:

ومعنى العبادة في اللغة العربية قبل حدوث المصطلحات الشرعية دقيق الدلالة، وكلمات أئمة اللغة فيه خفيّة والذي يستخلص منها أنّها: إ

السؤال الأوّل: إنّه سبحانه يعلّل في هذه الآية سبب الخلق، وأنّه خلق الخلق لأن يُعبد، ولكنّه سبحانه يذكر في آية أُخرى سبب الخلق بأ

حسن العمل ـ هدفاً ثانياً للخلق، وفي آية ثالثة يذكر أنّ رحمته بالناس هي غاية الخلق، قال سبحانه: (وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِد

والجواب: أنّ الغرض الأصلي للخلق هو العبادة التي لا تنفكّ عن معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته، ومع ذلك فكلّ من الاختبار الذي ت

أمّا العبادة فلا يراد منها مجرد الخضوع الظاهري، بل المطلوب هو الخضوع النابع عن معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته، وأنّه الخالق دو

فمَن عرف الله سبحانه بهذا النحو من المعرفة يكون عمله خالصاً لله سبحانه في مجال الحياة، وعلى هذا فكلّما ارتقى الإنسان في درجات ا

وأمّا الثاني أي كون الرحمة والاختبار من آثار العبادة، فلأنّ العبد إذا عبد الله سبحانه يستحق الرحمة ـ على القول بأنّ الجزاء بالاستحقاق ـ

فتصبح التعابير الثلاثة أمراً واحداً.

السؤال الثاني: ربما يقال أنّه سبحانه إذا كانت غايته من خلق الجنّ والإنس هي العبادة، فلماذا لم تتحقّق تلك الغاية في كثير من الجنّ والإ

والجواب: أنّ الإرادة هنا إرادة تشريعية لا تكوينية، بمعنى أن إرادته التكوينية تعلّقت بالخلق، وأمّا إرادته المتعلّقة بعبادة الناس فتشريعي

السؤال الثالث: يظهر من بعض الآيات أنّه سبحانه خلق بعض الخلائق لنار جهنم، حيث قال: (وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْس

والجواب: من المعلوم أنّ اللام ليست لام الغاية بل هي لام العاقبة، كما في قوله سبحانه: (رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ زِينَةً وَ أَمْوَالاً فِي ا

ومن المعلوم أنّه سبحانه لم يؤتهم الأموال لغاية الضلال والإضلال ، وإنّما صارت عاقبة أمرهم أنّهم يضلّون عن سبيل الله.

ونظيره قوله تعالى في قصة موسى (عليه السلام): (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا)(القصص: ٨).

ومن المعلوم أنّ فرعون وزوجته لم يتّخذا موسى (عليه السلام)ليكون ـ في المستقبل ـ عدواً لهما ولكنْ صارت عاقبة الأمر كذلك، ومثلهم

السؤال الرابع: ذكر الرازي أنّ فعل الله تعالى ليس لغرض وإلاّ كان بالغرض مستكملاً وهو في نفسه كامل، فكيف يفهم لأمر الله الغرض و

وقد أطال الكلام ـ في تفسيره ـ في معنى قوله تعالى: (لِيَعْبُدُونِ) وذكر أنّ للاّم معاني، ولكنّه غفل عن أنّ تجريد فعل الله عن الغرض يوجب

وقال سبحانه: (وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لاَتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ)(الأنبياء: ١٦ و ١٧

فالفعل المجرَّد عن الغرض فعل اللاعب واللاهي، والله الحكيم منزَّه عنهما، وما ذكره بصورة البرهان من أنّه لو كان فعله تابعاً للغرض يلزم

وبعبارة أُخرى: فرْق بين أن يقال: الفاعل ذو غرض، وبين كون الفعل ذا غاية، والاستكمال إنّما يلزم على الأوّل دون الثاني. وهذا نظير إنس

والرازي أحد العلماء المفكّرين ولكنّ تقيّده بمذهب الأشعري ساقه إلى اتّخاذ الموقف السلبي في كون أفعال الله سبحانه تابعة للغرض أو

٥٧ و ٥٨. (مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْق وَ مَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ) :

لمّا كان ثمّة مَن يتوهّم أنّه سبحانه محتاج إلى عبادة الجنّ والإنس، غافلاً عن أنّ العبادة سبب لتكامل العابد ولا يرجع نفعها إلاّ إليه لا إلى

١. (الرزاق).

٢. (ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ).

ومفاد الحصر المفهوم من قوله: (إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ) هو أنّه لا رازق سواه كما أنّ مفاد قوله: (ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) أنّه لا صاحب قدرة تامّة، و

القرب، فالإنسان إذا تقرّب إلى موجود كامل يتكامل شيئاً فشيئاً. ثم إنّ العبادة لها صورة ولها معنى، فالصورة قائمة بالعمل بالأركان، وأمّا الم

فإن قلت: لماذا كرّر ذكر الإرادة، وقال: (مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْق) ثم قال: (وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ) ؟

قلت: إن الإنسان تارة يطلب مالاً من شخص ليشتري به الطعام، وأُخرى يطلب نفس الطعام، فبما أنّ الرزق في الآية بمعنى المال، يصحّ ت

٥٩. (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلاَ يَسْتَعْجِلُونِ):

قد ذكرنا في صدر السورة بأنّ الغاية القصوى من آيات هذه السورة هي إنذار المشركين من أن يكون مصيرهم كمصير السابقين من أقوا

مثل نصيب السابقين، فكما شمل العذاب أُولئك (أَصْحَابِهِمْ) فسيشملهم سهم منه، فلا وجه للاستعجال (فَلاَ يَسْتَعْجِلُونِ).

وأمّا التعبير بـ (أَصْحَابِهِمْ) عن الأُمم الماضية فبحكم كونهم ملّةً واحدة في التكذيب والظلم والطغيان.

وحاصل الآية: أنّ لمكذّبي الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)نصيباً من العذاب مثل نصيب الأُمم الماضية الهالكة، فلا وجه لأن يستع

٦٠. (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الذِي يُوعَدُونَ):

والتعبير بالكفر في هذه الآية وبالظلم في الآية المتقدّمة دليل على أنّ المراد من الظلم هو الكفر، وفي هذه الآية دليل على أنّ نصيب هؤلاء

وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ

(١٥) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ

كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ

(٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُ

يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِنْدَهُ

يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧) وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَ

تسمية السورة

سُمّيت هذه السورة بسورة «الطور»، بحذف واو القسم.

عدد آياتها ومحلّ نزولها

عدد آياتها تسع وأربعون آية في عدّ الكوفي والشامي، وثمان وأربعون آية في عدّ البصري، وسبع وأربعون آية في عدّ المدني .(مجمع البيان: ٩ /

وهي مكّية بالإجماع، وتشهد لها صياغتها ومضامينها.

أغراض السورة

إنّ هذه السورة تشارك السورة السابقة لها في التركيز على إنذار المكذّبين، وبيان مصيرهم ثم بيان مصير المتّقين، والتنديد بمَن يصف النبي(

وقد تكرّرت لفظة «أم» الإضرابية عشر مرّات، كما سيتضح .

سورة الطور: الآيات ١ ـ ٨ (وَالطُّورِ * وَكِتَاب مَسْطُور ... إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِع).

الآيات: الثمان الأُولى

(وَالطُّورِ * وَكِتَاب مَسْطُور * فِي رَقّ مَنْشُور * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَا

المفردات

الطور: اسم لكلّ جبل. والطور: اسم جبل بعينه، يُعرف بـ : طور سينين، ويقال له: «طور سيناء».

مسطور: من السَّطْر وهو الصفّ من الكتابة، يقال: سطّر فلان كذا أي كتب سطراً سطراً.

رَقّ: ما يكتب فيه، من جلد رقيق أو ورق.

منشور: من النشْر وهو البسْط والتفريق، يقال: نشَر الثوب والصحيفة أي بسَطهما.

المعمور: من العمران.

المسجور: من السَّجْر وهو تهييج النار، يقال: سجرَ التنور. وربّما يفسّر المسجور بالمملوء.

التفسير

أقسم سبحانه في صدر السورة بأُمور خمسة وجاء جوابها في قوله:

(إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ)، فاللازم تبيين المقسم به أوّلاً، ثم بيان الصلة بين الأقسام وجوابها.

نعم مفاد المقسم عليه أمر واضح.

١. (وَالطُّورِ):

أقسم سبحانه بطور سيناء الذي ناجى فيه موسى (عليه السلام)وأنزل عليه الألواح وقال: (وَالطُّورِ). وأمّا تفسيره بمطلق الجبل فلا يناسب

٤٦ ؛ والتين: ٢.)

٢. (وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ):

الظاهر أنّه إشارة إلى كتاب موسى (عليه السلام)ـ أعني: التوراة، التي تكتب في الرَّقّ وتُنشر للقراءة ـ وكان مسطوراً بقلم القدرة الإلهية.

السماء، والأوّل أنسب بالنسبة إلى الطور، كما هو أنسب بالآية التالية:

٣. (فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ) :

أي فيما يُكتب من الجلد والورق وينشر عند القراءة، ثم يُطوى.

والقسم بهذه الأُمور الثلاثة لأجل وجود التناسب بينها، فالطور: محلّ نزول الوحي، وكتاب مسطور: هو الألواح النازلة على موسى (عليه الس

ذكر ابن طاووس دعاء مروياً عن فاطمة الزهراء (عليها السلام)وقد جاء فيه: «الحمد لله الذي خلق النور وأنزل النور على الطور، في كتاب

ثم إنّ المراد من التوراة المقسم بها هو التوراة الصحيحة التي لم تمسّها يد التحريف، وهي التي وصفها سبحانه بقوله: (قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ

التجسيم والتشبيه، ولم يكتفوا بذلك بل نسبوا إلى الأنبياء ما ننزّه القلم عن ذكره، وإن كنت في شكٍّ من ذلك فلاحظ قصة النبي لوط مع

٤. (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) :

لعلّ المراد به الكعبة المشرّفة، فإنّها أوّل بيت وضع للناس ولم يزل عامراً منذ أن وضعه للناس سبحانه إلى يومنا هذا. قال تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَ

كما أنّ وصفه بالعمارة لكونه معموراً بالحجّاج الطائفين فيه. وقد فُسّر في الروايات ببيت في السماء إزاء الكعبة (يُسمّى الضُّراح) تزوره الم

٥. (وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ) :

أُريد به السماء، قال سبحانه: (وَ السَّمَاءَ رَفَعَهَا وَ وَضَعَ الْمِيزَانَ)(الرحمن: ٧ .)، وقال تعالى: (اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)(الرع

٦. (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ):

أي المملوء (وهو أنسب شيء يذكر مع السماء في مشهد.. في انفساحه وامتلائه وامتداده. وهو آية فيها رهبة ولها روعة، تؤهلاّنه للذكر مع

سبحانه: (وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ)(التكوير: ٦ .)، وقوله تعالى: (وَ إِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ)(الانفطار: ٣.).

ثم إنّ الأقسام الثلاثة الأُولى يجمعها شيء واحد وهو صلتها بالوحي وخصوصياته، حيث إنّ الطور هو محلّ نزول الوحي، والكتاب المسطور

وأمّا القَسَمان الآخران ـ أعني: السقف المرفوع والبحر المسجور ـ فهما من الآيات التكوينية ومن دلائل توحيده ووجوده وصفاته.

ثم إنّ التأمل في الأربعة الأُولى ـ أعني: (الطور، وكتاب مسطور، في رق منشور، والبيت المعمور، والسقف المرفوع) ـ تبعث في الإنسان معن

٧ و ٨ . (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِن دَافِعٍ):

الآيتان هما المُقسَم عليه، فتدلاّن على أنّ عذاب المشركين والمكذِّبين من الأمر المحتوم الذي لا محيص عن وقوعه، ولذلك قال سبحانه: (

بقي الكلام في الصلة بين المقسم به ـ على تعدّده ـ والمقسم عليه، وهو أنّ المقسم عليه عبارة عن وقوع العذاب لا محالة وعدم القدرة على

هذا الخبر.. إنّ عذابه لواقع، وليس له دافع يدفعه عن المجرمين فينجيهم منه إذا حلّ بهم .

الآيات ٩ ـ ١٦ (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ... إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

الآيات: التاسعة إلى السادسة عشرة

(يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا * فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ * يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هَذِهِ ا

المفردات

تمور: المَوْر: الجريان السريع.(المفردات للراغب: ٤٧٨، مادة«مور».) وفي التبيان: تردُّد الشيء بالذهاب والمجيء كما يتردّد الدخان ثم يضمحلّ.(ا

الخَوض: الدخول في الماء بالقدم، وشُبِّه به الدخول في الأمر بالقول، ولكن غلب استعماله في الخوض في الكلام الباطل والكذب، قال تعالى:

دعّاً: الدعّ: الدَّفع العنيف .

التفسير

٩ و ١٠. (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا):

إنّ الآيتين تصفان مشهداً مروّعاً من مشاهد القيامة، وهو اضطراب السماء بكواكبها، واختلال نظامها عند القيامة كما يقول: (يَوْمَ تَ

السائد الآن، فلا تبقى السماء سماءً ولا الأرض أرضاً، وفي هذه الحالة يسوء الأمر على الكافر المكذِّب بيوم البعث، ويكون محكوماً بالويل.

١١. (فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) :

وقد أُريد بـ «ويل» منتهى سوء الحال، حيث يرى الجاحدون أمامهم ما أخبر به الرُّسل بوحي من الله، وكانوا هم ينكرون ذلك وينسبونه إلى

ثم ذكر من صفة هؤلاء:

١٢. (الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ):

أي كانوا يستهزئون بوعود الأنبياء وإنذاراتهم ويستخفّون بها لا مرّة واحدة، بل كان ذلك ديدنهم وشغلهم الشاغل.

١٣. (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا):

لمّا مضى في الآيات المتقدّمة الإخبار عن سوء حال المكذِّبين في يوم خاص، بدأ البيان القرآني بتعيين ذلك اليوم وما يجري فيه، فسوء الحال

قال مقاتل: تُغلّ أيديهم إلى أعناقهم وتُجمع نواصيهم إلى أقدامهم ثم يُدفعون إلى جهنم دفعاً على وجوههم .

١٤. (هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ):

ثمّ إذا دنوا من نار جهنم خوطبوا بالقول: (هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ)في الدنيا، حين أنكرتم الحشر والحساب والجزاء.

١٥. (أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ) :

فعندما رأوا نار جهنم وذاقوا لهيبها ولم يبق لهم أي ترديد في مصيرهم، يخاطَبون تحقيراً واستهزاء: (أَفَسِحْرٌ هَذَا)الذي ترونه بأعينكم أو ال

ولمّا لم يجدوا جواباً إلاّ التسليم، والاعتراف بالواقع المرّ، يُخاطَبون بالخطاب التالي:

١٦. (اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لاَ تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ):

أي إنّ الصبر والجزع عندئذ سواء، فقد كُتب عليكم الصَّلي بالنار، والاحتراق فيها. ولأجل رفع الشكّ والترديد في أنّهم هل يستحقون هذ
إلى هنا تمّ بيان مصير المكذّبين، وناسب المقام أن يذكر ما يقابلهم وهم المتقون وذكر مصيرهم كما هو شأن القرآن، لأنّه كلّما ذكر شيئاً ع

الآيات ١٧ ـ ٢٤ (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّات وَنَعِيم ... كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ).

الآيات: السابعة عشرة إلى الرابعة والعشرين

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّات وَنَعِيم * فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّكِئِينَ عَلَ
وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ).

المفردات

فاكهين: من الفكاهة: أي مستأنسين.

سُرر: جمع سرير.

مصفوفة: متقابلة، بشهادة قوله تعالى: (عَلَى سُرُر مُتَقَابِلِينَ)(الصافات: ٤٤.).

حُور: الحَوَر: قليل من البياض في العين من بين السواد، وذلك نهاية الحسن في العين.

عِين: جمع عَيناء، وهي الواسعة العين في حُسن.

ما أَلَتناهم: أي ما نقصناهم، والأَلْت: النقصان، أي ما نقصنا من ثواب عملهم من شيء.

يتنازعون: يتعاطَون.

مكنون: مصون ومستور.

التفسير

تضمّنت هذه المجموعة من الآيات المواهب التي يتفضّل بها الله سبحانه على المتّقين، وهي تتجاوز العشرة، وهي مشاهد جميلة يتمنّى كلّ عا

١٧ ـ أ. (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّات وَنَعِيم):

وهل هنا جنات متنوعة ومختلفة كلٌّ تتميّز عن الأُخرى بأشجارها وثمارها ومياهها وصفائها؟ أو هنا جنّة واحدة والجمع باعتبار كثرة الأف

١٨ ـ ب ، ج . (فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) :

أي مستأنسين بما شملتهم رحمة ربهم، وفي الوقت نفسه وقاهم ربهم عذاب الجحيم. وحاصل الكلام: أنّهم يفرحون ويُسَرّون بألوان النعم ال

١٩ ـ د . (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ):

وهم في الوقت الذي يستأنسون فيه بالأحاديث يتمتعون بكلّ ما يؤكل ويشرب، ولكن أين ما يتمتع به الإنسان في الدنيا ممّا يتمتع به في

٢٠ ـ هـ ، و. (مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُر مَصْفُوفَة وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُور عِين):

والآية تصف كيفية استئناسهم ولذّة تحدّثهم مع بعضهم بأنهم يتّكئون على سرر متقابلين، والتعبير بالاتّكاء إشارة إلى منتهى الهدوء والا
وبما أنّ ما يتمتع به الإنسان جسدياً هو التمتع بالزواج، فالله سبحانه أتمّ نعمته على المتقين في الجنة وقال: (وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُور عِين) أي مع
قوله تعالى: (وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُور عِين)، ظاهر في أنّ تزويج المؤمنين بحور عين كرامة أُخرى من الله تعالى لهم، فإنّ الرجال يأنسون، عادةً، بالن
وربما يقال: معنى (زَوَّجْنَاهُمْ)أي: جعلنا كلّ فرد منهم زوجاً أي غير مفرد، أي قرنّاهم بنساء حور عين، والباء للمصاحبة، أي جعلنا حوراً
يلاحظ عليه: لو سلّمنا أنّ التزويج هو بمعنى القِران، لكن الفكرة المختمرة عند السامع أنّ الرجال يطلبون النساء لأجل الزواج ويأنسو

٢١ ـ ز. (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَان أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْء كُلُّ امْرِئ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ):

لقد أُشربت الطبائع الإنسانية في الآباء حبّ الأولاد والذرية، ومن هنا يأمل المؤمنون إذا دخلوا الجنة أن تجتمع إليهم ذريّتهم لتقرّ بذلك

منه، دون أن يُنقص من ثواب عمل الآباء شيء، وإلاّ لم يكن تفضلاً، وإلى ذلك يشير سبحانه بقوله: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَان

وبما أنّه ربّما يتوهّم طروء النقص في ثواب الآباء عند إلحاق الذرية بآبائهم جاء قوله تعالى ـ دفعاً لهذا التوهّم ـ بأنّ إلحاقهم بهم لا يسبّب نق

وحاصل الآية: أنّه سبحانه يمنّ على المؤمنين بأنّه يُلحق بهم أولادهم إذا كانوا مؤمنين ـ ولو بدرجة سافلة ـ ولكن ذلك لا يوجب النقص

وفي نهاية الآية يقول تعالى: (كُلُّ امْرِئ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ)وظاهر الفقرة أنّه علّة لما تقدّم وهو قوله: (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْء)، فيقع

يتّضح ذلك من خلال التدقيق في معنى الرهن، فهو وإن كان بمعنى الوثيقة في مقابل الدَّين، إلاّ أنّ الظاهر أنّ المراد هنا هو المقارنة والملازمة

وعلى هذا فيكون معنى الفقرة أن كل إنسان مقرون بما كسب وملازم له، وبحكم هذا التلازم والمقارنة لا ينقص من أعمال الآباء لأجل إ

وبهذا تبيّن وجه صلة هذه الفقرة بما قبلها.

ومنه يظهر أنّ ما ذكره صاحب الكشّاف في تفسير الآية يوجب اختزال الفقرة عمّا قبلها.

قال:]قوله تعالى [: (كُلُّ امْرِئ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ)أي مرهون، كأنّ نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الّذي هو مطالب به كما يرهن ا

ولا يخفى أنّ ما ذكره يلازم فقد الصلة بين الفقرة وما قبلها.

ومنه يظهر أنّ المعنيين اللّذين ذكرهما الطبرسي ـ مثل الكشّاف ـ يوجبان اختزال الفقرة عمّا قبلها، يقول:

١. كلّ امرئ كافر مرتهن في النار بما كسب من الشرك.

٢. كلّ إنسان معامل بما يستحقّه ويُجازى بحسب ما عمله، إن عمل طاعة أُثيب، وإن عمل معصية عوقب ولا يؤخذ أحدٌ بذنب غيره.(مجم

ثم ما هو المراد من الذرية؟ هل المراد الكبار منها أو الصغار؟

الظاهر أنّ المراد هو الأوّل بشهادة قوله: (وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَان)فقد أثبت للذرية إيماناً ولا عبرة بإيمان الصغار.

نعم، الأطفال يحكم بإسلامهم تبعاً لأحد الأبوين، فإن كانا مسلمين فذاك، وإن كان أحدهما مسلماً والآخر كافراً، فالطفل يلحق بأشرف أ

وقد ورد عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام)ما يؤيد مضمون الآية، فقد روي عن أبي جعفر الباقر(عليه السلام) أنّه قال: «يُحفظ الأولاد بص

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام)أنّه قال: «إنّ الله لَيُصلح بصلاح الرجل المؤمن، وُلده ووُلد ولده...».(تفسير العيّاشي: ٣ / ١٠٦، رقم ٦٣ ؛ و

وأمّا ما ورد في بعض الروايات من أن الله يؤجّج للأطفال ناراً ويأمرهم أن يطرحوا أنفسهم فيها، فمن رمى بنفسه فيها كانت عليه برداً وس

وبالأخص أنّ هؤلاء الأطفال ـ حسب فرض الرواية ـ لو كانوا في الحياة الدنيا لعملوا عملاً صالحاً أو سيئاً ولكنّهم ماتوا وانقطعت حياتهم، ف

وليست هذه الرواية هي الوحيدة المخالفة للأُصول، فقد ورد نحوها في «الدر المنثور»، قال: أخرج عبدالله بن أحمد في زوائد المسند عن علي

إلاّ إذا حمل الأولاد في كلا الموردين على الأولاد الكبار.

ونظير ذلك ما رواه البرسوي نقلاً عن عين المعاني: سألت خديجة (عليها السلام)رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)عن ولدين لها ماتا في

النار»(روح البيان: ٩ / ١٩٣.).

٢٢ ـ ح ، ط . (وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَة وَلَحْم مِمَّا يَشْتَهُونَ):

إنّ أطعمة الجنة وإن كانت كثيرة ومتنوعة غير أنّ الآية أشارت إلى أمرين مهمين منها هما: الفاكهة واللحم لأنّهما سيدا الطعام، ولعلّ في

ثم إنّ قوله: (مِمَّا يَشْتَهُونَ) إشارة إلى أنّهم مخيّرون بين نعمة وأُخرى، يقول سبحانه: (وَفَاكِهَة مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْر مِمَّا يَشْتَهُونَ) (الوا

٢٣ ـ ي ، ك . (يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لاَ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ) :

تشير الآية إلى أنّ أهل الجنة يتجاذبون كأس الخمر بينهم أُنساً وسروراً، كما هو المتعارف بين الندامى المتحابّين في الدنيا. وعلى هذا فكلمة ا

وقيل: التنازع مجاز عن التناول والتعاطي. والكأس: الإناء المملوء بالشراب، فإنْ كان فارغاً سُمّي قَدَحاً.

وأمّا قوله تعالى: (لاَ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ) فالضمير فيه يحتمل أمرين:

الأوّل: أن يرجع إلى الكأس بما فيه من الشراب، فالآية تشير إلى أنّ شراب الآخرة يختلف عن شراب الدنيا، فإنّ شراب الدنيا يكون مقرون

وقد أشار الذكر الحكيم إلى هذا في غير واحدة من الآيات، قال تعالى: (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْس مِنْ مَعِين * بَيْضَاءَ لَذَّة لِلشَّارِبِينَ * لاَ فِيهَا غَ

الثاني: يحتمل أن يرجع الضمير إلى الجنة أي ليس في الجنة لغو ولا تأثيم. والظاهر هو الأوّل.

٢٤ ـ ل . (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ) :

ومن نعم الله سبحانه على المؤمنين في الجنة وراء الإيناس والاستمتاع بألوان الملاذ، طواف غلمان عليهم يدأبون في خدمتهم، ثم وصفهم ب

ولعلّ الغلمان يطوفون عليهم بالكؤوس، ويشهد لذلك قوله سبحانه: (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَاب وَ أَبَارِيقَ وَ كَأْس مِنْ مَعِين)

الآيات ٢٥ ـ ٢٨ (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْض يَتَسَاءَلُونَ ... إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ).

الآيات: الخامسة والعشرون إلى الثامنة والعشرين

(وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْض يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِ

المفردات

مشفقين: الإشفاق: رقّة القلب عما يكون من الخوف على الشيء. والشَّفَقَة نقيض الغِلظة.

السَّموم: الحرّ الذي ينفذ في مسامّ الجسم فيتألّم به، ومنه ريح السَّموم. قال الراغب: السموم: الريح الحارّة التي تؤثر تأثير السُّم.(المفردات للرا

التفسير

مرّ فيما سبق من الآيات أنّ أهل الجنة يتّكئون على سرر مصفوفة وأنّهم في ظلّ تلقّي تلك النّعم الّتي تُرغدهم، يتجاذبون بينهم الكأس مجت

٢٥ . (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْض يَتَسَاءَلُونَ):

وأمّا ما هو مورد تساؤلهم فالآية التالية تكشف عنه :

٢٦. (قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ) :

إنّهم كانوا قبل هذا المقام ـ يعني في الدنيا ـ يعيشون الخوف من لقاء هذا اليوم العظيم، الذي يصدّقون به، وأنّهم كانوا يعملون الأعمال الصا

مُشْفِقُونَ»، ثمّ ذكر (عليه السلام)من علامات المتّقي، أنّه: «يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَل» (نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣ .).

ولمّا علِم منهم سبحانه ذلك الإشفاق تفضّل عليهم بأن نجّاهم من العذاب، كما قال :

٢٧. (فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ):

أي شملتنا رحمة الله فوقانا العذاب المُحرق. وأُريد بالسموم هنا لَفْح جهنم .

٢٨. (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ):

أي كنّا مؤمنين برحمة الله تعالى ولطفه في الدنيا ونعلم أنّه المُحسن الكريم الواسع الرحمة. فظاهر قوله: (نَدْعُوهُ)أنّهم كانوا يبتهلون إلى الله

وحصيلة الآيات: أنّ أهل الجنة بعدما استووا على سررهم يسأل بعضهم بعضاً عن الحال التي كانوا عليها في الدنيا، وعن الأمر الذي سبّب ف

١. الخوف والإشفاق من لقاء هذا اليوم الذي لا يأمنون فيه من العذاب، إلاّ بفضل الله تعالى.

٢. الابتهال إلى الله تعالى، متمسّكين باسميه تعالى: (الْبَرُّ الرَّحِيمُ) .

فكان ثمرة هذين الأمرين، الفوز بنعم الجنّة.

الآيات ٢٩ ـ ٤٣ (فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِن وَلاَ مَجْنُون ... سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

الآيات: التاسعة والعشرون إلى الثالثة والأربعين

(فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِن وَلاَ مَجْنُون * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ * أَمْ تَ

أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ * أَمْ عِنْدَهُ

المفردات

الكاهن: الذي يحترف الكِهانة، وهي على المشهور ادّعاء الاستمداد من الجنّ في الإخبار عن الغيب.

نتربّص: التربّص: الانتظار بالشيء.

رَيب: يستعمل تارة بمعنى الشكّ كما في قوله: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ)(البقرة: ٢.) وأُخرى بمعنى الحوادث، يقول الراغب: ريب الدهر: ص

المنون: الموت والمنيّة، كما في «المفردات»(المفردات للراغب:٤٧٥، مادة «منن».)، وإليه يشير قول أبي ذؤيب:

أمِنَ المنون وريبها تتوجّعُ *** والدهر ليس بمُعْتب من يجزعُ

أحلامهم: الحِلم: العقل.

مَغرم (بفتح الميم): الالتزام بالغرامة.

مثقلون: أي محُمَّلون أثقالاً.

التفسير

تشير هذه المجموعة من الآيات إلى مواقف المشركين الدالّة على التخبّط والعناد، من الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ودعوته إ

لردّ الدعوة. والقسم الآخر يرجع إلى أفكارهم السقيمة وآرائهم الفاسدة التي حالت بينهم وبين قبول الدعوة.

وفي الحقيقة تستهدف الآيات بمجموعها توبيخهم وتقريعهم والتنديد بهم، فابتدأ البيان القرآني بذكر ما اتّهموا به النبي (صلى الله عليه وآله

٢٩. (فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ):

أي استمِر في دعوتك، ولا تكترث لأقاويلهم فلست أنت بكاهن ولا مجنون بلطف ربك وفضله، وكيف تكون كاهناً أو مجنوناً وأنت أم

ثم بدأ البيان القرآني بعرض المعاذير المتصوَّرة لهم، والتي تسوّغ لهم عدم الإيمان، وهي كما قلنا تناهز الستة عشر عذراً واهياً، ذكرها القرآ

٣٠. (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ):

لمّا تقدّم قوله إنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)منزّه عن الكهانة والجنون بفضل ربه ولطفه، ذكر العذر الأوّل من أعذار المكذّبين وهو أنّهم

والله سبحانه يردّ قولهم هذا بأن يأمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)أنّ يقول لهم:

٣١ . (قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ) :

أي انتظروا فأنا أيضاً من المنتظرين وسوف تعلمون؛ هل أنا شاعر أتكلم من نسج الخيال أو أنا نبي أنذركم من الله سبحانه، ويتحقّق ذلك

وهذا يدلّ على عجز القوم عن مقابلة دعوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)وأنّهم هُزموا هزيمة نكراء، فلم يجدوا محيصاً إلاّ باللجوء إلى فك

٣٢ . (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلاَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ):

تشتمل هذه الآية على العذرين الثاني والثالث من أعذار المشركين، والمعنى: أتأمرهم عقولهم باختلاق هذا الافتراء وهو أنّه شاعر، أو أنّ كا

الافتراء هو مجاوزتهم للحق وإسرافهم في الظلم والمعاصي. وإلاّ فهم يعلمون أنّ كلامه ليس شعراً ولا النبي كاهناً، لكن الطغيان المسيطر ع

قال الشريف الرضيّ (رحمه الله): وهذه استعارة أي إن كانوا حلماء عقلاء ـ كما يدّعون ـ فكيف تحملهم أحلامهم وعقولهم على أن يرموا ر

وخرج قوله سبحانه: (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلاَمُهُمْ بِهَذَا)مخرج التبكيت لهم والإزراء عليهم. ونظير هذا الكلام قوله سبحانه حاكياً عن قوم شعيب

٣٣ و ٣٤. (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لاَ يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ):

هذا هو العذر الرابع أي إنّ هؤلاء يتّهمون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)بالتقوّل والافتراء على الله أي لا صلة لدعوته بالله، ثم يُعرض س

ذلك وسيلة لنحت الأعذار لردّ دعوته.

ثم ردّ الله تعالى تهمة (التقوّل) الموجّهة إلى رسوله، وقال: إنّهم لو كانوا صادقين في اتّهامهم، فليأتوا بمثل كتابه في خصائصه من حيث الهد
الكريم، فلم يستطع أحد منهم ذلك .

ويمكن أن تكون الآية ردّاً لجميع المعاذير من أنّه كاهن، ومجنون، وشاعر، فإنّ كلام هؤلاء قابل للمعارضة مع أنّه كلام ممتنع عنها.

إلى هنا تمّت المعاذير التي يرجع لبُّها إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)وهي تُهم ألصقوها به، وبعد ذلك وصل الدَّور إلى بيان المعاذير الّتي تت

٣٥ . (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ):

والآية اشتملت على العذرين الخامس والسادس، وفي تفسير الأُولى منهما وجهان كلاهما محتملٌ:

الأوّل: أنّ المشركين يتصوّرون أنّهم خلقوا من طينة والآخرون من طينة أُخرى، فترفّعوا بذلك عن الأمر والنهي وقبول الدعوة، وعلى هذا ي

الثاني: أن يقال: أنّهم يتصوّرون أنّهم خُلقوا بلا علّة ولا خالق، ولذلك لا مبرِّر لأمرهم بشيء ولانهيهم عن آخر.

لكنّ الفقرة التالية تؤيد الاحتمال الثاني، أعني قوله: (أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)أي أنّهم صاروا سبباً لوجودهم، فعلى هذا فالفقرتان تدوران على الم

١. وجُدوا من دون علّة.

٢. وُجدوا بعلّة وهي أنفسهم.

فإن قلت: الاحتمال الثاني لا ينطبق على عقيدة المشركين، فإنّهم كانوا ينسبون خلق السماوات والأرض إلى الله سبحانه، كما قال: (وَ لَئِنْ س

وقد أجاب عن ذلك صديقنا الراحل الشيخ محمد جواد مغنية(رحمه الله)في تفسيره وقال: إنّهم من الوجهة النظرية يعترفون بأنّ الله هو خ
الإيمان بالله واليوم الآخر في زماننا .(التفسير الكاشف: ٧ / ١٦٨ .)

وكما أنّ الاحتمال الثاني في الفقرة الأُولى لا ينطبق على معتقدهم فهكذا الفقرة الثانية، لأنّه لا يوجد بين المشركين مَن يعتقد بأنّه الخالق ل

٣٦ . (أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لاَ يُوقِنُونَ):

اشتملت الآية على العذرين السابع والثامن، وهما: هل أنّهم خَلقوا العالم كلَّه فصاروا أرباباً وآلهة فيكونوا أعلى وأنبل من أن يُكلَّفوا بتكالي

وممّا تقدّم يتّضح أنّ الآيتين ضمّتا حججاً ثلاث لرفضهم الدعوة النبوية والتكاليف الإلهية، وهي جميعاً تكمن في أنفسهم، ويمكن عرضه

١. أنّهم وُجدوا من غير علّة ولا سبب، فلا خالق ولا ربّ لهم ليكلّفهم بالتكاليف.

٢. أنّهم وُجدوا من جانب أنفسهم، فلا موجود فوقهم حتى يكلّفهم بها.

٣. أنّهم هم الذين خلقوا السماوات والأرض، فلا يتعلّق بهم تكليف، لكونهم أرباباً وآلهة.

وعلى جميع الاحتمالات هم بمنأى عن التكليف، إذ على الاحتمال الأوّل لا خالق ولا مدبّر، وعلى الاحتمال الثاني فالخالق هم أنفسهم، وعلى ا

ثم يعود البيان القرآني إلى القول بأنّ كلّ ذلك أعذار واهية تقمّصوها، وفي الحقيقة أنّ ثمّة سبباً آخر أفضى بهم إلى التكذيب والافتراء على ا

٣٧ . (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ):

تشير الآية إلى العذرين التاسع والعاشر، وهما :

الأوّل: تصوير أنّ خزائن رزقه تعالى عندهم فينحلُون النبوة مَن شاءوا، ويمسكونها عمّن شاءوا، ولذلك منعوك من ذلك الرزق المعنوي.

الثاني: أنّهم المسيطرون على خزائن نعم الله تعالى، فلذلك يتمكّنون من سلب ما رزقك الله من نعمة النبوة.

والفرق بين العذرين واضح، ففي الأوّل يعدّون أنفسهم مالكين لخزائن الله، ومنها النبوة، وفي الثاني يعترفون بأنّ خزائن الرزق عند الربّ و

٣٨. (أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَان مُبِين):

أشار سبحانه في هذه الآية إلى العذر الحادي عشر المتصوَّر لهم، وهو أنّهم يدّعون أنّ النبي شاعر أو كاهن، فهل لهم سلّم صعدوا فيه إلى الس

فلو صحّ ذلك، فليأت من صعد هذا السلم واستمع، وليشهد، ثم ليأت على صدق كلامه بسلطان مبين وحجّة باهرة وبرهان قاطع.

۳۹ . (أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ):

ثم أشار سبحانه إلى إحدى مقولاتهم التي تكشف عن سفَه عقولهم وانحطاط أفكارهم حيث يزعمون أنّ الملائكة إناث وأنّها بنات الله
جسمانيّ ولم يتخذ ولداً لا ذكراً ولا أُنثى، وإنّما العجب أنّهم ينسبون إليه ما يستاؤون منه.

٤٠ . (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ):

أي لعلّ من وجوه إعراضهم هو أنّك تسألهم أجراً على إبلاغك إيّاهم رسالة الله تعالى، فيشتدّ عليهم دفعه، فيتصوّرون الأجر مغرماً حُمّل ع
وهذا أيضاً من البطلان بوضوح، فإنّ من شعار الأنبياء ـ من أوّلهم إلى خاتمهم ـ عدم سؤال الأجر، إخلاصاً منهم لدعوتهم، وتفانياً من أج

٤١ . (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ):

إنّ ما يصفون به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)من الكهانة والشعر والافتراء على الله كلّها أُمور غيبية، فمن أين وقفوا على ذلك؟ فهل عنده

٤٢ . (أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ):

هذا هو العذر الخامس عشر، وهو أنّ هؤلاء يعلمون أنّ محمّداً(صلى الله عليه وآله وسلم)نبي مرسل من الله سبحانه، ولكنّهم يمكرون به بم
الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ)(فاطر: ٤٣ .).

فهؤلاء الكفرة سيقعون في حبالة كيدهم في المستقبل.

٤٣ . (أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ):

هذا هو العذر السادس عشر لهم، وهو هل أنّ لهم إلهاً غير الله سبحانه، على حقيقة معنى الإلهية (الذي لا ينفكّ عن الخلق والتقدير والتد

الآيات ٤٤ ـ ٤٩ (وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا ... فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ).

الآيات: الرابعة والأربعون إلى التاسعة والأربعين

(وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ * فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاَقُوا يَوْمَهُمُ الذي فِيهِ يُصْعَقُونَ * يَوْمَ لاَ يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا

المفردات

كسفاً: جمع الكِسْفة، وهي القطعة من الشيء.

مركوم: متراكم.

يُصعَقون: يهلكون، وهو كقوله تعالى: (وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الأَرْضِ)(الزمر: ٦٨ .)، أي خرُّوا ميّتين.

التفسير

٤٤. (وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ) :

بلغ عناد القوم ومكابرتهم حدّاً لو أنّهم رأوا بعض ما سألوه من العذاب، كما لو شاهدوا سقوط قطعة من السماء لكذبوا كون ذلك عذاباً
أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ)(الحجر: ١٤ ـ ١٥ .)، فمن بلغ عناده إلى حدّ أن يصف العروج إلى السماء سحراً، فلا يُرجى صلاحه وإيمانه،

٤٥. (فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاَقُوا يَوْمَهُمُ الذي فِيهِ يُصْعَقُونَ):

أي اتركهم بحالهم فإنّهم لا ينتبهون من نومة العناد والجهل إلاّ في اليوم الذي فيه يهلكون، وأمّا ما هو المراد من اليوم الذي يصعقون فيه أي

١. يومهم الذي يموتون فيه، أي دعهم إلى يوم موتهم، والمراد عدم الجدوى في الإصرار على إيمانهم، إذ لا يهتدون؛ ثم إنّ هؤلاء إمّا يموتون ب

٢. المراد هو اليوم الذي يُنفخ فيه في الصور لإماتة كلّ الأحياء، قال سبحانه: (وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الأَرْضِ)(الز

فإن قلت: إنّ هذه الآية ناظرة إلى الأحياء قبل النفخ فيموتون بعده، وأمّا مشركو مكّة فهم أموات حين النفخ؟

قلت: الظاهر أنّ المراد إماتة جميع مَن في الدنيا من الأحياء ومَن في البرزخ، وهؤلاء ـ مشركو مكة ـ أحياء في البرزخ.

٣. المراد يوم القيامة، ويشهد له أمران:

الأوّل: قوله سبحانه: (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتَّى يُلاَقُوا يَوْمَهُمُ الذِي يُوعَدُونَ) (المعارج: ٤٢.)، فاليوم الموعود هو يوم القيامة.

الثاني: الآية التالية:

٤٦. (يَوْمَ لاَ يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ) :

ولو أُريد ذلك فلابد أن يُفسّر الإصعاق بغير الموت، نظير قوله سبحانه: (وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا)(الأعراف:١٤٣.) أي مغشيّاً عليه من هول ما رأى

فيكون المراد: اليوم الذي يفزعون فيه، فهؤلاء لا يجدون يومذاك نصيراً ولا معيناً ولا ينفعهم كيدهم الذي اتّخذوه ذريعة للإنكار، إذ عند

٤٧. (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) :

أي أنّ لهؤلاء الظالمين عذاباً آخر وراء يوم القيامة، غير أنّ أكثرهم غافلون عنه. وهذا العذاب الموعود به أدنى من عذاب الآخرة، يقول سب

يتحقّق في الحياة الدنيوية هو قوله سبحانه: (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)، فإنّ ترجّي الرجوع إلى الإيمان إنّما يصحّ في الحياة الدنيا.

هذا إذا قلنا بأنّ كلتا الآيتين ناظرتان إلى معنى واحد، وإلاّ فيمكن أن تكون تلك الآية ناظرة إلى عذاب القبر، ويشهد لذلك قوله: (وَلَـ

٤٨. (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ):

وفي ختام السورة يأمر الباري تعالى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)بأمرين:

الأوّل: الصبر في طريق تبليغ النبوة، فإنّ ممارسة الجهاد لا تنفك عن الأذى، والصبر مفتاح الفرج، كما قال: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ)أي إمهاله

وقيل: المراد بهذه الفقرة من الآية أنّك في حفظنا وحراستنا، وعلى هذا فالعين هنا وردت مجازاً عن الحفظ.

الثاني: الأمر بالتسبيح وتنزيه الحق. وفيه موردان:

أمّا الأوّل، فكما قال: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) أي من منامك، أو من كلّ مجلس. وقيل: حين تقوم إلى الصلاة.

٤٩. (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ):

هذا هو المورد الثاني الذي وجهه الله لنبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث أمره بالتسبيح في وقتين:

١. الليل. ٢. إدبار النجوم.

أمّا الأوّل: فلقوله تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ)، ولعلّ المراد به صلاة الليل التي لا تنفكّ عن التسبيح ، ويشهد لذلك قوله: (وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَـ

وأمّا الثاني أي عند إدبار النجوم، أي اختفاؤها بضوء الصبح، فيحتمل أن يكون المراد فريضة الصبح أو نافلته، وهي ركعتان قبل الفريضة

فإن قلت: ما هو الدليل على حمل التسبيح في الآية المتقدّمة على التنزيه والتسبيح، وحمله في الآية الأخيرة على الصلاة والعبادة؟

قلت: جاء التسبيح في الآية الأُولى مقيّداً بالقيام، والظاهر أنّه هو القيام من المجلس أو من المنام، وهذا أنسب بمعنى التنزيه، وقد روي أنّ

أمّا التسبيح في الآية الثانية، فإنّ الأمر به في الليل أو إدبار النجوم بنحو التوقيت، يناسب الصلاة مع اشتمالها على التنزيه أيضاً .

هذا، وقرئ «وَأَدْبَارَ» بفتح الهمزة.

قال الشريف الرضيّ (رحمه الله): قرئ (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) بكسر الهمزة وهذه استعارة على القراءتين جميعاً، فمن قرأ بفتح الهمزة كان معناه: و

[و] أمّا من قرأ وإدبار النجوم بالكسر فمعناه قريب من المعنى الأوّل، فكأنّه تعالى وصفها بالإدبار بعد الإقبال، والمراد بذلك الأُفول بعد الـ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ
(١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨) أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ
(٢٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى (٢٥) وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (٢٦) إِنَّ الَّ
أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ
قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْ
(٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (٤٧) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى (٤٩) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (٥١
(٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (٦٢)

تسمية السورة

سُمّيت السورة في المصاحف بسورة «النجم» بحذف الواو.

عدد آياتها ومحلّ نزولها

آياتها اثنتان وستون آية في عدّ الكوفي، وفي عدّ الجمهور إحدى وستون.

والسورة مكّية في رأي الأكثر، ويدلّ عليها صياغتها ومضامينها. وما نُسب إلى الحسن البصري أنّها مدنية شاذّ جدّاً.

وقد قيل: إنّها أوّل سورة قرأها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على المشركين والمؤمنين جميعاً في أوّل الدعوة العامّة.

ومن غُرر آياتها قوله تعالى: (وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى) وقوله: (وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى) .

أغراض السورة

تدور آيات السورة على محاور ثلاثة:

١. الإعلام بنبوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونزول الوحي عليه وأنّه صادق فيما يبلّغه، وأنّ القرآن وحي من الله سبحانه إليه عن طريق

٢. أنّ الخلق والتدبير والإحياء والإماتة والإغناء والإقناء والإهلاك والتعذيب، كلّها بيد الله سبحانه.

٣. الدعوة إلى الاعتقاد بالمعاد.

الآيات ١ ـ ١٨ (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا غَوَى ... لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى).

الآيات: الأُولى إلى الثامنة عشرة

(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّة فَاسْتَوَى *
الْبَصَرُ وَ مَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى).

المفردات

النجم: النجم ـ كما يعرّفه علماء الفلك ـ : كرة ضخمة من غاز متوهّج (كالشمس مثلاً)، والاختلاف الرئيسي بينه وبين الكوكب (كالأرض

هوى: سقط ، أو مالَ.

غوى: جَهِلَ، والغي: جَهلٌ من اعتقاد فاسد، وهو نقيض الرُّشد، فيكون المراد ما اعتقد باطلاً.

مِرّة: الشدّة في الفتل، ويطلق على الحصافة في العقل والرأي، والمراد هو الثاني، لتقدّم المعنى الأوّل في قوله: (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى)، قال الراغب

فاستوى: أي استقام على صورته التي خلقه الله عليها.

الأُفق: الناحية، والجمع آفاق، ومنه يقال: آفاق السماء لنواحيها.

الأعلى: أي الناحية العليا من السماء، المقابلة للناظر.

دنا: قرب.

تدلّى: التدلّي: التعلّق بالشيء ويكنّى به عن شدّة القرب، وربما يفسَّر بالامتداد إلى الجهة السفلى، مأخوذاً من الدلو.

قابَ: قَدْر، ومقدار.

قوسين: قال الراغب: القوس ما يرمى عنه، ويقال: قوس، على الذراع في لغة أهل الحجاز.

تمارونه: تجادلونه.

نزلة: النزلة: المرّة من النزول.

سدرة: السدرة شجرة معروفة، والتاء للوحدة.

ولا نعرف من (سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) إلاّ أن عندها جنة المأوى، وعلى هذا يكون المراد: منتهى السماوات أو الحدّ الأقصى الّذي يبلغ إليه المخلوق

جنة المأوى: أي الجنة التي يأوي إليها المتّقون يوم القيامة.

يغشى: يغطي.

زاغ: مال عن الاستقامة.

طغى: جاوز الحدّ في العمل.

التفسير

١. (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى):

أقسم سبحانه بالنجم، والمراد به أحد أمرين:

الأوّل: أن تكون اللام فيه للجنس، فيراد به مطلق النجم فيشمل كافة النجوم التي هي من آيات عظمة الله سبحانه ولها أسرار ورموز يعج

الثاني: أن تكون اللام فيه للعهد، فالمراد به:

إمّا الشِّعْرى، التي جاء ذكرها في نفس السورة، قال تعالى: (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى)(النجم: ٤٩ .)، وهي معروفة عند العرب وكانت خزاعة تعبد

أو الثُّريّا وهي مجموعة من سبعة نجوم، ستة منها لامعة يستطيع الناظر إلى السماء (بدون مرقَب) رؤيتها بسهولة، والسابع خافت النور، وب

ونسبة الهويّ إلى النجم يرجّح القول بأنّ المراد به نجم معيّن، وهو مردّد بين النجمين المذكورَين أو هو غيرهما .

٢. (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا غَوَى):

أقسم سبحانه بالنجم الذي يهتدي به الناس في الفيافي والقفار، والحلّ والترحال، والسفر والحضر، والبرّ والبحر، أقسم بذلك مخاطباً المشرك

وقد عبّر سبحانه عن النبيّ بلفظ (صَاحِبُكُمْ) لإفهام أنّكم أيّها المشركون قد عشتم معه وعاش معكم عبر سنين، ووقفتم على سيرته، و

وقد جمع سبحانه بين الضلال والغيّ ونفاهما عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)والقرآن يطلق الضلالة في مقابل الهدى، قال سبحانه:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)(المائدة: ١٠٥ .) ويطلق الغيّ في مقابل الرُّشد، قال: (وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَ

والمهم تبيين الفرق بين الضلالة والغواية؟

والظاهر: أنّ الضلالة عبارة عمّا إذا لم يجد السالك إلى مقصده طريقاً أصلاً، ولكن الغواية عبارة عمّن يجد إلى مقصده سبيلاً، لكن لا

وعلى هذا فالضال كالكافر، والغاوي كالفاسق.(تفسير الرازي: ٢٨ / ١٨٠.) فالآية بصدد نفي الضلالة والغيّ عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)ور
وأمّا الصلة بين المقسم به والمقسم عليه، فالظاهر أنّ المراد من الهويّ هو الميل إلى الغروب لا الغروب، ولذلك ذكرنا في تفسير المفردات الم
خلال النهار، وتأتي هذه الحركة من دوران الأرض لا من حركة النجوم. والنجوم ذاتها تتحرك، لكن حركتها لا يمكن رؤيتها لأنها بعيدة جدّاً عن الأرض. الم
النجم لأنّها هداية تكوينية، فهكذا لا خطأ في هداية الوحي الموحى إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).
وربما يقال في وجه الصلة: إنّ القرآن وحي من الله منزل من السماء فشابه حالُ نزوله الاعتباري حال النجم في حالة هويّه مشابهة تمثيل
كما ربّما يقال: إنّ الصلة هي مشابهة حال نزول جبرئيل من السماوات بحالة نزول النجم من أعلى مكانه إلى أسفله .(التحرير والتنوير: ٢٧ /

٣ و ٤. (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى):

المراد بالهوى هوى النفس ورأيها، والآية كأنّها مسوقة لدحض تهمة الافتراء والتقوّل على الله الّتي ألصقها المشركون بالنبي (صلى الله عليه وآ
كلامه صادراً عن الهوى أثبت ضدّه وقال: (إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى). وجملة (يُوحَى)صفة مؤكّدة لـ (وَحْيٌ)رافعة لاحتمال المجاز، مفيدة للاست
وتسأل: هل الآية ناظرة إلى القرآن الكريم أو هي تشير إلى ما ينطق به(صلى الله عليه وآله وسلم)مطلقاً، فتعمّ حديثه أيضاً ؟
يظهر من بعض الأحاديث أنّها ناظرة إلى مطلق كلامه، ولذا ينبغي أن تُحمل على العموم.
روى أبو داود بإسناده عن عبدالله بن عمرو قال: كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)أريد حفظه، فنهتني ق
منه إلاّ حقّ"(سنن أبي داود: ٣ / ٣١٨ برقم ٣٦٤٦. ورواه أحمد في مسنده: ٢ / ١٦٢؛ والدارمي في سننه:١ / ١٢٥، باب من رخّص في كتابة العلم).
وروى أحمد بإسناده عن أبي هريرة أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)قال: "لا أقول إلاّ حقّاً" قال بعض أصحابه: فإنّك تداعبنا يا رسول
ويؤكّد مضمون الروايات أنّ الآية تركّز على نطق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)وتقول: (وَمَا يَنْطِقُ)فهو يعمّ القرآن والحديث.
وبعبارة أُخرى: إنّ الآية تحصر نطقه في وحي يوحى، فيلزم أن يكون كلّ ما ينطق به من الأُصول والفروع وحياً يوحى إليه من الله، لا من
نعم الفرق بين الحديث والقرآن أنّ القرآن وحيٌ بلفظه ومعناه، والحديث وحيٌ بمعناه دون لفظه.

٥. (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) :

لمّا أشاع المشركون قولهم: (إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ)(النحل: ١٠٣.)، أو أنّه من الأساطير التي اكتتبها كما في قوله تعالى: (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْ
سبحانه به، وأكثر المفسّرين على أنّ المراد به هو جبرئيل، والذي وصفه بذلك أيضاً في آية أُخرى وقال: (ذِي قُوَّة عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِين)(ال
ولو نسبت هذه الحوادث في بعض الآيات إلى الله سبحانه كقوله: (جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا)(هود: ٨٢.) فإنّما هو بالتسبيب، فبما أنّ جبرئيل م

٦ و ٧. (ذُو مِرَّة فَاسْتَوَى * وَ هُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى):

ثم إنّ الوحي على أقسام ذكرها سبحانه في قوله: (وَ مَا كَانَ لِبَشَر أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَاب أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ
أمّا الوحي بلا واسطة فهو قليل، والوحي من وراء حجاب فهو من خصائص موسى، والغالب هو الوحي عن طريق أمين الوحي أعني جبرئيل(
ثم إنّ الإيحاء بواسطة الملَك تارة يكون بتمثّل الملَك بصورة البشر، وهذا هو الأكثر، وأُخرى بظهوره في صورته الواقعية ولم يتحقّق ذلك
السماء، حيث ملأ الأفق بخَلقه العظيم، فالضمير المتصل في (فَاسْتَوَى)والمنفصل أعني (وَهُوَ) يرجع إلى جبرئيل الذي دلّ عليه (شَدِيدُ الْقُوَ

٨ و ٩ و ١٠. (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى):

فلمّا ظهر له بالأُفق الأعلى أخذ يدنو من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى)أي يزيد في القرب والنزول، لأنّ معنى التدلّي ال
وهل الضمير في قوله (أَوْحَى) يرجع إلى جبرئيل أو إلى الله سبحانه؟ فعلى الأوّل يكون معناه: فأوحى جبرئيل إلى عبدالله محمد (صلى الله ع
وعلى الثاني يكون المعنى: أوحى الله على لسان جبرئيل إلى محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)ما أوحى.
والأوّل أقرب لأجل أنّ الضمير في "دنا" و "تدلى" يرجع إلى جبرئيل، فيكون قرينة على أنّ الضمير يرجع إليه .

وأمّا الثاني فوجهه أنّ نسبة الوحي إلى الله هي الأمر الرائج وأمّا نسبته إلى جبرئيل فليس كذلك.
وحصيلة الآيات: أنّه دنا من رسول الله شيئاً فشيئاً حتى تدلّى نازلاً مقترباً إليه، فلم يكن بينه وبين الرسول فاصل إلاّ مقدار قوسين أو أ
١١ و ١٢. (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرى):
ولمّا كان هناك توهُّم أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)تخيّل رؤية جبرئيل بصورته الواقعية عاد البيان القرآني إلى ردّ هذا التوهّم، والتأكيد ع
قال الشريف الرضيّ: قوله سبحانه: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى): وهذه استعارة، والمراد ـ والله أعلم ـ أنّ ما اعتقده القلب من صحّة ذلك المن
وبما أنّ المشركين كانوا يُخطّئون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)في رؤية جبرئيل ويكذّبونه ويجادلونه، نزل الوحي مندّداً بهم وقال: (أَفَتُمارُونَ
هذه هي المرّة الأُولى الّتي رأى النبيّ فيها أمينَ الوحي في صورته الواقعية، وكانت ـ كما قلنا ـ في صدر البعثة، وأمّا المرّة الثانية فكانت في حاد
١٣ و ١٤و ١٥. (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخرى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) :
لمّا كان المشركون يردّون رؤية جبرئيل، والنبي في أرض مكّة، ذكر سبحانه رؤية ثانية له هي أعظم من تلك الرؤية الأُولى، حيث قال: (وَلَقَ
فالرائي هو النبي الخاتم والمرئيّ هو أمين الوحي وموضع الرؤية هو سدرة المنتهى، والله يعلم ما هي حقيقة تلك السدرة التي ينتهي إليها نظا
ولعلّ إضافة السدرة إلى المنتهى لبيان أنّ هذا هو الحدّ الذي لا تتجاوزه المخلوقات، أي ليس لهم طاقة التجاوز.
ثم إنّه سبحانه وصف سدرة المنتهى بوصف إجمالي فقال: (عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) أي عند السدرة (جَنَّةُ الْمَأْوَى) أي الجنة التي هي مأوى الم
١٦ و ١٧ و ١٨. (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَ مَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرى):
لاشكّ في أنّه سبحانه أجمل الكلام في تعريف السدرة ولم يذكر عنها شيئاً سوى القول أنّ السدرة يغشاها ما يغشى، فما هو المراد بذلك؟
ولعلّ المراد أنّه يوجد عندها عجائب من آثار قدرة الله وعظمته ما لا يبلغه وصف ولا يحدّه عقل، ويشهد لذلك قوله في الآية الثامنة عش
ويحتمل أن يُراد حجاب الذات الإلهية المقدّسة، فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)خرق كلّ الحجب إلاّ الحجاب بينه وبين الله تعالى.
قوله تعالى: (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَ مَا طَغَى)أي ما حاد بصر النبي عن الواقع ولا تجاوزه، فكلّ ما رآه من بدء المعراج إلى آخره، كان حقّاً وصدقاً.
فقد وصف بصره بوصفين:
الأوّل: (مَا زَاغَ)أي ما مال بصره إلى مرئيّ آخر.
الثاني: (مَا طَغَى)أي ما تجاوز الحدّ.
قال الشريف الرضي(رحمه الله) حول الآية: إنّ البصر لم يمِل عن جهة المبصر إلى غيره، ميلاً لم يدخل عليه به الاشتباه حتى يشك فيراه.
«ولا طغى» أي لم يتجاوز البصر ويرتفع عنه فيكون مخطئاً لإدراكه، ومتجاوزاً لمحاذاته.
وتلخيص المعنى: أنّ البصر لم يقصر عن المرئيّ فيقع دونه، ولم يزد عليه فيقع وراءه، بل وافق مضمونه ولم يتجاوز موقعه. وأصل الطغيان
قوله تعالى: (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرى): أي عاين في رحلة المعراج الّتي بلغ فيها سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى.. عاين أُموراً تُع
قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى : (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى): وروي أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)قال: «رأيت على كلّ ورقة من أور
وقد جرينا في تفسير الآيات على ظاهر سياقها، ولكن يوجد في الروايات ما يوجب تفسير الآيات بغير ما ذكرنا، وذلك بإرجاع الضمائر إلى
«أنا ابن من علا فاستعلى فجاز سدرة المنتهى، فكان من ربّه قاب قوسين أو أدنى»(الاحتجاج: ٢ / ٣٩٠).
والظاهر من الخطبة رجوع الضمائر إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)دون جبرئيل .
وروى الشيخ الطوسي بإسناده عن قتادة عن أنس، قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): «لما عُرج بي إلى السماء دنوت من ربي عزّ و
وقد جاء هذا المضمون في روايات أهل السنّة، حيث قال السيوطي في «الدر المنثور»: أخرج ابن المنذر وابن مردويه عن أبي سعيد قال: لمّا أُ
وبما أنّ هذه الروايات متضافرة عند الفريقين، فاللازم تفسير الآيات بكلا الوجهين من دون اتّخاذ موقف حاسم، إلاّ بدليل قاطع.

الآيات ١٩ ـ ٢٣(أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرى... وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى)

الآيات: التاسعة عشرة إلى الثالثة والعشرين

(أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَ لَهُ الأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى * إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُ

المفردات

اللاّت والعُزّى ومَناة: أصنام كان العرب يعبدونها، أمّا الأُولى فكانت لثقيف بالطائف، وأمّا الثانية فكانت لغطفان، وأمّا الثالثة فكانت لهذي

ضِيزى: على وزن فُعلى (وإنّما كُسر أوّله لتسلم الياء)، مشتق من قولهم: ضازه حقّه، إذا نقصه.

سلطان: حجّة وبرهان.

التفسير

لمّا تقدّم أنّ ما ينطق به صاحبهم (محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)) صادر عن الوحي الذي أبصره بعينه وتيقّنه بقلبه، وأنّه (صلى الله عليه وآ

فرّع عليه الكلام في الأصنام الثلاثة الّتي كانوا يعبدونها، مندّداً بتلك العقيدة الزائفة التي لا تستند إلى أيّ دليل أو برهان، وإنّما إلى الظنون

١٩ و ٢٠. (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَ الْعُزَّى * وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى):

الظاهر أنّ الرؤية هنا رؤية علمية، والمعنى: أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله، وتزعمون أنّ اللاّت والعزّى ومناة الموصوف

٢١. (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَ لَهُ الأُنْثَى):

يقول سبحانه على وجه الإنكار عليهم: إنّكم نسبتم إلى الله تعالى الأُنثى التي لا ترضونها، واخترتم لأنفسكم ما ترضونه، فصارت الأُنث

٢٢. (تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى):

أي قسمة ناقصة غير تامّة، جائرة غير عادلة، حيث جعلتم له ما لا تحبّونه، كما قال سبحانه في آية أُخرى: (وَيَجْعَلُونَ للهِ مَا يَكْرَهُونَ)(ا

ومن المعلوم أنّ الآية ليست بصدد تجليل الذّكر أو إذلال المرأة والحطّ منها، بل هي بصدد التنديد بقضائهم المخالف لمقاييسهم الّتي تواضع

٢٣. (إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَان إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِ

فليس لهذه الأصنام حظّ ولا نصيب من الأُلوهية إلاّ الأسماء الّتي أنتم سمّيتموها بها، وهي مجرّدة عن المعاني ولا تعبّر عن حقيقة، وهي لا

قوله: (مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَان)أي لم ينزل الله كتاباً لكم فيه حجّة على ما تدّعونه، فأنتم في تسمية هذه الأصنام بالآلهة تصدرون عن

ثمّ بيّن أنّه ليس ثمة ما يسوّغ لهم اتّباع الظنّ والهوى، والحال أنّه قد جاءهم ما يدلّهم على الحق ويكشف لهم عن سُقم تصوّراتهم، أو كما

بحث في الوحي النبويّ

الوحي ـ لغةً ـ هو الإشارة أو الإعلام بخفاء بطريق من الطرق. والمهمّ في هذا المقام هو تفسير الوحي النبويّ.

فنقول: الوحي النبوي، عبارة عن إدراك خاص متميّز عن سائر الإدراكات، وليس هو نتاج الحسّ ولا الغريزة ولا العقل، وإنّما هو شعور خ

بواسطة ملَك، فهو في إدراكه لا يحتاج إلى إعمال نظر أو التماس دليل أو إقامة حجّة، وإلاّ لخرج عن كونه وحياً وصار من أقسام العلم الا

وأفضل تعريف للوحي ما ورد في قوله سبحانه: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ)(الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤ .) فالآيتان تش

أن يستعمل حاسّتي البصر والسمع ولا يستعمل القوى الإدراكية العقلية.

ولهذا يسند الأنبياء تعاليمهم إلى هذا النوع من الإدراك الذي لا مصدر له، إلاّ عالِم الغيب وخالق الكون سبحانه.

وبما أنّا نفقد هذا النوع من الإدراك فإنّه لا يمكننا أن ندرك كنهه بل يجب الإيمان به كما هو شأن كلّ أمر غيبي لا يحيط الإنسان المادّي

وحصيلة الكلام: الوحي حصيلة الاتّصال بعالم الغيب ولا يصح تفسيره بأدوات المعرفة ولا بالأُصول التي تجهّز بها العلم الحديث في الحضا

نعم كلّ من لم يذعن بعالم الغيب ويتصوّر أنّ الوجود مساوق للمادة والطاقة، يشكل عليه قبول الوحي وتفسيره.

نعم هؤلاء الذين اتّخذوا لأنفسهم موقفاً مسبقاً في سعة الوجود وضيقه، وسعة أدوات المعرفة وضيقها، عجزوا عن إدراك الوحي بصورة متميّ

ولأجل الجمع بين تخصيص الوجود بالمادة ونفي ما وراءها وبين تصديق الأنبياء بإخبارهم عن الغيب، جاءوا بفروض مختلفة: فتارة يدقّون

وكنّا قد فصلنا الكلام في ذينك الفرضين في محاضراتنا في الإلهيات، فمن أراد التوسع والوقوف على آراء المنكرين ونقدها فليرجع إليها.(الإله

أُسطورة الغرانيق

قد عرفت أنّ الوحي الإلهي لا يخطئ الواقع قيد شعرة ولا أقلّ من ذلك، وأنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)لا ينسى ولا يشتبه، وبذلك تقف

روى بإسناده عن محمد بن كعب القرظي، قال: لمّا رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)تولّي قومه عنه، وشقّ عليه ما يرى من مباعدته

* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) فلما انتهى إلى قوله: (أَفَرَأَيْتُمُ اللاّتَ وَالعُزّى * وَمَناةَ الثّالثَةَ الأُخرى) ألقى الشيطان

فلمّا سمعت ذلك قريش فرحوا وسرّهم وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم، فأصاخوا له، والمؤمنون مصدّقون نبيّهم فيما جاءهم به عن ربّهم ولا يتّ

بن المغيرة، فإنّه كان شيخاً كبيراً فلم يستطع السجود، فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها، ثم تفرّق الناس من المسجد، وخرجت ق

عزّ وجلّ: (وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُول وَلا نَبِيّ إِلاّ إِذا تَمَنّى أَلْقَى الشَّيْطانُ في أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللّهُ آياتِهِ

هذه الأُسطورة رواها الطبري في تفسيره، وفي تاريخه، وردّدها المستشرقون، وهي باطلة تماماً، فالعقل يحكم بأنّ المرشدين الذين يبعثهم

الذي يعادي الوثنية ويحاربها، داعياً إلى عبادتها، والقرآن يؤكّد: (إِنّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطان)(الحجر:٤٢.)، (إِنَّه لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَ

وعلى هذا فالرواية موضوعة، وما ورد فيها باطل لم ينطق به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)ولم يجرِ على لسانه.

لنفترض أنّ «محمّداً» لم يكن نبياً مرسلا، ولكن هل يمكن لأحد أن ينكر ذكاءه وحنكته، وفطنته، ورجاحة عقله؟

فهل لعاقل فَطِن محنَّك لبيب مثله، أن يفعل مثل هذا؟!

إنّ الذكيّ اللبيب الّذي يجد أنصاره يتكاثرون ويتزايدون يوماً بعد يوم وتقوى صفوفهم أكثر فأكثر بينما تتفرقُ صفوفُ أعدائه ومناوئيه وي

هل تصدّق أنت أيها القارئ الكريم أنّ رجلا ترك جميع الأموال والمناصب الّتي عرضتها قريش عليه، في سبيل دينه الحنيف وعقيدة التوح

إنّنا لن نصدّق بمثل هذا الاحتمال في حقّ مصلح أو سياسي عادي من الساسة والمصلحين، فكيف برسول الله ونبيّه العظيم؟

وبما أنّنا استوفينا الكلام في تلك الأسطورة، وذكرنا بطلانها من جهات مختلفة، نحيل القارئ إلى محاضراتنا المطبوعة باسم «سيد المرسلين»

وبذلك تقف على أنّ مؤلّف كتاب «الآيات الشيطانية» ـ أعني: المرتدّ «سلمان رشدي» ـ قد بنى جنايته على التاريخ في مورد النبي وأزواج

لأكاذيبهم وافتراءاتهم .

الآيات ٢٤ ـ ٣٠ (أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنّى * فَلِلّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى ... وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى).

الآيات: الرابعة والعشرون إلى الثلاثين

(أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنّى * فَلِلّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى * وَكَمْ مِنْ مَلَك فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَر

بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى).

التفسير

تقدّم في الآيات السابقة شيء من عقائد المشركين في أُلوهية الأصنام الثلاثة، وإيثار أنفسهم بالبنين ونسبة الإناث إلى الله تعالى، إلى غير ذ

٢٤. (أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنّى):

أي ليس للإنسان أن ينال ما يتمنّاه لمجرّد التمنّي، و (أم) هنا منقطعة والاستفهام إنكاري، فليس كلّ ما يتمنّاه الإنسان وتشتهيه نفسه س

٢٥. (فَلِلّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى):

والمراد بالآخرة العالم الأُخروي وبالأُولى العالم الدنيوي، أي أنّ دائرة الوجود من الأوّل والآخر لله سبحانه فلا يشاركه شيء في ملكه ولا

بأنّ الشفاعة بيد الله سبحانه، ولا شفيع إلاّ بإذنه، فلا مسوّغ لعبادتهم لها، إذ لو كانت الشفاعة بأيديهم لكان لعملكم مسوّغ، والحال أنّ

٢٦. (وَكَمْ مِنْ مَلَك فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْني شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى):

قوله: (كَمْ) مبتدأ، خبره: (لاَ تُغْني شَفَاعَتُهُمْ).

إنّما الكلام في قوله: (لِمَنْ يَشَاءُ)ففيه وجهان:

١. أنّ الجار والمجرور متعلّق بقوله: (شَفَاعَتُهُمْ)وعندئذ يصير المعنى: لن تغني شفاعتهم شيئاً إلاّ في حق من شاء الله ورضي الشفاعة في ح

٢. إن الجار والمجرور متعلّق بقوله: (يَأْذَنَ اللهُ)وعندئذ يكون المراد من الموصول هو الشفيع، أي لا شفيع إلاّ من أذن له أن يشفع .

والوجه الثاني خيرة السيد الطباطبائي حيث قال: المراد بقوله: (لِمَنْ يَشَاءُ)الملائكة، ومعنى الآية: وكثير من الملائكة في السماوات لا تؤثر

لا شفيع إلاّ بإذن الله .

ومع ذلك فالظاهر هو الأوّل، لأنّ قوله: (مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ)نظير قوله سبحانه: (وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى)(الأنبياء: ٢٨. ١

وأمّا قوله: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ)(٣). فالموصول فيه ظاهر في الشفيع.

٢٧. (إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلاَئِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى) :

تشير الآية إلى بعض عقائدهم الفاسدة التي وصفها القرآن بأنّها من أُمنيّاتهم الباطلة، ومنها تسميتهم الملائكة بنات الله عزّ وجلّ، ونبّهت

٢٨. (وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْم إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْني مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا):

بنى المشركون عقيدتهم في الله سبحانه وصفاته وأفعاله على الظنّ، وأُريد به مجرّد التخرّص والتخمين لا الظنّ بمعنى ترجيح أحد الطرفين ع

أيضاً : (مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْم إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ)(الزخرف: ٢٠.) فمجموع الآيات يشهد على أنّهم لم يعتمدوا في عقيدتهم على أساس يفيد ا

فإن قلت: أقام الأُصوليون دلائل متقنة على حجّية الظنّ في الفروع واستنباط الاحكام، فإذا كان الظنّ غير مغن عن الحق، فكيف أغنى ال

قلت: المراد من الظنّ في الكتب الأُصولية هو الاطمئنان النوعي الذي يُعدّ علماً في العُرف، وعليه تدور رحى الحياة بين العقلاء، فإنّهم لا ي

وربّما يجاب بأنّ الأدلّة القاطعة على حجّية الظنّ خصّصت عموم قوله تعالى: (إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْني مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) لكنّه بعيد لأنّه آب عن التـ

٢٩ . (فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا):

لما بيّن سبحانه عقائدهم الفاسدة وأبطلها ببيان واضح أمر النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)بالأعراض عنهم وهجرهم هجراً جميلاً وقال: (فَأَ

الجهد والوقت معه ومع أمثاله لا يجدي نفعاً. وما أعجب كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأبعدَ غرضه، حينما يذكر الدنيا فيقول في ص

٣٠. (ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى) :

يعني أنّ أمر الدنيا ـ التي أكبّوا عليها ولم يعتنوا بما وراءها ـ كان هو منتهى عقليتهم وشعورهم، وهو مبلغ خسيس لا يرضى به عاقل لنف

بالتولّي عنهم ليس بمعنى تركهم سدى بل: (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ): أي بمن جارَ وعدلَ عن سبيل الحق الذي هو سبيل ال

الآيتان ٣١ ـ ٣٢ (وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ ... هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)

الآيتان: الحادية والثلاثون والثانية والثلاثون

(وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى * الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَ الْفَوَاحِـ

المفردات

اللَّمم: قال الراغب: اللمم: مقاربة المعصية، ويعبَّر به عن الصغيرة. ثم ذكر له معنى ثالثاً وقال: فلان يفعل كذا لمّاً، أي حيناً بعد حين.(المفر

التفسير

لما تقدّم في الآية السابقة أنّه سبحانه أعلم بمن سلك طريق الإيمان وبمن حاد عنه، وكان التساوي بينهما يوم البعث على خلاف العدل، ك

٣١. (وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى):

واللام في قوله:(وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الأَرْضِ)للمُلكية، أي يملك ما في السماوات ويملك ما في الأرض، وحاشا أن تكون ملكيت

مالك فهو مدبِّر، ومن حُسن التدبير عدم التساوي بين المطيع والعاصي، والمحسن والمسيء، ولذلك يقول: (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا

وحاصل الكلام: أنّ جزاء المسيء يكون جزاءً عادلاً بمقدار إساءته وأمّا جزاء المحسن فهو جزاء مضاعف بأفضل ما عمل، قال سبحانه: (

وهذا تفضّل من الله سبحانه حيث يجزي المسيء بما يقتضيه عمله، بينما يضاعف جزاء المحسن بأكثر من عمله.

وبذلك ظهر أنّ اللام في: (لِيَجْزِيَ) ـ التي هي لام الغاية ـ تتعلّق بصدر الآية، حسب ما قرّرنا من أنّ الصدر كناية عن كونه سبحانه خالق

٣٢. (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ

لمّا سبق قوله سبحانه: (وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) عاد البيان القرآني إلى تعريف المحسنين الذين يُجزَون بالمثوبة الحسنى، فعرّفهم بأ

فيقع الكلام في أُمور ثلاثة:

١. ما هو المراد من الكبائر؟

٢. ما هو المراد من الفواحش؟ ولماذا خصّها بالذكر؟

٣. ما هو المراد من اللمم؟ (وإن مرّت عليك المعاني الثلاثة له في تفسير المفردات).

أمّا الكبائر: فربما يقال: إن تقسيم المعصية إلى الصغيرة والكبيرة، تقسيم حقيقي، بمعنى أنّ بعضها كبيرة حقيقة، وبعضها الآخر صغيرة ك

ولكنّه عدل عن ذلك في تفسيره التبيان، حيث قال: والمعاصي ـ عندنا ـ كلّها كبائر، غير أنّ بعضها أكبر من بعض، فقد تكون المعصية ك

هذا وقد اختلفوا أيضاً في عدد الكبائر، فبعضهم على أنّها سبع، وآخرون على أنّها عشر، وجماعة على أنّها عشرون، وجماعة رابعة على أنّها أرب

كما أنّهم اختلفوا في وصف الكبيرة، على الأقوال التالية:

١. ما توعّد الله عليه بالنار بخصوصه.

٢. ما أوجب الله عليه النار.

٣. كلّ ذنب توعّد الله عليه العقاب في الكتاب العزيز.

٤. كلّ ذنب رتّب عليه الشارع حدّاً، أو صرح فيه بالوعيد.

٥. كلّ معصية تؤذن بقلّة اكتراث فاعلها بالدين .

٦. كلّ ذنب عُلمت حرمته بدليل قاطع.

٧. كلّ ما توعّد عليه توعّداً شديداً في الكتاب والسنّة .(مفتاح الكرامة: ٥ / ١٠٥٤ .)

وقد عقد الشيخ الحر العاملي في كتاب الجهاد من «الوسائل» باباً لتعيين الكبائر التي يجب اجتنابها، ونقل فيه ما يناهز الـ ٣٧ حديثاً(لاحظ

منها، وهكذا سائر الروايات، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتابنا «أحكام صلاة الجماعة».(أحكام صلاة الجماعة: ٥٠٢ ـ ٥٠٣ .)

وأمّا الفواحش، فالمراد بها الذنوب الشنيعة الفظيعة، وقد عدّ تعالى منها الزنا واللواط، قال تعالى: (وَ لاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَ سَاءَ

وقال تعالى: (وَ لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ)(النمل: ٥٤ .)، والظاهر أنّ الفواحش قسم من الكبائر أي أكبرها.

وأمّا اللّمم، فقد عرفت معانيه الثلاثة في كلام الراغب، وممّا ورد في تفسيره عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، ما رواه الكليني بإسناده إل

ويؤيّده ما روي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام)قال: «قد يلمّ المؤمن بالشيء الذي ليس فيه مراد»(علل الشرائع:٢/٤٩٠ ح١، الباب٢٤٠؛ تفسي

وهذا يناسب ما ورد في اللغة من معنى اللّمم، يقال: زيارتُه إلمام، أي قليلة.

وممّا يؤيّد كون اللّمم هو الصغيرة من المعاصي، أنّه سبحانه أهمله ولم يذكره في سورة الشورى، حيث قال: (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَ

وكأنّ الإلمام بالصغيرة من لوازم نوع الإنسان المؤمن، وإنّما يجتنب عنها الأنبياء والأولياء. ثم إنّه استثنى اللمم وعلّله بقوله: (إِنَّ رَبَّكَ وَاسِ

لا يستصعُبكَ، وأنّ احتمال الجنايات الفاحشة لا يَتَكَاَّدُك».(الصحيفة السجادية: دعاؤه في الاعتراف. ومعنى (لا يتكأدُك): لا يشقُّ عليك.)

يُذكر أنّ استصغار المعصية، حتّى ولو كانت صغيرة، يُعدّ جرأة على الله واستخفافاً بأمره تعالى، ومن هنا قال الإمام علي (عليه السلام): «أَشَدُّ

ثم أشار سبحانه إلى سعة علمه بأحوال الناس منذ بدأ خلقهم من الأرض إلى أن صاروا أجنّة في بطون الأُمهات وقال : (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِ

وهو يعلم ما يُكنّه، وعلى هذا: (فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)أي لا تمدحوها بما ليس لها فالله أعلم بها.

قيل: إنّ الآية نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يعملون أعمالاً حسنة، ثم يقولون: صلاتنا وصيامنا وحجّنا (روح المعاني: ٢٧ / ٦٤.). والظاهر

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وعلى كلّ تقدير فالآية تتضمن أمرين:

أ. سعة علمه تعالى بحقيقة كلّ إنسان منذ نشوئه من الأرض إلى ولوجه في الأرحام، فذَكر من مواقف وجوده موقفين لاختلافهما ذاتاً وجوه

ب. النهي عن تزكية النفس، فإنّ تزكية المرء نفسه صفة ذميمة جدّاً، وهي إنّما تنشأ من عدم معرفة النفس، إذ لو عرف الإنسان نفسه لعل

روى الصدوق عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام)في حديث طويل قال: «لا يفتخر أحدكم بكثرة صلاته وصيامه وزكاته ونسكه، لأنّ اللّ

نعم يستثنى من تزكية النفس ما إذا خلت من الرياء والرغبة في الاستعلاء، وترتَّب عليها الصلاح خصوصاً للمجتمع، فهذا هو يوسف الص

وَلاَ تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ»(نهج البلاغة: قسم الكتب والرسائل، برقم ٢٨ .).

وهذا هو الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين (عليهما السلام) قد صعد المنبر في المسجد الأُموي وعرّف بنفسه وآبائه وأجداده والبيت الذي نش

الآيات ٣٣ ـ ٤١ (أَفَرَأَيْتَ الذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى ... ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى)

الآيات: الثالثة والثلاثون إلى الحادية والأربعين

(أَفَرَأَيْتَ الذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى * أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى * أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الذِي وَفَّى * أَلاَّ تَزِرُ وَ

المفردات

أكدى: قطَع العطاء، من قولهم حَفَر فأكدى، إذ بلغ إلى كُدْية أي صلابة في الأرض، فلم يمكنه الحفر.

وِزْر: الوِزر: الثِّقْل، تشبيها بوزر الخيل، ويعبر بذلك عن الإثم، لأنّه عبء ثقيل على ظهر الإنسان .

الوازرة: مَن يتحمَّل الوِزر، جاءت بصيغة التأنيث لكونها وصفاً للنفس.

التفسير

اشتملت الآيات السابقة على أُصول إسلامية هي من مُحكَمات العقل العملي (الأخلاق) وهي:

١. كلّ إنسان مسؤول عن عمله.

٢. ليس للإنسان إلاّ سعيه وكدحه.

٣. كلّ إنسان مجزيّ بعمله.

وسنشرح هذه الأُصول المستفادة من الآيات، بعد أن ننقل شيئاً من أقوال المفسّرين في شأن نزولها: قال جماعة من المفسّرين : نزلت في عث

كذا، فأعطاه ما طلب وأمسك يده عن العطاء.

وقال بعضهم : نزلت في الوليد بن المغيرة، جلس عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)وسمع وعظه، وأثّرت الحكمة فيه تأثيراً قويّاً، فقال له رج

وقال آخر: نزلت في النضر بن الحارث، وقال غيره: نزلت في العاص بن وائل السهمي.

وظاهر السياق يشعر بنزولها ردّاً على ما كانوا يتخرّصونه، ويتحكّمون فيه على الغيب لجاجاً وجهلاً، (انظر: تفسير القاسمي: ١٥ / ٢٥٢.) ولكنّ ا

وعلى كلّ تقدير فما يهمّنا في هذا المقام، هو ما يستفاد من هذه الآيات:

٣٣ ـ ٣٥. (أَفَرَأَيْتَ الذِي تَوَلَّى * وَ أَعْطَى قَلِيلاً وَ أَكْدَى * أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرى):

أي أعلمتَ شأن هذا الذي أعرض عن اتّباع الهدى، وقيل: عن الإنفاق(الميزان في تفسير القرآن: ١٩ / ٤٥ .)(وَأَعْطَى قَلِيلاً) من ماله (لمن ادّعى
العقاب، (فَهُوَ يَرى)أي يشاهد أُمور الغيب.

٣٦ ـ ٣٨ . (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الذِي وَفَّى * أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى) :

قوله تعالى:(أَمْ) انتقال من تعجّب إلى تعجّب آخر، وفي الحقيقة انتقال من إنكار إلى إنكار، أي هبْ أنّهم لم يؤمنوا بما أُنزل على نبيهم (ص
بأيدي اليهود، وهم يخالطون اليهود في ربوع الجزيرة، حتى كانوا يعترضون على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقولهم: (لَوْلاَ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُو
إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَات فَأَتَمَّهُنَّ)(البقرة: ١٢٤.).

ثم إنّه قدّم في المقام صحف موسى(عليه السلام) على صحف إبراهيم(عليه السلام)، وعكس في سورة الأعلى وقال: (صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى)

وعلى كل تقدير فالآيات تندّد بهذا المتولّي المسك وتخاطبه بالقول: ألم يُخبَر بما أنزل الله في التوراة وفي صحف إبراهيم(عليه السلام): (أَلاَّ ت

وليست هذه الآية هي الوحيدة في القرآن، بل تكرّرت في صور شتى، قال سبحانه: (وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْس إِلاَّ عَلَيْهَا وَ لاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُ

إنّما الكلام في وجود مفاد الآية في التوراة الرائجة، ففي سفر التثنية: لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كلّ إنسان بخطي

هذا كلّه حول الأمر الأوّل، وأمّا الأمر الثاني ـ أعني: أنّه ليس لكلٍّ إلاّ سعيه ـ فقال:

٣٩ و ٤٠. (وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى):

أي يرى كلّ إنسان عمله يوم القيامة، كما قال: (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْس مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْر مُحْضَرًا وَ مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوء)(آل عمران: ٣٠ .)، وللذكر

ثم إنّ الرؤية لا تنفكّ عن المثوبة والعقوبة، كما يقول:

٤١. (ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى):

والمراد من الجزاء الأوفى الجزاء الذي لا ينقص ولا يزيد على العمل، هذا في العمل الطالح، وأمّا العمل الصالح فالمراد من الجزاء الأوفى هو
فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَاب)(غافر: ٤٠ .).

انتفاع الميّت بعمل الحيّ

يظهر من غير واحد من المسائل التي طرحها مؤلّفو الفقه على المذاهب الأربعة حصول الانتفاع للميّت بعمل الغير، ويدلّ على ذلك أنّه أ
عن الحج، والذي دعانا إلى ما ذكرنا هو أنّ الوهابيين تمسّكوا بقوله سبحانه: (وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى)، بعدم انتفاع الميّت بعمل صا

أقول: إنّ الشبهة باطلة وتدل على ذلك الأُمور التالية:

١. صرّح سبحانه في الذكر الحكيم بأنّه يلحق الأبناء بالآباء في الجنة والدرجة بسبب إيمان الآباء لتقرّ أعين الآباء باجتماعهم معهم في ا
أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْء كُلُّ امْرِئ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ)(الطور: ٢١ .).

نعم لاشكّ أنّ لإيمان الأطفال دخلاً في المثوبة لكنّهم يجزون في مقابل إيمانهم جزاء مساوياً، إنّما الكلام في ارتقائهم من درجة نازلة إلى در

٢. إنّ لحن الآيات المشار إليها، لحن ذم وتوبيخ، وهو دليل على أنّ قوله: (وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى) في مقام الحديث عن العقاب والج
أحد معاني اللام: الاستحقاق، كما في قوله تعالى: (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ).(المطففين:١.)

ويشهد لما ذكرنا أيضاً الآيات الواردة بعدها حيث يقول: (وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى)فإنّ لحن الآيتين لحن الإخافة وا
مِثْلَهَا وَ هُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)(الأنعام: ١٦٠ .).

ويؤيّد ما ذكرنا سبب نزول الآيات حسب ما قدّمناه من محادثة سعد بن أبي سرح أنّه يتحمّل ذنوب عثمان أو تحمّل شخص آخر أوزار «الو

٣. إنّ سياق الآيات يدلّ على أنّ قوله: (وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى)هو الوارد في صحف موسى وإبراهيم(عليهما السلام)، فإذا رجعنا إلى التو

وأمّا نظيره في صحف موسى (عليه السلام)(ففي التوراة): لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل.(

وقد حكى سبحانه عن موسى (عليه السلام)قوله: (أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا)(الأعراف: ١٥٥.).

٤. إن المؤمنين ينتفعون باستغفار الملائكة، قال سبحانه: (تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلاَئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِ

والمراد من الموصول في قوله: (لِمَنْ فِي الأَرْضِ)هم المؤمنون بشهادة قوله: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِ

فلو لم يكن لاستغفار الملائكة أيُّ نفع للمؤمنين لكان عملهم لغواً غير قابل للمدح والثناء.

وليس استغفار الملائكة هو المورد الفريد لانتفاع المؤمنين به، بل ينتفع المؤمن بدعاء المؤمن، قال سبحانه: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُ

فلو كانت الآية ناظرة إلى ما يرومه الوهابيّون فيلزم وجود التعارض والاختلاف بين الآيات.

بقي هنا بحث وهو أنّنا نفترض أنّ الآية لها مفهوم واسع يشمل العمل الصالح والطالح، وبعبارة أُخرى: يشمل الثواب والعقاب معاً، ومع ذلك

ووجه عدم التنافي أنّ الآية الأُولى بصدد بيان إصلاح المجتمع أو إصلاح الفرد المسلم أي أنّه يجب على المسلم أن يعتمد في حياته الدنيوية

هذا هو مفاد الآية ولكنّه لا ينافي أن ينتفع الميّت على وجه الصدقة بعمل الغير إذا أهدى إليه ثوابه، فإنّ الانتفاع هناك انتفاع جانبي فرعي

ولنمثل بمثال تتّضح به حقيقة عدم التنافي: لو فرضنا أنّ إنساناً ما ينصح ولده ويقول له: إنّ سعادتك أو شقاءك في الحياة رهن عملك وسع

لا ريب أنّ الإجابة عن هذا التساؤل بالنفي قطعاً، وذلك لأنّ الأب في واقع الأمر بصدد بيان قاعدة كلّية وأصل عام تسير عليه الحياة و

حالات خاصّة واستثنائية بين الحين والآخر على هدية أو هبة تنتفع بها في حياتك.

إلى هنا تمّت دراسة الآيات فلندرس ما في الروايات، والذي يستفاد منها أنّ انتفاع الميّت بعمل الغير أمر لا غبار عليه، فلنذكر القليل من

١. انتفاع الميّت بالصوم والحجّ النيابيّين

قد وردت في هذا المجال روايات متعدّدة، منها:

أ. عن عائشة، أنّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:«مَن مات وعليه صيام، صام عنه وليّه».(صحيح مسلم: ٥٢٣، باب قضاء الصيام عن الميّت

ب. عن ابن عباس: أنّ امرأة أتت رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقالت: إنّ أُمّي ماتت وعليها صوم شهر، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) :

«أرأيتِ لو كان عليها دين، أكنتِ تقضينه؟».

قالت: نعم.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «فدَينُ اللّه أحقّ بالقضاء».(صحيح مسلم: ٥٢٣، برقم ٢٥٨٢ .)

ج: عن عبد اللّه بن بريدة، عن أبيه، قال: بينا أنا جالس عند رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ أتته امرأة فقالت: إنّي تصدّقت على أُمّي بجا

عنها».(صحيح مسلم: ٥٤٣، برقم ٢٥٨٦ ؛ وسنن الترمذي: ٢١٥، كتاب الزكاة، باب ما جاء في المتصدق يرث صدقته، برقم ٦٦٧ .)

٢. انتفاع الميّت بالصدقة عنه

إنّ الروايات الواردة في هذا المجال كثيرة لا يمكن حصرها هنا، ولذا نكتفي بذكر روايتين منها يكفي نقلهما للإجابة عن بعض الإشكالا

أ. عن عائشة: أنّ رجلاً أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا رسول اللّه، إنّ أُمّي افتُلِتَتْ (افتُلتت نفسها: ماتت فجأة، وكلّ شيء فُعل بلا تمكّ

ب. عن ابن عباس: أنّ سعد بن عبادة توفّيت أُمّه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول اللّه إنّ أُمّي توفّيت وأنا غائب عنها، أينفعها شيء إن تصـ

وإذا أردنا أن نحلّل تلك الروايات نقول:

إنّ الإنسان قد يقوم بسلسلة من الأعمال الصالحة من دون تعهد مسبق ثمّ يهدي ثوابها إلى الموتى، والأعمال التي تصدر من الإنسان ويرا

الروايات لتجيز العمل النيابي عن الميّت، ليتسنّى للميّت الحصول على ذلك الفضل الربّاني والرحمة الإلهية.

النذر لأولياء الله

إنّ النذر سنّة معروفة بين كافّة المسلمين في العالم كلّه، وخاصّة في البلاد التي تحتضن قبور أولياء الله وعباده الصالحين.

وثمّة أمر متعارف عليه بين المسلمين، وهو النذر لله وإهداء ثوابه للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)أو لعترته الطاهرة أو لأحد الصالحين، فيقول ال

إذا عرفنا ذلك الأصل يتّضح لنا وبجلاء معنى قول الناذر في بعض الأحيان: «لله عليّ أن أذبح شاة للنبي أو للوصي»، فإنّ مفاد كلمة «لله» ع

الثاني «للنبي» ينصرف إلى معنى آخر ويراد به معنى الانتفاع والاستفادة،ومن حسن الحظ أنّ كلا التعبيرين قد وردا في الذكر الحكيم حيث

(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَة أَنْ تَقُومُوا للهِ).(سبأ:٤٦.)

وفي آية أُخرى قال تعالى: (إِنّما الصَّدقاتُ لِلْفُقَراءِ).(التوبة:٦٠.)

وعلى هذا الأساس لا يمكن عدّ هذا النوع من التعبير علامة للشرك بالله وعبادة لغيره، بل أنّ هذا التعبير نفسه قد ورد في رواية سعد بن

الآيات ٤٢ ـ ٦٢ (وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى... فَاسْجُدُوا للهِ وَاعْبُدُوا)

الآيات: الثانية والأربعون إلى الثانية والستين

(وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَ أَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الأُنْثَى * مِنْ نُطْفَة إِذَا تُمْنَى * وَأَنَّ ع

الأُولَى * أَزِفَتِ الآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ * أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَ لاَ تَبْكُونَ * وَ أَنْتُمْ سَامِدُونَ * فَاسْجُدُو

المفردات

تُمنى: قال الطوسي: معنى تُمنى أي تُلقى على تقدير في رحم الأُنثى، وأصله: التقدير، يقولون: مَنى يَمني فهو مان، إذا قدّر، ومنه: التمنّي: تقدي

النشأة: الصنعة المخترعة، والمراد هو الإيجاد والخلق، ووُصفت بالأُخرى لأنّها نشأة ليس بعدها نشأة.

أقنى: بما أنّه يقابل قوله: (أَغْنى) كما في قوله: (أَضْحَكَ وَأَبْكَى)وقوله: (أَمَاتَ وَ أَحْيَا)فلابد أن يفسّر بنحو يقابل قوله: (أَغْنى)، ولذلك نُق

الشِّعرى: كوكب لم يعبدها من العرب إلاّ قبيلة خزاعة، وذكرها في عداد سائر الأصنام لكونها معبودة مثلها.

المؤتفكة: قرى قوم لوط، ائتُفكت بأهلها، أي انقلبت، والائتفاك: الانقلاب.

أهوى: أسقط.

تتمارى: من المراء، وهو التشكيك، وقد مرّ نحوه في قوله: (أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرى).

النُّذر: جمع نذير، وأُريد به الإنذار.

أَزِفت: قَرُبت. والآزفة من أسماء القيامة، أي القريبة.

سامدون: السمد: الإعجاب بالنفس، وربّما يفسر باللهو.

التفسير

٤٢. (وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى):

قد سبق منّا أنّ هذه الآية من غرر الآيات في هذه السورة، وقد فُسّرت بهذا المعنى: وأنّ إلى ثواب ربك وعقابه آخر الأُمور، والمنتهى والآخر

ولكنّ الظاهر من السيد الطباطبائي أنّ للآية معنى واسعاً أبلغ ممّا ذكره المفسّرون، قال: (المنتهى): مصدر ميميّ بمعنى الانتهاء وقد أُطل

بين الأشياء إلاّ الروابط الجارية بينها القائمة بها، وموجد الأشياء هو الموجد لروابطها المُجري لما بينها، فالمنتهى المطلق لكلّ شيء هو الله س

ويؤيّد ما ذكره (رحمه الله) أنّه سبحانه رتّب على هذه الآية عدّة أُمور وأنّ بيده سبحانه الإضحاك والإبكاء، والإماتة والإحياء، وخلق الزو

٤٣. (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى):

أشار سبحانه في هذه الآية وما يتبعها من الآيات إلى بعض آثار قدرته الدالّة على انتهاء الخلق والتدبير إليه سبحانه، وقدّم الضحك هنا عل

والضحك والبكاء سرّان عجيبان من الأسرار الّتي اختصّ الله تعالى بها الإنسان. وما يُحدث الضحك هو انفعال الفرح والسرور، وما يُحدث
الضحك والبكاء، اللّذان يدلّ اختصاص الإنسان بهما على أنّ له موجِداً قادراً مدبّراً.

٤٤. (وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا) :

الآية ـ كما يظهر ـ بمنزلة قوله سبحانه: (الذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)(الملك: ٢.) فالله تعالى هو الذي أنشأ المو
أعمال في الدنيا، الّتي (لم تُخلق له دار مُقام، بل خلقت له مجازاً ليتزوّد منها الأعمال إلى دار القرار)(هذا القول لأمير المؤمنين (عليه السلام)، و
بقي هنا سؤال وهو لماذا نسب إلى نفسه الإضحاك والإبكاء، مع أنّهما من أعمال الإنسان؟ ثم إنّه سبحانه نسب الإماتة إلى نفسه مع أنّها ع
والجواب واضح فإنّ الصادر عن الإنسان هو الضحك والبكاء، والمنسوب إلى الله هو الإضحاك والإبكاء، ومن المعلوم أنّه سبحانه هو الذي
ولكن النسبة بوجهين مختلفين.

٤٥ و ٤٦. (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الأُنْثَى * مِنْ نُطْفَة إِذَا تُمْنَى):

لمّا تقدّم ذِكر حياة الإنسان، ذكَر استمرار الحياة عن طريق خلق الصنفين: الذكر والأُنثى، ويراد بهما إمّا خصوص الإنسان أو من كلّ حيوا

٤٧. (وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى):

في الآية إشارة إلى أنّه تعالى خلق الإنسان أو خلق الزوجين لغاية خاصّة وهي الحياة الأُخروية، الّتي يُجازى فيها الإنسان، على الإساءة والإح

٤٨. (وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى) :

أي هو الذي خلق الإنسان ورفع حاجته في الحياة، إمّا بصورة الغنى أو بصورة الرضى دون الغنى.

٤٩. (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى):

إشارة إلى فساد عقيدة قوم من المشركين حيث كانوا يعبدون الشعرى، ويقال لها الشعرى اليمانية، وتسمّى أيضاً نجمة الكلب، وهي أكثر الن
سنوات ضوئية.(الموسوعة العربية العالمية: ١٤ / ١٩٧ . يُذكر أنّ السنة الضوئية، هي المسافة الّتي يقطعها الضوء في سنة، وتساوي (٩٠، ٤٦) ترليون كيلومتر (١،٠٠

٥٠. (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى):

لمّا تقدّم ذكر نعم الله سبحانه وأنّه أغنى الإنسان وأقناه، وكان لازم ذلك عبادة المنعم سبحانه، إشارة إلى قبيلة عاد الأُولى الذين كفروا بن
(الأُولى) لتقدّمها في الزمان .

٥١. (وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى):

أي أهلك العتاة الظالمين من ثمود (وهم قوم صالح (عليه السلام)) فلم يُبقِ منهم أحداً، إذ أرسل عليهم جلّت قدرته صاعقة سماوية (فَ

٥٢ . (وَقَوْمَ نُوح مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى) :

عَطَفَ على إهلاك ثمود قوم نوح(عليه السلام)، وعلّل وجه إهلاكهم أنّهم كانوا أظلم وأطغى، ولعلّ وصفهم بصيغة التفضيل أي أكثر ظلماً و

٥٣ و ٥٤. (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى * فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى):

المدينة المؤتفكة أي المقلوبة، وهي قرى لوط التي جعل سبحانه عاليَها سافلَها، و (أَهْوَى) أي أسقطها على أهلها بقلبها وخسفها (فَغَشَّاهَا

٥٥. (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى):

إنّ الآية ليست خطاباً للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)لترفّع شأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)عن التشكيك، بل هو خطاب للناس بصورة ال
قيل: إنّما جُعلت كلّها نعماً، وبعضها نقم، لِما لنا في ذلك من اللطف في الانزجار عن القبيح، فإنّه إنّما نالهم ما نالهم بكفرهم النعم، فبأيّ ن

٥٦. (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى):

لعلّه إشارة إلى القرآن الكريم وإنذار النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، والنُّذُر جمع النذير وأُريد به الإنذار، نظير قوله سبحانه: (هَذَا بَلاَغٌ لِلنَّ

٥٧ و ٥٨. (أَزِفَتِ الآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ):

أي قرُبت القيامة، فإنّ الآزفة من أسماء القيامة، قال سبحانه: (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ)(غافر: ١٨) والقرآن الكريم ركّز على قرب وقوع يوم ا

وقد تسأل: قد مضى على إخباره سبحانه عن اقتراب الساعة قرون كثيرة، ولم تقع، فما معنى ذلك؟ نقول: سيوافيك الجواب عند تفسير سو

ثم أشار سبحانه إلى قطعية يوم القيامة بقوله: (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ) أي ليس لنفس أن تزيلها وتزيل شدائدها وأهوالها.

٥٩ و ٦٠ و ٦١. (أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ):

والآيات خطاب للمشركين الذين واجهوا النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وكذّبوا برسالته وكتابه، وعجبوا أن أوحى الله سبحانه: (إِلَى رَجُلٍ
البكاء، للعذاب الذي ينتظرهم كما قال: (وَلاَ تَبْكُونَ)وياللأسف (وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) أي غافلون عن مستقبلكم المظلم.

وفي ختام السورة أمر الله الناس بالسجود والعبادة وقال:

٦٢. (فَاسْجُدُوا للهِ وَ اعْبُدُوا):

وهو خطاب للناس جميعاً بالسجود لله وعبادته .

أمّا السجود فلغاية الخضوع أمام عظمة الله التي ليس فوقها شيء، وأنّ إليه المنتهى؛ وأمّا العبادة فلأجل الطهارة من الشرك، حتى تكون ا

وقد ورد عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام)وجوب السجود عند قراءة هذه الآية، أي أنّها أحد موارد سجود التلاوة الواجب.

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُ
قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ
فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ
(٢٦) إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (٢٨) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَ
عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُ
لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٦
صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٣) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)

تسمية السورة

تُسمّى السورة في التفاسير بسورة «القمر»، وفي صحيح البخاري سمّيت بسورة (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ)(صحيح البخاري: ٣ / ٢٩١، كتاب التفسير (٦٥)

عدد آياتها ومحلّ نزولها

عدد آيات السورة خمس وخمسون آية بالاتّفاق، وهي مكيّة بشهادة صياغتها ومضامينها .

أغراض السورة

تركّز السورة على غرض واحد وهو أنّ مَن يكفر بنعمة الله تبارك وتعالى ـ من غير فرق بين النعم المادّية والنعم المعنوية ـ سوف تُسلب ع

١. قوم نوح، قال تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ).

٢. قوم هود، قال تعالى: (كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ).

٣. قوم صالح، قال تعالى: (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ).

٤. قوم لوط، قال تعالى: (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ).

٥. آل فرعون، قال تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ).

فهؤلاء قد واجهوا الدعوات السماوية بالرفض والتعنّت، وكذّبوا أصحابها الذين بُعثوا لإسعادهم، فسُلِبت عنهم النعم وعمّهم العذاب وشمل

والآيات تهدّد قريشاً بأنّ سنّة الله في الجميع واحدة كما يقول: (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ)، ثم تنهي الكلام بوصف

شأن النزول

يكاد يُجمع المفسّرون القُدامى من كلا الفريقين، على أنّ الآيات الأُولى أو جميع آيات السورة نزلت بعدما اقترح مشركو قريش على النبي(ص

وقد روي انشقاق القمر في المصادر الروائية للسنّة، عن جماعة من الصحابة، منهم: ابن مسعود، وأنس، وابن عباس، وجُبير بن مُطعِم. و

الله (صلى الله عليه وآله وسلم)فرقتين: فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «اشهدوا».(صحيح البخاري: ٣ / ٢٩١،

وروى بإسناده عن أنس بن مالك: أنّ أهل مكّة سألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)أن يريهم آية فأراهم القمر شِقّتين، حتى رأوا حراء بين

وذهب بعض المتقدّمين من مفسّريهم كالحسن البصري، وعطاء بن أبي مسلم الخراساني (كما في رواية ابنه عثمان عنه) إلى أنّ المراد بالآية

وأمّا مصادر الشيعة الإمامية، فلم تبلغ رواياتها حول انشقاق القمر ما بلغته في مصادر السنّة، لا من جهة الكثرة، ولا من جهة الصحّة.

الأمالي: ٣٤١، المجلس ١٢، برقم ٦٩٧. ومن المصادر التي ورد فيها انشقاق القمر: تفسير القمّي: ٢ / ٣١٨؛ والإرشاد للمفيد: ٣٦٥. ونقل الطبرسي في «مجمع البيان»: (

الآيات ١ ـ ٣ (اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ * ... وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمر مُسْتَقِرٌّ).

الآيات: الثلاث الأُولى

(اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ).

المفردات

اقتربت: الاقتراب أصله صيغة المتابعة أي قبول فعل الفاعل، وهو هنا للمبالغة في القرب.

الساعة: هي الظرف الذي تقوم فيه القيامة، وكأنّها عَلم لهذا الزمان.

انشق: الانشقاق: انفصال شيء عن شيء.

مستمرّ: من الاستمرار، أي دائم ومطرد.

مستقرّ: اسم فاعل من استقر بمعنى قرّ وثبت، والسين والتاء للمبالغة.

التفسير

١. (اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ):

أي دَنت الساعة التي تموت فيها الخلائق وتقوم فيها القيامة، فعلى العاقل أن يستعدّ لهذا اليوم قبل حلول أهواله، ويكفي في قربها قول الن

وربما يقال: كيف يقول سبحانه: (اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) مع أنّه قد مضى منذ زمن نزول القرآن إلى الآن أزيد من ألف وأربعمائة سنة وهي لم

والجواب من وجوه:

أ. يحتمل أن يراد القرب النسبي أي بالنسبة إلى ما مضى من ابتداء خلق السماء والأرض، فالساعة بالنسبة إلى تحقّقها في المستقبل أقرب ب

ب. أي وصفها بالقرب حسب علمه سبحانه كما قال: (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا* وَنَرَاهُ قَرِيبًا)(المعارج: ٦ ـ ٧).

ج. اقتربت القيامة بمعنى أنّه لا يكون بعد رسول الله إلاّ القيامة وقد انقضت النبوّة والرسالة .(تفسير القمي: ٢ / ٣١٨ .)

ومن لطائف هذه السورة أنّها بدأت بما خُتمت به السورة السابقة أعني سورة النجم حيث خُتمت بقوله تعالى: (أَزِفَتِ الآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِ

ثم إنّ قوله تعالى: (وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)، جملة فعلية ماضوية معطوفة على جملة مثلها، تدلّ على وقوع الانشقاق وتحقّقه .

٢. (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ):

أي إذا رأى المشركون علامة تدلّهم على الحقّ، فهُم مكان أن يؤمنوا بها، يُعرضون عنها ويقولون على طريقة اللِّجاج والمكابرة: إنَّ هذه الآية

حيث بلغوا من العناد والإنكار مبلغاً بحيث إنّهم كلّما رأوا آية معجزة دالّة على صدق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كرّروا قولهم: (إِنْ هَذَا

ثم إنّ مَن خالف القائلين بأنّ القمر قد انشقّ في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، عاد إلى تأويل الآية وصرفها عن ظاهرها بوجوه:

١. قوله: (انْشَقَّ الْقَمَرُ) أي سينشقّ القمر عند قيام الساعة، وإنّما عبّر بلفظ الماضي لكونه محقّق الوقوع.

يلاحظ عليه: أنّه تأويل بلا دليل، مضافاً إلى أنّه لا ينسجم مع قوله تعالى: (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا...) وذلك لأنّه مترتّب على انشقاق القمر، ف

٢. ما يقال من أنّ الآية إشارة إلى ما وصل إليه العلم من أنّ القمر قطعة من الأرض كما أنّ الأرض جزء منفصل من الشمس، فالآية ناظر

يلاحظ عليه: إن قوله: (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً) يدلّ على رؤية الآية، وانشقاق القمر من الأرض في العهود الغابرة ليست آية مرئيّة.

أضف إلى ذلك: أنّ انفصال القمر عن الأرض اشتقاق، والمذكور في الآية الكريمة انشقاق، ولا يطلق الانشقاق إلاّ على تقطّع الشيء في نفس

وبعبارة واضحة: أنّ الانشقاق عبارة عن انفصال شيء عن شيء، مع بقاء اسم الشيء عليهما، وأمّا انفصال القمر عن الأرض فهو عبارة ع

٣. إنّ معنى انشقاق القمر انكشاف الظلمة عند طلوعه.

يلاحظ عليه: أنّ الآية لا تدلّ عليه، بأي واحدة من الدلالات الثلاث.

ثم إن ابن عاشور التونسي لمّا رأى استفاضة الروايات عندهم، لم يجد محيصاً من الاعتراف بها، ولكنّه عاد إلى بيان احتمالات لا تنسجم م

٤. يجوز أن يكون قد حدث خسف عظيم في كرة القمر أحدث في وجهه هوّة لاحت للناظرين في صورة شقه إلى نصفين بينهما سواد، حت

يلاحظ عليه: أنّ قوله: (حتى يخيّل أنّه منشق إلى قمرين)، تعبير آخر عن وصف الانشقاق بالسحر!! على أنّ الظاهر من قوله: (وَانْشَقَّ الْقَمَ

ومنه يظهر ضعف الوجه الآخر حيث يقول:

٥. ويجوز أن يكون قد حصل في الأُفق بين سمت القمر وسمت الشمس مرور جسم سماوي نحو بعض المذنّبات، حجب ضوء الشمس عن

ويلاحظ عليه أيضاً: بأن معناه أنّ الناس تخيّلوا أنّ القمر قد انشقّ، بينما تحدّثت الآية عن شقّ القمر واقعاً لا تخيّلاً.

ثم إنّه ذكر احتمالاً ثالثاً أبعد من الاحتمالين السابقين. ومن أراد الاطّلاع عليه فليرجع إلى كتابه .

دراسة أدلّة المنكرين

وقد أنكر جماعة من المفسّرين دلالة الآية على وقوع تلك المعجزة انطلاقاً من قرائن منفصلة غير موجودة في نفس الآية، وممّن اعتمد ع

أوّلاً: أنّ هذا لا يتّفق مع العديد من الآيات التي نصّت بصراحة على أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يستجب لاقتراح المشركين في طلب

أن تحدّى العالم كلّه بالقرآن.

ثانياً: أنّ انشقاق القمر حدث كونيّ هام، فلو وقع لرآه أهل الشرق والغرب، ودوّنه العلماء والمؤرّخون الأجانب وغيرهم، كما دوّنوا ما هو دو

ثالثاً: أنّ الانشقاق من الموضوعات التي لا تثبت إلاّ بالخبر المتواتر، وخبر الانشقاق من أخبار الآحاد، فلا يصحّ الاعتماد عليه في هذا الباب

رابعاً: أنّ قوله تعالى: (وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) بعد قوله: (اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) يدلّ على أن القمر ينشقّ حين تقوم الساعة، وأنّ المراد من الانشقاق هنا ه

أمّا الوجه الأوّل: فإنّ ما ذكره يرجع إلى أمرين:

أ. أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)لم يستجب لاقتراح المشركين في طلبهم الخوارق والمعجزات وأنّه أجابهم بما أمره الله تعالى وهو: (قُلْ سُبْ

ب. أن الله سبحانه لم يُبق عذراً لمتعلّل بعد أن تحدّى العالم كله بالقرآن.

يلاحظ على الأمر الأوّل: صحيح أنّ النبي لم يستجب لاقتراح المشركين بل أجابهم بما أمره الله، لكن ذلك لأجل أنّ مقترحاتهم لم تكن

منها: ما هو مستحيل كالإتيان بالله والملائكة قبيلاً.

ومنها: ما لا صلة له بإثبات النبوة والرسالة كأن تكون للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)جنة من نخيل وعنب، أو يكون له بيت من زخرف

ومنها: ما هو ناقض لبعث الرسول كإسقاط السماء على رأسهم وإماتتهم، ففي هذا المقام قال: (سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً) وليس ا

نعم بقي هنا شيء: وهو قولهم (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا)(الإسراء: ٩٠.) فلماذا لم يقم به النبي مع أنّ تفجير الينبوع لي

والجواب: أنّه لو قام به لحظة أو لحظات كشقّ القمر لرموه بالسحر، ولو قام به على وجه الاستمرار فهو على خلاف سنن الله في حياة الإنسان

ويلاحظ على الأمر الثاني: أنّ ما ذكره صحيح، فالله سبحانه لم يبق عذراً لمتعلّل بعد أن أنزل القرآن الكريم وتحدّى به العالم.

ولكنّه لا ينافي دعم تلك المعجزة الباهرة ببعض المعجزات الأُخرى، فإنّ الناس على أصناف :

صنف منهم ربما يكتفي بسماع القرآن الكريم وتحدّي النبي به.

وصنف آخر ربما يطلب معجزة ملموسة حتى يقتنع بأنّه وحي منزل.

ولو صحّ ما ذكره فمعنى ذلك أنّه لم تصدر من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)آية معجزة غير القرآن الكريم، مع أنّه غير صحيح لتضافر الر

معنى أو متواتر إجمالاً.(لاحظ: مفاهيم القرآن: ٤ / ٨٩ ـ ١٠٧.)

وقد ألّف الشيخ الحرّ العاملي في هذا الموضوع كتاباً أسماه: «إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات» وذكر فيه معاجز النبي (صلى الله عليه وآله وس

أمّا الوجه الثاني: فإنّ ما ذكره يرجع إلى أمرين:

أ. أنّه إذا كان هناك انشقاق لرآه الناس في عامّة المناطق ونقلوه إلى الأجيال المتأخّرة.

ب. لو كان هناك انشقاق لرصده أصحاب المراصد في البلاد المتحضّرة .

يلاحظ على الأمر الأوّل: بأنّ القمر يُرى في نصف الكرة الأرضية لا في جميعها، فلابد من إسقاط نصف مجموع سكان الكرة من إمكانية رؤ

على أنّ الحوادث السماوية إنّما يُلتفت إليها إذا كانت مصحوبة بصوت كما في الصاعقة أو بظلمة كما في الخسوف والكسوف، أمّا إذا خلت

ويلاحظ على الأمر الثاني: بما ذكره السيد الطباطبائي حيث قال: إنّ الحجاز وما حولها من البلاد العربية وغيرها لم يكن بها مرصد للأوض

على أن بين بلاد الغرب التي كانوا معتنين بهذا الشأن وبين مكة من اختلاف الأُفق ما يوجب فصلاً زمانياً معتدّاً به، وقد كان القمر ـ على م

على أنّا نتّهم غير المسلمين من أتباع الكنيسة والوثنية في الأُمور الدينية التي لها مساس نفع بالإسلام .(الميزان في تفسير القرآن: ١٩ / ٦٤ ـ ٦٥)

ويلاحظ على الوجه الثالث: بأنّ الروايات الواردة حول انشقاق القمر عند السنّة مستفيضة، بل صرّح بعضهم بتواترها، وأمّا عند الشيعة فند

ويلاحظ على الوجه الرابع: أنّه بعيد من مثله جدّاً، اذ لا ملازمة بين اقتراب الساعة في الزمان الماضي وانشقاقه فيه، بل يجب التفكيك بين

وبالجملة فهذه الوجوه لا تصدّ المفسّر عن الأخذ بظهور الآية .

دليل المنكرين الجدد

هذه الوجوه هي التي استند إليها المتقدّمون وهناك مَن ينكر الواقعة اعتماداً على العلوم الحديثة، وقال: إنّ الانشقاق لا يقع إلاّ ببطلان التج

يلاحظ عليه: أنّ المستشكل لم يقف على واقع الإعجاز، فإنّ المعجزة تستند إلى قدرة قادرة غير متناهية وهي قدرة الله تبارك وتعالى، فالذ

والحق أنّ مَن يتبنّى أمثال هذه الدعاوي من مصاديق : (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ)(الأنعام:٩١؛ الزمر:٦٧.) ولم يعرفوه.

ثم إنّ القول بعدم الانشقاق لبعض هذه الوجوه ربما ينجرّ إلى القول ببطلان المعراج خصوصاً على القول بأنّه من المسجد الأقصى إلى السم
ثانياً، مع أنّ سيره (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أسرع من ذلك، إلى غير ذلك من الضوابط التي أثبتها العلم للأُمور الطبيعية وهي في نفسها
نعم يجب على المحقّق أن لا يعتمد على الروايات الضعيفة في بيان كيفية انشقاق القمر، فقد أُضيفت إليها أُمورٌ أشبه بالخرافة، فقالوا: بأنّ
ومحتمل ومكذوب حسب ما ذكره الطبرسي عند تفسير قوله سبحانه: (سُبْحَانَ الذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ)(الإسراء: ١.).
فعلى العلماء الواعين أن يجرّدوا كتب الأحاديث والتفاسير من الموضوعات والخرافات حتى لا يعتقد بصحّتها قليلو المعرفة والسُّذَّج من النا
٣. (وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمرٍ مُسْتَقِرٌّ):
لمّا حكى سبحانه في الآية المتقدّمة وصفَهم انشقاق القمر بالسحر المستمرّ، وأنّ محمداً يسحر الناس بأفعاله مرّة بعد أُخرى، صرّح هنا بأنّهم
ثم إنّ البيان القرآني عاد إلى تسلية النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بتهديد المشركين بقوله: (وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ) أي مُنته إلى غاية يتبيّن

الآيات ٤ ـ ٨ (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ... هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ).

الآيات: الرابعة إلى الثامنة

(وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ * خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُ

المفردات

مُزدجَر: مصدر ميمي بصورة اسم المفعول مأخوذ من زجر، فإذا صيغمن باب الافتعال يكون (ازتجر) والضابطة في التاء بعد الزاي قلبها إلى
حكمةٌ بالغة: أي واصلة غايةَ الإحكام. ورفع (حكمة) على أنّها خبر لمبتدأ محذوف، أو بدل من (ما) في قوله:(مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ).
«فما»: ما: للنفي لا للاستفهام.
النُّذُر: جمع نذير، أو منذر. ولكن أُريد في الآية المعنى المصدري أي الإنذارت.
الداع: حذفت الياء لأنّ الكسرة تدلّ عليها، وإثبات الياء فيه أجود كما في قوله تعالى: (يَوْمَئِذ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ)(طه: ١٠٨.) .
نُكُر: الأمر الصعب الذي لا يُعرف.
الأجداث: جمع جدث، بمعنى القبر.
مُهطعين: من هطَع: والإهطاع الإسراع في المشي، أو مدّ العنق للاستماع والرؤية.

التفسير

٤. (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ):
لمّا ورد في الآيات السابقة أنّ المشركين كذبوا النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)
ووصفوا معجزته الكبرى بالسحر، واتّبعوا الأهواء مكان متابعة الحق، عاد البيان القرآني لتحذيرهم، بالاعتبار بما مرّ على الأُمم السابقة
العظيم.
٥. (حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ) :
أي ما جاءهم من الأخبار (حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ) أي واصلةٌ غايةَ الإحكام، مفيدة لهم. والحكمة: كلمة الحق التي يُنتفع بها، والبلوغ الذي هو بمعنى
تُجدِ في قلع الشرك عن قلوبهم والضلالة عن أرواحهم، وما هذا إلاّ لتسلّط العناد واللجاج عليهم، وعند ذلك أمر النبي (صلى الله عليه وآله
٦. (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ):
لمّا أعرض القوم عن تلك العظات الزاجرة، ولم يُعيروا أدنى اهتمام لتلك الإنذارات، عناداً ومكابرة، وانطفأ أي بصيص رجاء في استجابتهم
فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ)(الذاريات: ٥٤.)، فإنّك ما قصّرت في إقامة الحجّة وبيان الحق، فاللوم متوجّه إليهم دونك، لكن هؤلاء لا يُتركون على ما هم

وأمّا ما هو المراد من هذا اليوم، فقد فسّرته الآية التالية.

٧. (خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ):

أي يوم يخرجون من قبورهم (خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ)، أي ذليلةً خاضعةً أبصارهم من شدّة الهول، فالذلّة من أوصافهم لكن نُسبت إلى الأبصار

ويركب بعضه فوق بعض، وقد يبلغ سرب الجراد ـ عندمايهاجر ـ عدّة ملايين، كما تبلغ أسرابها من الضخامة في بعض الأحيان ما يؤدّي إ

٨ . (مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ):

ثم يصف سبحانه هؤلاء السائرين إلى جهة الداعي بقوله: (مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ)أي مسرعين إليه أو مادّين أعناقهم لاستماع كلام الداعي، فإ

الآيات ٩ ـ ١٧ (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا ... فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) .

الآيات: التاسعة إلى السابعة عشرة

(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَ قَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ* فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا ا

المفردات

فانتصر: أي انتقم.

منهمر: الانهمار: الانصباب.

دُسُر: المسامير التي تشدّ بها السفينة، واحدها: دِسار أو دَسْر.

كُفِرَ: أي كُفر به وجُحد، وهو نوح (عليه السلام).

مدّكر: أصله من (ذكر)، فإذا صيغ من باب الافتعال يصير (مذتكر) فتقلب التاء دالاً حسب الضابطة، ولأجل وجود الثقل بين الدال وال

التفسير

كانت الآيات الماضية تتضمّن عرضاً إجمالياً للأمم المكذبة ومصيرها في يوم القيامة دون الإشارة إلى أسمائهم وأوصافهم، وبما أنّ في بيان الم

٩. (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَ قَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ):

افتتح سبحانه إنذاره ببيان تكذيب قوم نوح، وهذا يشعر بأنّه(عليه السلام) شيخ الأنبياء ذوي الدعوات الإصلاحية في المجتمع، ولم يك

قومك ومترفيهم (قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا)فعبّر عن نوح بقوله: (عَبْدَنَا)للإشارة إلى أنّه كان مبعوثاً بالدعوة إلى توحيد الله سبحانه ومكافح

ثم إنّ اتّهامهم إيّاه بالجنون شنشنة أعرفها من كلّ فئة تناهض المصلح الذي يدعو الناس إلى التخلّي عن أعرافهم وتقاليدهم الفاسدة؛ لأنّ ا

أمام الجماعة، ولذلك نرى أنّ الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم)اتُّهم بالجنون أيضاً، كما يقول: (وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ)(القلم: ٥١.) بل

سورة القمر: الآيات ٩ ـ ١٧ ...

فلما أتمّ الحجة عليهم ويئس من إيمانهم، وقد لبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، لم يجدْ بُدّاً إلاّ الدعاء عليهم بالإهلاك، كما قال:

١٠. (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ) :

فلم تكن غلبتهم بالحجّة والبرهان وإنّما كانت بالقهر والأذى، ولذلك استحقوا الدعاء عليهم حتى ينتقم الله سبحانه منهم، وتشير بعض

قوله(عليه السلام): (رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَ لاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا)(نوح: ٢٦ و ٢٧.)

١١ و ١٢. (فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ) :

لمّا دعا نوح (عليه السلام)على قومه وطلب من الله الانتصار والانتقام، استجاب الله دعاءه، وقضى جلّت قدرته، بأن يهلكهم غرقاً، وتحق

جعلنا الأرض كلّها كأنّها عيون تنفجر، فعند ذلك تحقّق قوله: (فَالْتَقَى الْمَاءُ)أي الماءان ـ ماء السماء وماء الأرض ـ على (أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ) أي ق

قال الشريف الرضي: قوله سبحانه: (فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ)أي اختلط ماء الأمطار المنهمرة بماء العيون المنفجرة، فالتقى ماءاهما عل

ويظهر من بعض الآيات أنّ الماء عمّ الجبال، حيث إنّ ابن نوح لمّا أبى أن يلبّي نداء أبيه بركوب السفينة، و (قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِ
ولمّا كان في استيلاء الماء على جميع الأرض إيهام بشمول الهلاك لنوح والمؤمنين به، بيّن سبحانه في الآيات التالية كيفية نجاتهم من الهلاك و

۱۳. (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَ دُسُرٍ) :

والمراد من حمله على ذات الألواح والدسر، هو الحمل على السفينة، فإنّه(عليه السلام) قد صنعها يوم ذاك بتعليم من الله وتسديده، من ألواح
الأمواج العاتية(قال تعالى:(وهي تجري بهم في موج كالجبال)(هود:٤٢).) في خضم ذلك الطوفان الهادر وتستقرّ سالمةً بأهلها، على الجوديّ، وما ذلك

۱٤. (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ):

أي بحفظنا لأنّ العين آية ذلك، فالجملة كناية عن العناية الإلهية التي شملت السفينة ومن فيها، وما جريان السفينة ونجاة من فيها من ا

۱٥. (وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) :

وفي غرق قوم نوح عبرة للمشركين والمعاندين أوّلاً وعبرة أُخرى للبشرية كلّها ثانياً .

والضمير في قوله: (تَرَكْنَاهَا)يعود على (ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَ دُسُرٍ) والمراد به ـ كما مرّ ـ السفينة وأُريد من الترك الإبقاء وعدم الإزالة وصيانتها من
وأمّا أين هذا الجبل فربما يقال بأنّ الجوديّ جبل قرب قرية تُسمّى «باقردي» من جزيرة ابن عمر قرب الموصل شرقي دجلة ولكنّه لا يوجد
أنقاض سفينة نوح(عليه السلام) وقد شوهد على تلك اللوحة كتابة تعود حروفها إلى أقدم اللغات، ترجمها بعض العلماء إلى اللغة الروس
جميعهم عظماء... ساعدني...). ويراد بايليا: عليّ، وبشبّر: الحسن، وبشبير: الحسين(عليهم السلام).
لقد ترك الله هذه السفينة الآية، وما على لوحتها من آية، تركها آية للعالمين، وتذكرة للمدّكرين .(تفسير الفرقان: ٢٧ / ٤٨٧، ٢٩/٩٠ـ ٩٣. وفيه أنّ
ثم إنّه سبحانه كما ترك سفينة نوح لتكون آية وعبرة للعالمين، فقد ترك أيضاً بدن فرعون ليكون كذلك وقال: (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُ

۱٦. (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ) :

هل الآية خطاب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)أو لعامّة الناس؟
الثاني أنسب، والاستفهام ليس استفهاماً حقيقياً وإنّما الغاية من إيراده هو إلفات نظر السامعين إلى عذاب المكذِّبين وإنذار المنكرين، أي
إنّما الكلام في (نُذُرِ) جمع نذير، فهل هو بمعنى المنذر، أو أُريد به المعنى المصدري أي الإنذار؟
الظاهر هو الثاني، وذلك لأنّ التكذيب إذا تعلّق بالأنبياء والرسل يتعدّى بنفسه، كما في قوله سبحانه: (كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ)(
هذا والله سبحانه يذكر في قصة ثمود قوله: (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ) فذكر التكذيب بحرف الجرّ، وهذا دليل على أنّ المراد بالنذر في هذه الآية

۱۷. (وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ):

أي سهّلنا القرآن للاتّعاظ بقصصه حيث تجمع كلّ حكمة كافية لهداية الناس، فهل من متذكّر ومعتبر يعتبر بها ؟
ثم إنّ هذه الآية قد تكرّرت بعد كلّ قصّة ومشهد، و الغاية من التكرار هي إلفات نظر المستمع إلى يُسر القرآن لمن أراد التذكّر.
إنّما الكلام في كيفية تيسير القرآن الكريم.
لا شكّ أنّ القرآن نزل بلسان عربي مبين، والذي صار سبباً ليسر القرآن للقراءة والتلاوة أو للتنبّه والتذكّر أو للحفظ عن ظهر قلب، هو

أ. فصاحة ألفاظه وجمال عباراته.

ب. بلاغة معانيه وسموّها.

ج. روعة نظمه وتأليفه، وترابط كلماته وتناسق آياته.

د. بداعة أُسلوبه الذي ليس له مثيل في كلام العرب.

هـ. اللحن المتجانس للآيات كلّ مع الآخر، ويتجلّى ذلك في السور المكّية أكثر من غيرها، كما في آيات سورة التكوير وأمثالها.

وهذه الأُمور هي التي صارت سبباً ليسر القرآن وانجذاب النفوس إليه بحيث إذا قرع السمع ووصل إلى القلب، يحسّ الإنسان فيه لذة وحلا
قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لكلّ شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن».(الكافي: ٢ / ٦١٥، كتاب فضل القرآن، باب ترتيل القرآن
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «زيّنوا القرآن بأصواتكم»(مستدرك الوسائل: ١ / ٢٩٥).
كلّ ذلك صار سبباً ليسر القرآن في صور مختلفة، وإنّ القرآن ـ مع كونه نثراً منثوراً ـ لكن يختلف عن مشابهه بيسر الحفظ، إذ قلّما يمح
بقيت هنا كلمة وهي: أنّه سبحانه هو الرحمن الرحيم فكيف يعذب قوماً تركوا قبول دعوة رسله وأنبيائه؟ فهل يستحق التارك لهذا النوع من
والجواب: إنّ الهدية على قسمين:
١. هدية تتعلّق بالحياة المادية من الطعام واللباس فإنّ رفضها لا يسبب إلاّ حرمان الإنسان من هذه النعمة .
٢. هدية إلهية تكمن فيها سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة وهي نعمة كبيرة منه سبحانه فرفض هذه الهدية إهانة للمُهدي سبحانه، فيست

الآيات ١٨ ـ ٢٢ (كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِ ... فَهَلْ مِنْ مُدَّكِر).

الآيات: الثامنة عشرة إلى الثانية والعشرين

(كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْس مُسْتَمِرّ * تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْل مُنْقَعِر * فَكَيْ

المفردات

صَرصراً: من الصرّ، وذلك يرجع إلى الشدّ لما في البرودة من التعقّد.(المفردات للراغب: ٢٧٩).والمراد شدّة الصوت حيث إنّ «صرصر» يحاكي صوت
النحس: سوء الحال.
الأعجاز: أُصول النخل.
منقعر: القعر: نهاية أسفل الشيء، فمعنى (أَعْجَازُ نَخْل مُنْقَعِر) أي ذاهب في أصل الأرض، ولذلك يقال: انقعرت الشجرة أي انقلعت من ج

التفسير

تقدّم أنّ الله سبحانه ذكر للعبرة حياة أقوام قاموا بوجه الأنبياء المرسلين إليهم، وذكر منهم خمسة أقوام أوّلهم ـ كما مرّ ـ قوم نوح، وثانيهم
وكان مصير قومه كمصير قوم نوح بداية ونهاية كما يقول سبحانه:
١٨. (كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِ) :
فأنذر قومه فقال لهم: (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْم عَظِيم)(الأحقاف: ٢١). ولكن لم ينفعهم إنذاره، وتمادّوا في عنادهم، فاستحقوا العقا
ويظهر من بعض الآيات أنّ هوداً أوعدهم ولكن لم يبالوا وعيده وقالوا له في تحدٍّ أرعن: (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)(الأحقاف
١٩. (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْس مُسْتَمِرّ):
والآية تحكي كيفية إهلاكهم وتعذيبهم، وأنّه كان بإرسال الريح الصرصر في يوم نحس أي سيّئ الحال كما قال: (فِي يَوْمِ نَحْس مُسْتَمِرّ)وهل ال
ولمّا كانت الريح عاتية باردة مهلكة واستغرقت سبع ليال وثمانية أيام متتالية، فقد تناثرت أشلاء القوم على وجه الأرض، كما يقول :
٢٠. (تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْل مُنْقَعِر):
فصاروا كأنّهم أُصول نخل اجتثّت من جذورها وطُرحت على الأرض.
٢١. (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِ) :
أي كيف ترون عذابي وإنذاراتي لمن نصب العناد في وجه أنبيائه؟
٢٢. (وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِر):
تقدّم تفسير الآية. وبما أنّه سبحانه سلّط عليهم الريح سبع ليال وثمانية أيام كما جاء في سورة الحاقّة (الحاقة: ٦ و ٧). فيكون هذا قرينة

كلام في نحوسة الأيام

من الأفكار الشائعة بين الناس نحوسة بعض الأيام مقابل السعودة في البعض الآخر، وكأنّ الأيام بالذات تنقسم عندهم إلى قسمين: نحس و

ولنا أن نسأل هل لهذه الأفكار رصيد من العقل والشرع، أو لا؟

والجواب رهن دراسة الآيات والروايات المتعلّقة بالموضوع، فنقول:

يظهر من بعض الآيات كون الأيام بتمامها أياماً مباركة، قال سبحانه: (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَ

فالله قد خلق الأرض وجعلها مباركة في تلك الأيام (وإن كانت أزمانها غير أزمان أيامنا هذه)، فكيف توصف الأيام بالنحس؟

وقال تعالى في آية أُخرى: (الذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَات طِبَاقًا مَا ترى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُت فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ ترى مِنْ فُطُور) (الملك: ٣.)

وصف الأيام بالسعد والنحس حسب الحوادث

قد عرفت أنّ الزمان بما هو هو لا يوصف بالنحس ، ولكن ربما يوصف به أو بالسَّعْد بحسب الحوادث الواقعة فيه، ومثال ذلك أنّه سبح

لَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَ هُمْ لاَ يُنْصَرُونَ)(فصّلت: ١٦.) فكون هذه الأيام أيام نحسات باعتبار هلاك القوم فيها. والحقّ أنّ النحوسة في وجود

ويظهر من بعض الآيات أنّه يحق للإنسان أن يتّخذ اليوم الذي نزلت فيه الخيرات عيداً يحتفل فيه ويُسرّ، كما هو الحال في اليوم الذي نزلت

فاليوم الذي نزلت فيه المائدة لا يختلف عن اليوم الذي قبله أو بعده، فإنّ اليوم يحدث نتيجة دوران الأرض حول نفسها، وهي بالنسبة إلى

هذا ما يستفاد من الآيات وتؤيده الأحاديث والروايات الواردة عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام)نذكر منها ما يلي:

١. عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنّه قال: «إذا تطيّرتَ فامض، وإذا ظننت فلا تقض، وإذا حسدتَ فلا تبغ».(تحف العقول:٥٠.) والتطيّر هو

٢. وعن بريدة بن الحصيب: أنّ النبي(صلى الله عليه وآله) كان لا يتطيّر من شيء.(سنن أبي داود:٧٣١، كتاب الطب، باب في الطّيرة، برقم ٣٩٢٠.)

٣. روى الشيخ الجليل ابن شعبة الحرّاني عن الحسن بن مسعود الذي هو من أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام)قال: دخلت على أبي الحس

فقال (عليه السلام)لي: «يا حسن هذا وأنت تغشانا ترمي بذنبك من لا ذنب له».

قال الحسن: فأثاب إليّ عقلي وتبيّنت خطائي، فقلت: يا مولاي أستغفر الله، فقال: «يا حسن ما ذنب الأيّام حتى صرتم تتشأّمون بها إذا جو

عاجلاً وآجلاً»؟. قلت: بلى يا مولاي. قال (عليه السلام): «لا تَعدْ ولا تجعل للأيّام صنعاً في حكم الله» قال الحسن: بلى يا مولاي .(تحف الع

٤. روى الصدوق (رحمه الله) بإسناده عن محمد بن أحمد الدقّاق البغدادي قال: كتبت إلى أبي الحسن الثاني (عليه السلام)]يعني الإمام الرض

لا يدور؟ فكتب (عليه السلام): «مَن احتجم في «يوم الأربعاء لا يدور» خلافاً على أهل الطيرة عوفي من كل آفة، ووقي من كلّ عاهة، ولم تخض

ترى أنّ الإمام (عليه السلام)يكافح فكرة نحوسة الأربعاء بل يؤكّد على السفر والحجامة فيه، بل كانوا(عليهم السلام)يكافحون فكرة النح

٥. روى الصدوق (رحمه الله) عن محمد بن رباح القلاّء، قال: رأيت أبا إبراهيم(عليه السلام)]يعني الإمام الكاظم[يحتجم يوم الجمعة، فقلت: -

والظاهر من الرواية أنّ الأيام بالنسبة إلى الاحتجام سواء، وإنّما أمر بقراءة آية الكرسي لأجل إزالة بعض الوسوسة عند السائل الذي ارتك

نعم ورد في روايات عديدة ما يخالف ما ذكرنا، بَيد أنّ أكثر هذه الروايات غير معتبر، إمّا لكونها مرسلة، أو لاشتمال أسانيدها على رواة مج

ومهما يكن، فإنّ المفهوم العام الذي حرص أئمّة أهل البيت(عليهم السلام)على غرسه في الأذهان، هو أنّ للمرء، بعد أن يثق بالله سبحانه و

المفهوم فهي في محلّ نظر.

هذا كلّه يرجع إلى سعودة الأيام ونحوستها، ولكن يبقى الكلام في تأثير الأوضاع الفلكية للشمس والقمر والنجوم والكواكب، فلا يمكن

الآيات ٢٣ ـ ٣٢ (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ * فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ ... فَهَلْ مِنْ مُدَّكِر).

الآيات: الثالثة والعشرون إلى الثانية والثلاثين

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ * فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلاَل وَ سُعُر * أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ* سَيَعْلَمُونَ غ

يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ).

المفردات

سُعُر: السُّعر: الجنون، يقال: سُعر فلان فهو مسعور أي جُنّ فهو مجنون. هذا المعنى هو المناسب في المقام. ولكن المراد منه في قوله: (إِنَّ الْمُـ

الأشِر: البطِر والمتعاظم.

شِرب: النصيب.

محتضَر: (بفتح الضاد): يحضره صاحبه في نَوبته.

هشيم: نبات يابس متكسّر.

المحتظِر: ما يجمعه صاحب الحظيرة من الحشيش اليابس لأكل الماشية.

التفسير

ما تتحدّث عنه هذه الآيات هو الأُنموذج الثالث من الأقوام الذين في حياتهم وهلاكهم عِبر ودروس للمشركين، فقد عاش قوم ثمود بعد قو

وقد دعاهم نبيّهم صالح(عليه السلام) بمثل ما دعا هوداً(عليه السلام) إليه وقال: (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَه غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ

٢٣. (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ) :

فكان موقفهم من نبيّهم نظير موقف قوم عاد مع نبيّهم هود، غير أنّ هؤلاء برّروا عدم اتّباع نبيهم «صالح» في دعوته إلى التوحيد وطاعة الـ

٢٤ ـ أ. (فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلاَل وَسُعُر):

إنّهم ينكرون أن يكون نبيهم بشراً مثلهم، ومنشأ هذا الإنكار، هو تصوّرهم أنّ النبي يجب أن يكون من جنس أرفع، منطلقين في هذ

بكلّ جدارة.

ثمّ رتّبوا على ذلك التصوّر الساذج النتيجة التالية، وهي أنّهم لو تبعوا نبيّهم لجانبوا الصواب وفسدت عقولهم، وصاروا ضُلاّلاً ومجانين!! هكذ

٢٥ ـ ب . (أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ):

لمّا رأوا أنّه (عليه السلام) مثلهم ومن نوعهم، وأنّه لا ميزة له عليهم، أنكروا إنزال الوحي عليه من الله، واختصاصه به من دونهم، وعلّلوا ا

٢٦. (سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ) :

أي (سَيَعْلَمُونَ غَدًا)أي يوم القيامة (مَنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ) فهل هو النبيّ صالح(عليه السلام) أو مَن أعرض عنه واتّهمه بالاختلاق والرغبة فـ

٢٧. (إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَ اصْطَبِرْ):

لمّا أتمّ النبي صالح (عليه السلام)الحجّة على قومه طلبوا منه أن يأتيهم بآية تدلّ على صدق نبوته، وهي أن يخرج لهم ناقة من إحدى الصخور

ولم يكن إرسال الناقة إلاّ اختباراً لهم، ولذلك خاطب الله نبيّه صالح بقوله: (إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ)اختباراً وامتحاناً (فَارْتَقِبْهُمْ وَ اصْـ

ثم لمّا كان للناقة قداسة خاصّة، كيف وهي معجزة إلهية كبيرة أمرهم نبيّهم أن يتركوها وشأنها ترعى حيث شاءت في أرض الله، وأن يكو

٢٨. (وَ نَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْب مُحْتَضَرٌ):

أي كلّ نصيب من الماء يحضره أهله لا يحضر آخر معه، ففي يوم الناقة تحضره الناقة، وفي يومهم يحضرونه، والمعنى يوم لهم ويوم لها، ولمّا كان

٢٩. (فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ) :

أي نادَوا واحداً من أشرارهم فلبّى نداءهم (فَتَعَاطَى فَعَقَرَ) أي تناول الناقة بالعقر بأن قطع قوائمها بالسيف، فاستحقّوا بذلك عذاب الله سـ

٣٠. (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِ) :

ولمّا ورد تعذيبهم في الآية على نحو الإجمال، جاء تفصيله في الآية التالية وقال :

٣١. (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ):

لقد جاء أمر الله بأن يُهلك هؤلاء الظالمين بصوت شديد مدوٍّ، وليس ببعيد أن يكون ذلك الصوت الذي يصاحب عادة الصاعقة السماو

٣٢. (وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) :

وقد مرّ تفسير الآية.

الآيات ٣٣ ـ ٤٠ (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ... فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ).

الآيات: الثالثة والثلاثون إلى الأربعين

(كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ * وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْ

المفردات

حاصباً: أي ريح ترميهم بالحجارة والحصباء.

بطشتنا: البطش: تناول الشيء بصولة، يقال: يدٌ باطشة .

فتماروا: التماري تفاعُل من المراء وهو الشكّ، والصيغة هنا للمبالغة، فعلى هذا فتكون كناية عن التكذيب، قال تعالى: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَ

فراودوه: المراودة: المطالبة بأمر بالرفق واللين ليعمل به مع ضرب من المخادعة، قال سبحانه: (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ)(يوسف:

طَمسْنا أعينهم: محوناها، فعميت أبصارهم.

التفسير

هذا هو المشهد الرابع الذي يعرضه القرآن الكريم لبيان حال المكذِّبين بنبوة الأنبياء والرسل، وهو مشهد قوم لوط(ورد في كتب الأنساب وغي

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(العنكبوت: ٢٦.) واستقر بعد الهجرة في أرض الأردن (حاليّاً) .

وكان قومه يزاولون أقبح الأعمال وأشنعها، وقد نهاهم لوط(عليه السلام) عنها نهياً مؤكّداً، ولكن كانت النتيجة التولّي عنه وتهديده.

٣٣. (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ) :

أي كذّبت بإنذاراته وقد حكى سبحانه تكذيبهم في آيات آخرى وقال: (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ)(الشعراء: ١٦٠.).

وبما أنّهم كانوا يقطعون الطريق على المارّة ويمارسون معهم عمليات السلب والشذوذ الجنسي ويتعاطون في مجالسهم كلّ منكر ورذيلة وف

٣٤. (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ) :

فقد أهلكهم سبحانه بإمطار حجارة من سجيل عليهم كما قال: (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ)(الحجر: ٧٤.)، وهذا هو المراد من قول

ثمّ أشار سبحانه إلى الناجين من ذلك العذاب الإلهي، وإلى سبب إنجائهم فقال:(إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ)أي خلصناهم في وقت السحر و

أمّا سبب الإنجاء، فكشف عنه قوله:

٣٥. (نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ) :

أي إنّ إنجاء آل لوط كان نعمة أنعمنا بها عليهم لأنّهم كانوا شاكرين غير كافرين بنعمة الله التي هي دعوة الأنبياء، وهذه سنّة من سنن الله

نعم جرت سنّة الله تعالى على عدم تعذيب قوم إلاّ بعد إتمام الحجّة عليهم، وقد ركّز سبحانه على هذا في غير واحدة من الآيات وقال: (وَمَا

٣٦. (وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ) :

قام النبي لوط (عليه السلام)بمهمته الرسالية حيث خوّفهم من بأس الله تعالى وعذابه ولكنّهم لم يأبهوا له ولم يرتدعوا بل راحوا يستخفّو

٣٧. (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَ نُذُرِ):

قضت مشيئته سبحانه بتطهير الأرض من هؤلاء الفسقة، فأرسل ملائكة على هيئة رجال فنزلوا أوّلاً ضيوفاً على إبراهيم الخليل (عليه

إقناعهم بالعدول عن هذه الفكرة بمختلف الأساليب فلم يفلح، وعند ذاك حلّ بهم العذاب الأوّل وهو أنّه سبحانه أعمى أبصارهم فلم ير

٣٨. (وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ):

أي أتاهم العذاب صباحاً حتى هلكوا جميعاً، ولقد كان هلاكهم بأنواع من العذاب:

أ. (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ)(الحجر: ٧٣).

ب. (لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ)(الذاريات: ٣٣).

ج. (فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا)(الحجر: ٧٤).

فقوله تعالى في الآية: (بُكْرَةً)بمعنى أوّل النهار وهو الصبح، وقوله: (عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ) كناية عن استئصالهم عن آخرهم، فإنّ العذاب الدائم ل

٣٩. (فَذُوقُوا عَذَابِي وَ نُذُرِ) :

وقد كرّر هذه الآية في هذا المشهد مرتين، الأُولى خاطب بها الذين طُمست أعينهم من قوم لوط(عليه السلام) الذين راودوه في بيته عن ضيف

٤٠. (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ):

مرّ عليك تفسير الآية .

الآيتان ٤١ ـ ٤٢ (وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ * كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ) .
الآيتان: الحادية والأربعون والثانية والأربعون
(وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ * كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ) .
التفسير

هذا هو المشهد الخامس من مشاهد حياة الطغاة ومصائرهم التي عرضها القرآن في هذه السورة، وهو يتحدّث عن لقاء نبي الله موسى (عل

٤١. (وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ) :

أي جاء الإنذار بعد الإنذار إلى آل فرعون، وقد حكاه سبحانه في غير واحدة من الآيات منها:

١. (وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لاَ أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَة مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِ

٢. (أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * وَأَنْ لاَ تَعْلُوا عَلَى اللهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَان مُبِين)(الدخان: ١٨ و ١٩).

ولكن هذه الخطابات الناصعة لم تنفع في إفاقتهم من نومة الغفلة ولا من أَنَفة التكبّر، بل:

٤٢. (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ):

لمّا ألقى موسى (عليه السلام) الحجج الواضحات على طاغية مصر وملئه، وأراهم الآيات الباهرات الدالّة على نبوّته وصحّة رسالته، قابلوها

الآيات ٤٣ ـ ٤٦ (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ ... وَ السَّاعَةُ أَدْهَى وَ أَمَرُّ)
الآيات: الثالثة والأربعون إلى السادسة والأربعين
(أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ * أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ * سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ
المفردات

الزُّبُر: جمع زَبور بمعنى الكتاب، مشتق من الزَّبْر وهو الكتابة.

أدهى: أي أعظم داهية، وهي البليّة التي ليست في الخلاص منها حيلة.

أمرّ: أي أشد مرارة.

التفسير

كانت الخطابات السابقة موجهة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)حقيقة، ولكنّه سبحانه غيّر أُسلوب الكلام، في هذه الآيات، فوجّه خطابه إل

٤٣ . (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ):

هذه الآية أتت على ذكر أمرين من معاذيرهم وهما:

الأوّل: أن يزعموا أنّهم خير من الماضين الذين سبق التحدّث عن مصيرهم السيّئ، فلذلك لا يعمّهم ما عمّ أُولئك من العذاب؛ فأبطله سبح

الثاني: أن يتصوّروا أنّهم قد كُتبت لهم البراءة من العذاب في الصحف السالفة، فأبطل سبحانه هذا التصوّر بقوله: (أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ)

٤٤ . (أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ):

الثالث: هذه هي المعذرة الثالثة لإعراضهم عن دعوة النبي ومناهضتهم له (صلى الله عليه وآله وسلم)وهي أنّهم كانوا يتصوّرون أنّهم لتماسكهم

٤٥. (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ):

والآية تتحدّث عن أمر سيقع قريباً وهو أنّ كفّار مكّة سيُهزمون، ويولُّون أدبارهم المؤمنين عند فرارهم، وقد تحقّق ذلك فعلاً في معركة ب

كان أتباعه مشرّدين في الآفاق، يلاقون العذاب من المشركين في كلّ صوب).(تفسير المراغي:٢٧/٩٨.)

٤٦. (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السَّاعَةُ أَدْهَى وَ أَمَرُّ):

انتقل سبحانه بعد إبطال تلك المعاذير إلى أمر آخر، وهو أن عذاب الآخرة أشدّ فظاعة وأمرّ مذاقاً من عذاب الدنيا، فإنّ ما سيذوقه هؤلاء

قال الشريف الرضي (رحمه الله): وهذه استعارة لأنّ المرارة لا يوصف بها إلاّ المذوقات والمطعومات، ولكن الساعة لمّا كانت مكروهة عند

العقاب ظهر في وجوههم ما يستدلّ به على فظاعة الحال عندهم وبلوغ مكروهها من قلوبهم فكانوا كلائك المضغة المَقِرة وذائق الكأس الم

الآيات ٤٧ ـ ٥٣ (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلاَل وَ سُعُر * ... وَ كُلُّ صَغِير وَكَبِير مُسْتَطَرٌ) .

الآيات: السابعة والأربعون إلى الثالثة والخمسين

(إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلاَل وَ سُعُر * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْء خَلَقْنَاهُ بِقَدَر * وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْ

المفردات

سقر: اسم علَم لجهنّم قال تعالى: (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَ مَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ)(المدثر: ٢٦ و ٢٧ .)، وقال: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ)(ا لمدثر: ٤٢.).

أشياعكم: الأشياع هي الأمثال، والمراد الأمثال في الكفر.

مستطَر: مكتوب مسطور، قال سبحانه: (وَكِتَاب مَسْطُور)(الطور: ٢.) .

التفسير

لمّا تقدّم قوله: (وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَ أَمَرُّ)احتاج ذلك إلى وصف بعض ما يلقى فيها هؤلاء المشركون المكذّبون من أنواع العذاب، لبيان أنّها أد

٤٧ و ٤٨. (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلاَل وَ سُعُر * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ):

فقوله: (يَوْمَ يُسْحَبُونَ)ظرف لكون المجرمين في ضلال وسُعر، أمّا كونهم في ضلال فقد أُريد به نتيجته وهو الخسران في الآخرة، وأمّا كون

سَقَرَ) أي ذوقوا حرّ جهنّم وكأنّه يقال لهم إذا أصابهم حرّها اللافح: هل هي كذب وخرافة أو هي صدق وحقيقة؟ ومن هنا استخدم كلمة (الم

٤٩. (إِنَّا كُلَّ شَيْء خَلَقْنَاهُ بِقَدَر):

من أجل معرفة تفسير الآية يجب بيان أمرين:

١. مفهوم الآية ومضمونها.

٢. صلة الآية بما قبلها.

أمّا الأوّل: أعني مفهوم الآية، فإنّ القدَر هو جعل الشيء على مقدار مخصوص ووجه معيّن حسب ما اقتضته الحكمة، وإلى ذلك يشير ق

تعالى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ)(الحجر: ٢١.)، فلكلّ شيء حدّ محدود في خلقه لا يتعدّاه.(الميزان في تفسير ا

فالله سبحانه خلق كلّ شيء على حدّ وهندسة خاصّة حسب ما اقتضته الحكمة، ويؤيّده سائر الآيات .

وأمّا الثاني: أعني صلتها بما سبقها من الآيات، فهي تقرّر ضابطة سائدة في الدنيا والآخرة، وهي أنّ الله خلق كلّ شيء بتقدير خاص وحساب

٥٠. (وَ مَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ):

الظاهر أنّ تأنيث (وَاحِدَةٌ) لكونها وصفاً لمقدّر وهو (كلمة واحدة)، ويكون مصداقها كلمة (كن) التكوينية، التي أُشير إليها بقوله سبحا

والآية عطف على قوله: (إِنَا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) والغاية من هذه الآية هي بيان أن تكوين الأشياء وخلْقَها لا يستغرق أيّ زمن، بل يح

نهج البلاغة: الخطبة ١٨٦.)، وعلى هذا يكون قوله: (كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) تمثيلاً لسرعة نفاذ مشيئته، لأنّه الوسيلة الوحيدة لتفهيم السرعة للإنسان

أقرب كما قال سبحانه: (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ).(النحل: ٧٧ .)

ثم إنّ هنا سؤالاً وهو: إنّ ظاهر قوله سبحانه: (وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) أنّ الأشياء تتحقّق بسرعة من فورها كلمح البصر، مع أنّ

خَلْق)(الزمر: ٦ .)، بل الذكر الحكيم يفصّل خلقة الإنسان ويقول: (فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَاب ثُمَّ مِنْ نُطْفَة ثُمَّ مِنْ عَلَقَة ثُمَّ مِنْ مُضْغَة مُخَلَّ

الجواب: أنّ الآية ليست بصدد بيان أنّ جميع الموجودات توجد دفعة واحدة، من دون تريّث وترتيب، بل المراد أنّ إيجاد كلّ شيء في ظرفه و

٥١. (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ):

كان الكلام في الآيات السابقة بطريقة الغَيبة حيث قال: (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلاَل وَ سُعُر)ولكن التفت هنا من الغيبة إلى خطاب المكذّبين

٥٢. (وَ كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ):

الظاهر أنّ الضمير المتّصل في (فَعَلُوهُ) يرجع إلى المجرمين، فالآية تهدّد المجرمين بأنّ أعمالهم، صغيرها وكبيرها، محفوظة في كتاب خاص، ل

٥٣. (وَ كُلُّ صَغِير وَ كَبِير مُسْتَطَرٌ):

كما كانت الآية السابقة ناظرة إلى تدوين ما صدر عن المجرمين من الأعمال، عاد البيان القرآني إلى تعميم هذا الكتاب وأنّه كتاب سُطّ

الإسراء:١٣ـ ١٤.)

الآيتان ٥٤ ـ ٥٥ (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّات وَ نَهَر * فِي مَقْعَدِ صِدْق عِنْدَ مَلِيك مُقْتَدِر).

الآيتان: الرابعة والخمسون والخامسة والخمسون

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّات وَ نَهَر * فِي مَقْعَدِ صِدْق عِنْدَ مَلِيك مُقْتَدِر).

المفردات

نَهَر: لغة في نهْر، ولعلّ الأوّل يستعمل في الماء الكثير والفيض العظيم. وأمّا إفراده فلأجل المحافظة على الفواصل .

مقعد: مكان القعود، قال سبحانه: (اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ)(التوبة: ٤٦ .) .

الصدق: يقابل الكذب.

مليك: مَلِك عظيم المُلك، وهو صيغة مبالغة، وتنكيره للتعظيم .

التفسير

٥٤ و ٥٥. (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّات وَ نَهَر * فِي مَقْعَدِ صِدْق عِنْدَ مَلِيك مُقْتَدِر):

قوله: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّات وَنَهَر) يقابل وصف المجرمين: (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلاَل وَ سُعُر).

فقد وصف مصير المتّقين بما يلي:

١. (فِي جَنَّات وَنَهَر) أي في جنات وأنهار تجري من تحت هذه الجنّات.

٢. (فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ).

٣. (عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ).

أمّا الأوّل أعني: (مَقْعَدِ) فواضح، إنّما الكلام في الثاني، فماذا يراد من لفظة (صِدْقٍ)؟ هنا وجهان:

١. يحتمل أن يكون وصف المقعد بالصدق مجازاً، وإنّما هو وصف للقاعدين، أعني: المتقين الصادقين في أعمالهم وإيمانهم.

٢. كون المقعد مقعد صدق لا يشوبه شيءٌ، أي مقعد تام ليس فيه نقص، فلا نقمة فيه ولا غمّ ولا فناء بل كلّه نعمة وسرور وبقاء، فإذا كا

قال الآلوسي: قال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه: مدح المكان بالصدق، فلا يقعد فيه إلاّ أهل الصدق.(روح المعاني:٢٧/٩٦.)

وأمّا الثالث ـ أعني: كونهم عند مليك مقتدر ـ فمعناه أنّهم في جوار رحمة الله وقربه، فالعندية عندية معنوية، فالقريب من الربّ الكريم

ثم إنّ بعض المجسّمة ربما يتوهّم أن قوله: (عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ) كونه سبحانه موجوداً في عرشه جالساً على سريره، والمتّقون في مقعد صدق

البقرة: ١٠٣ .)، (ومن الواضح أنّ المراد من المثوبة الجنة ودرجاتها)، وقوله سبحانه: (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ)(البقرة:

وعلى هذا فيكفي صدق كونه من عند الله كون الشيء منسوباً له سبحانه، بنحو من الانتساب، وإن كنت في شكٍّ من هذا فلاحظ الآية ال

فقد طلبت من الله سبحانه أن يبني لها بيتاً موصوفاً بأمرين:

١. عندك.

٢. في الجنّة.

فلو كان العند بمعنى المكان أي في جنبك، يكون قوله: (فِي الْجَنَّةِ)زائداً، لأنّه سبحانه ـ على فرض وجود المكان له ـ ليس في الجنة.

الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا
صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (١٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٦) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٧) فَبِأَيِّ آ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨) يَسْأَلُهُ مَنْ فِي
بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦
تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (٤٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥) وَلِمَنْ خ
مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ
تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَامَّتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِمَا
تُكَذِّبَانِ (٧٥) مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (

تسمّية السورة

تُسمّى السورة في المصاحف بـ «سورة الرحمن»، كما أنّها تُسمّى «عروس القرآن» فقد روي عن الإمام موسى بن جعفر، عن آبائه (عليهم السا

ولعلّ سبب تسميتها بعروس القرآن هو أنّ العروس ينثر على رأسها النقود وتكلَّل بالورد والياسمين، وكلّ ما هو جميل وغالٍ من الهدايا.

وقد تضمّنت السورة الكثير من آلاء الله سبحانه، وهو ما لم يذكر في سورة أُخرى.

عدد آياتها ومحلّ نزولها

عدد آياتها ثمان وسبعون آية في عدّ الكوفي والشامي، وسبع وسبعون آية في عدّ الحجازي(مجمع البيان: ٩ / ٣٦٣). وهي مكّية، قيل: غير آية و

أغراض السورة

ليس للسورة إلاّ غرض واحد وهو تذكير الإنس والجنّ بضروب النّعم الإلهية المادّية منها والمعنوية التي تفضّل بها الله عليهم، حتّى يعبدوه

إنّ التذكير بالنعم يؤدّي إلى معرفة الله سبحانه، التي تستدعي، بدَورها، الشكر والإقبال على الطاعة، ومجانبة العصيان والمخالفة. ولعلّ الح

شأن النزول

يحتمل أن يكون شأن النزول مرتبطاً بإنكار المشركين لاسم الرحمان ونفورهم منه كما يقول سبحانه: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَ

الصلح، وقال له: اكتبْ بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سُهيل بن عمرو (ممثّل قريش آنذاك): لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللّهُمَّ.(ت

وربّما قيل: إنّ سبب نزولها قول المشركين الذي حكاه سبحانه عنهم في سورة النحل حيث قالوا: (إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ)(النحل: ١٠٣ .) فردّ الله

ولكن الأخير ضعيف، والظاهر أنّ متعلّق التعليم عام لا يختصّ بالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم)فإن تعلّمه كان بنفس الإنزال، وسيأتي تفص

الآيات ١ ـ ٩ (الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ... وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ).

الآيات: الأُولى إلى التاسعة

(الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَان * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ

المفردات

بحسبان: الحسبان: مصدر لفعلين:

أ. حَسَبَ حُسباناً.

ب. حَسِبَ حِسباناً.

الأوّل بمعنى الحساب، والثاني بمعنى الظن.

قال الطبرسي: الحسبان مصدر حسبته أحسبه حساباً وحسباناً نحو الشكران والكفران. وقيل هو جمع حساب كشهاب وشهبان.(مجمع ا

النَّجم: يطلق النجم ويراد به نجم السماء، وربّما يطلق ويراد به ما ليس له ساق نحو العشب والبقل، في مقابل الشجر الذي له ساق. والمراد ب

قال الإمام علي (عليه السلام) في حقّ الخوارج لمّا قيل له: يا أمير المؤمنين، هلك القوم بأجمعهم، فقال: «كَلاَّ وَاللهِ؛ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلاَبِ الرِّجَ

ترى أنّه (عليه السلام)استعمل كلمة نَجَم بمعنى طَلَعَ وخرج.

وسُميّ نجم السماء والنبات نجماً لطلوعهما من السماء أو الأرض .

التفسير

١. (الرَّحْمَنُ):

إنّ هذه السورة فريدة في بابها حيث ابتدأت بأحد أسماء الله الحسنى وهو الرحمان، وهو اسم خاص بالله تبارك وتعالى لا يسمّى به غيره، ف

ووجه اختصاص الرحمان بالله سبحانه لأنّه يفيد رحمة عامّة، تعمّ جميع الأحياء من الحيوان والإنسان والمؤمن والكافر، وهذا النوع من الرحم

٢. (عَلَّمَ الْقُرْآنَ) :

هذه هي النِّعمة الأُولى من مجموع النِّعم والآلاء التي سيذكرها سبحانه في هذه السورة، وقد أطلق سبحانه تعليم القرآن ولم يذكر المتعلِّم،

من المعلوم أنّ إطلاق المتعلّق يوجب سعة التعليم من دون أن يختصّ بطائفة دون طائفة. أمّا الاحتمال الأوّل فضعيف جدّاً، لأنّه سبحانه

وسيأتي في سورة الجنّ أنّهم اهتدوا بهدى القرآن لمّا سمعوه، قال سبحانه: (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَ

وقدّم تعليم القرآن على خلق الإنسان، مع أنّ الظاهر هو تقديم خلقته على تعليمه، لأجل أنّ القرآن أعظم النعم قدراً وشأناً، وأرفعها مكاناً

وهناك وجه آخر لتقديم ذكر القرآن على خلق الإنسان وهو أنّ للقرآن وراء وجوده اللفظي أو الذهني وجوداً واقعياً ممتازاً مجرّداً عن المادّة وا

٣. (خَلَقَ الإِنْسَانَ):

هذه هي النعمة الثانية من نعم الله عزّ وجلّ، والمراد بالإنسان هو جنسه، وفي الآية دلالة على أمرين:

أ. أنّه سبحانه تفرّد في خلقه ولم يشاركه شيء في خلقه.

ب. أنّ خلق الإنسان موهبة من الله سبحانه إليه، حيث أخرجه من العدم إلى الوجود. وكأنّ خلق الإنسان أفضل من خلق السماوات، ولذل

٤. (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ):

هذه هي النعمة الثالثة التي ذكرها الله في هذه السورة، والمراد من تعليم البيان هو إعطاء القابلية للإنسان أن يعبّر عمّا في ضميره من الأفكا

إنّ البيان بهذا المعنى هو من الأُسس المهمة للحضارة، إذ كل إنسان يتعلّم شيئاً حسب تجاربه عبر حياته، فلو لم يتمكّن من نقل تجربته

الجهل ولا ترى وجه الواقع، وقد صرّح سبحانه في هذه السورة بتلك النعمة العظيمة، لكنّه صرّح بنعمة أُخرى هي قرينة للبيان وهي الت

والحضارة، فلولا البيان والقلم لما استقامت أُمور الدين والدنيا، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلاّ تعليم البيان، و

وبذلك يُعلم أنّ المراد من تعليم البيان هو ما ذكرنا لا اللغات المتداولة بين الشعوب والأُمم، ولا المعاني والحقائق، لأنّ الآية بعيدة عن هذ

نعم قوله سبحانه: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا)(البقرة: ٣١.) يناسب الاحتمال الأخير. فهذه الآيات مع ما ورد في سورة القلم تصبّ في مصبّ وا

٥ . (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) :

في هذه الآية يذكِّر سبحانه بالنعمتين: الرابعة والخامسة. والآية بمجموعها خبر عن (الرحمن) الوارد في صدر السورة، والجملة إذا وقعت خ

وهاتان النعمتان العظيمتان هما الشمس والقمر، فأمّا الشمس فهي مبدأ الحياة ومنبع الطاقة، ولولاها لعمّ الموت كلّ ذي حياة، قال سبحان

وأمّا القمر، فمع أنّه يأخذ نوره من الشمس فهو مصباح الأرض في الليل، وفي الوقت نفسه يهتدي به السائرون والمسافرون، قال سبحانه: (

ولكنّ المهمّ في الآية هو التركيز على أنّ حركة الشمس والقمر على حساب خاص من غير فرق بين الحركة الموضعية أو الانتقالية، فكلٌّ م

الزمر: ٥.) فهذا النظام البديع وهذا الجري الخاص إلى أجل مسمّى، يدلّ على وجود نظام دقيق في خلقهما وسيرهما دون أن يوجد هناك أي ا

٦. (وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ):

جاءت الآيات السابقة بلا عاطف وقال: (الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ *... الخ)ولكن جاءت هذه الآية مع العاطف، فما هو وجهه؟

لعلّ وجهه أنّ الآيات السابقة جاءت على طريقة التعديد، والضابطة فيه حذف العاطف، بخلاف هذه الآية فإنّها جاءت لبيان مظاهر قدرة

يقول الزمخشري: إخلاء الآيات الأُولى من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما يقول: زيد أغناك بعد فقر، أعزّك بعد ذل، كثّرك بعد قلّ

إملاء العربية اليوم توضع الفارزة «،» بين الجملتين.

وأمّا هذه الآية فإنّما جيء بها للدلالة على عظمة القدرة وإذعان الوجود لأمره التكويني ولذلك قال: (وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) أي يخضعا

السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)(فصّلت: ١١.).

نعم يفارق سجودُ النجم والشجر تسبيحَ ما في الكون، فإنّ الظاهر من التسبيح هو التسبيح القريب من التسبيح التشريعي، لأنّه سبحانه
التسبيح في التفسير.

ثم إنّ الجملة الخبرية تحتاج إلى رابط يربطها بالمبتدأ وهو مقدّر أو معلوم من ظاهر الحال، أي يسجدان له سبحانه لا لغيره.

٧. (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ):

أشار في هذه الآية إلى أمرين من مظاهر قدرته وهما:

أ. رفع السماء.

ب. وضع الميزان.

أمّا الأوّل، فالمراد به خلْقها مرفوعة بلا أعمدة تقوم عليها، وإنّما تمسكها يد القدرة بواسطة السنن والنواميس التي وضعها في الخليقة، وق

وأمّا الثاني ـ أعني: وضع الميزان ـ فالمراد خلقه وإيجاده، ثم إنّ (الْمِيزَانَ) بمعنى ما يوزن به وله مفهوم و احد ولكن له مصاديق عديدة حس

١. الميزان: الآلة التي يوزن بها المتاع، سواء أكان ميزاناً صغيراً يستخدم لوزن الفواكه واللحوم والأمتعة، أم كان كبيراً كالقبّان، أو مكيالاً أو

والميزان بهذا المعنى هو المراد في قوله سبحانه: (وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ)(هود: ٨٥) .

٢. الميزان : هو الانسجام والنُّظم السائدة في عالم الخلق، قال سبحانه: (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ).

فقوله: (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا) قرينة على أنّ المراد من الميزان هو وضع النُّظم التي بها قامت السماوات والأرض، فمنظومتنا الشمسية قائمة على أس

٣. الميزان : هو القوانين العادلة التي تقنَّن في سبيل خدمة الإنسان والمجتمع، قال سبحانه: (وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الكِتابَ وَالْمِيزان لِيَقُومَ النّاسُ بِ

سبحانه: (وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ).(الحديد: ٢٥) .

هذه هي تطبيقات لمفهوم الميزان في القرآن.

لكلّ شيء ميزان يوزن به

إنّ الألفاظ الواردة في القرآن الكريم التي تصف مشاهد القيامة، لها حقائق غيبية غير معلومة لنا، ومن هذه الألفاظ لفظ «الميزان» الذي

كان الميزان يطلق سابقاً على ما يوزن به المتاع بشيء له كفّتان ولسان وساقان، وظلّ البشر يستعمل الميزان في ذلك المصداق، ولكن الثور

وقلبه، كما أنّه نجح نجاحاً باهراً في صناعة جهاز الحاسوب (الكامبيوتر) فأحدث تحولاً جذرياً في حياته، حتى عرف هذا العصر بعصر (الكا

كلّ ذلك يعرب عن أنّ لكلّ شيء ميزاناً خاصّاً يناسب وجود الشيء وليس الميزان منحصراً بما له كفّتان ولسان وساقان، وعندئذ يصحّ أن نف

٨ . (أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ) :

لمّا ذكر سبحانه أنّه وضع الميزان وخلَقه، وعدّه نعمة من نعمه، رتّب عليه قوله: (أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ) فيجب على الإنسان أن لا يطغى في

٩ . (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ):

عطفٌ على قوله: (أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ) وكأنّه عطف تفسيري له .

والإقامة جعل الشيء قائماً ويكنّى به عن الإتيان بالشيء على أكمل وجهه، كما هو المراد في قوله سبحانه: (وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ)(البقرة: ٣.

والقسط بمعنى العدل، يقول سبحانه: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ)(الأنبياء: ٤٧)، فيكون معنى الآية: فلتكن إقامة الوزن مشف

لقد تكرّر الميزان ثلاث مرات في آيات ثلاث، وأُريد من الأوّل: الآلة التي يوزن بها، ومن الثاني: المعنى المصدري أي الوزن، ومن الثال

التطفيف...

ما ذكرناه جار حسب ظاهر الآيات، ولكن يمكن تفسيرها بنحو آخر يُستشفّ من معرفة وجود الصلة بين رفع السماء ووضع الميزان وخ

يمكن أن يقال: إنّ المراد من الميزان ووضع الميزان ـ كما مرّ منّا ـ هو: النظام السائد في عالم السماء والانسجام الموجود فيه، وبعبارة أُخر

لكن واقعه في الأرض عبارة عمّا توزن به الأشياء، وبالمعنى الثاني رتّب عليه سبحانه: (أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ)فكأنّ قوله سبحانه: (وَوَضَعَ
بقي هنا أمر وهو أنّ هذه الآيات نزلت لتربية المجتمع الإسلامي، ذلك أنّه إذا كان عالَم السماء مبنياً على النظم والنظام، فيجب على الإنسان
الحق والعدل فيقع في حمأة الطغيان والخسران، وكأنّ بقاء الوجود الإمكاني رهن النظام التكويني والنظام التشريعي ؛ أمّا التكويني فهو القوا
وفي ختام البحث نذكر إحدى الكلمات الدرية المأثورة عن أمير البيان علي (عليه السلام)قال في الليلة التي عرجت فيها روحه إلى السماء وفار

الآيات ١٠ ـ ١٣ (وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ ... فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

الآيات: العاشرة إلى الثالثة عشرة

(وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ* وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ).

المفردات

الأنام: الخَلْق، وهو كلّ ما ظهر على وجه الأرض من دابّة فيها روح، والظاهر أنّ المراد بهم هنا الناس، لأنّ الآيات بصدد الامتنان عليهم.

الأكمام: الكِم: ما يغطي الثمرة، وجمعه أكمام، والمراد من الثمرة هو التمر، والكمّة ما يغطى به الرأس كالقلنسوة.

الحَبّ: والحبّة: ما يقتات به كالقمح والشعير والذُّرة والأرز، ويراد بالحبّة أيضاً بذرة النبتة، يقول سبحانه: (كَمَثَلِ حَبَّة أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِ

العصف: أوعية هذا الحبّ التي تنفصل عنه عند نضجه، فتكون حطاماً، كما في قوله تعالى: (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْف مَأْكُول)(الفيل: ٥).

الريحان: ما له رائحة طيّبة من النباتات.

التفسير

أشار سبحانه إلى نعمه:

١. الأرض. ٢. الفاكهة. ٣. النخل .

٤. الحبّ، لقوت الحيوان والإنسان .

٥. الريحان، للشمّ والزينة.

ويجمع الجميع أُمور ثلاثة: طعام، وفاكهة، وأزهار.

كلّ ذلك من خيرات الأرض وبركاتها، التي أنعم الله بها على عباده، وإليك التفسير.

١٠. (وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ) :

الظاهر أنّ المراد بالأنام: الناس، واللام للانتفاع أو للغاية، والله سبحانه خلق الأرض لغاية خاصّة، وفعلُه لا يخلو من غرض وغاية، غير أنّ
ووجود الغاية في خلق الأرض يدلّ على وجود خالق حكيم أوجدها لهدف خاص وهو يخالف رأي بعض الفلاسفة والعلماء الماديّين القائل ب
إنّ وجود الغاية التي يكشف عنها ذلك النظام والإتقان في الصُّنع، سواء في خلق الأرض أو غيرها، هو الذي دعا العلماء والفلاسفة على
عقل منظّم مقدّس هو الله.(ول ديورانت، قصة الفلسفة:٢٩٩، مكتبة المعارف، الطبعة السادسة.)

ثمّ إنّ الأرض إذا كانت وُضعت لهذه الغاية، فمعنى هذا وجود مسؤولية ملقاة على عاتق الإنسان حتى ينتفع بها ويعمرها ويستخرج كنوزها
ولعلّ الآية تشير إلى قوله سبحانه: (آمِنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ
الله سبحانه في الأُمور التكوينية جعل الله تعالى عمارة الأرض على عاتق هذا الإنسان حتى يمثّل بعمله وعمرانه للأرض تدبير الله سبحان
وكما أنّ الله سبحانه ربّ البقاع والبهائم، فإنّ الخليفة مسؤول عنها ومسؤول عن العناية بها أيضاً كما قال الإمام علي (عليه السلام): «فَإنَّ
ثم إنّ الآية في مقام الامتنان على الإنسان فيجب أن يكون انتفاع كلّ إنسان من الأرض في إطار العدل والإنصاف حتى لا تسود الفوضى
وآله وسلم): «من أحيا أرضاً مواتاً فهي له».(الوسائل: ١٧، الباب ١ من أبواب كتاب إحياء الموات، الحديث ٥ و ٦ .)

١١. (فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ):

أشار سبحانه إلى الفواكه بشكل عام وخصّ منها بالذكر النخل لأنّه ممّا يأكله العرب بشكل غالب، ولا يستأنسون بغيره من الفواكه، وهو ف

١٢. (وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ):

من نعم الله سبحانه هو الحبّ الذي به قوت الإنسان، ولهذا الحب ورق ييبس فيصير تبناً ينتفع به الإنسان في البناء، والحيوان في المأكل. و

«والريحان» هو كلّ نبت له طِيب خاص. وربما يطلق الريحان على الزرع الأخضر مطلقاً.

١٣. (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

وهو توبيخ وتبكيت للإنس والجنّ على عدم الاعتراف بنعم الله سبحانه. والمراد من الاعتراف هو الاعتراف العملي لا اللفظي، إذ ربّما يقوم

الآيات ١٤ ـ ٢٥ (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ... فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

الآيات: الرابعة عشرة إلى الخامسة والعشرين

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ * فَبِأَيِّ

المفردات

الصلصال: الطين اليابس الذي تُسمع منه الصلصلة.

الفخّار: الطين الذي طبخ بالنار حتى صار خزفاً.

مارج: أصل المرْج هو الخلْط، يقال: أمر مريج أي مختلط، كما في قوله تعالى: (فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ)(ق: ٥ .)، فيكون المراد هنا اللهب المختلط

مَرَجَ: أرسل، بإذهاب الشيئين فصاعداً في الأرض.(التبيان في تفسير القرآن:٩/٤٦٩.)

البرزخ: الحاجز بين الشيئين.

الجوارِ: السفن لأنّها تجري في الماء، واحدتها جارية.

الأعلام: الجبال، واحدها علَم.

التفسير

١٤. (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ):

خلْق الإنسان نعمة من أكبر النعم عليه، حيث أوجده من العدم وألبسه لباس الوجود، والآية تذكر أصل خلق الإنسان وأُريد به إمّا آدم (ع

وهناك نكتة وهي أنّ القرآن الكريم يشير في عدد من آياته إلى أنّ آدم (أبا البشر) قد مرّت خلقته ـ قبل مرحلتي التصوير ونفخ الروح ـ

١. التراب: قال سبحانه: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)(آل عمران: ٥٩ .) .

٢. الطين، قال سبحانه: (اَلَذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ)(السجدة: ٧).

٣. الطين اللازب (المتلاصق)، قال سبحانه: (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ)(الصافات: ١١ .).

٤. الحمأ المسنون، قال سبحانه: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ)(الحجر: ٢٦ .)، أي من طين أسود متغيّر.

٥. عصارة الطين، قال سبحانه: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ)(المؤمنون: ١٢.)، والظاهر أنّ (الحمأ المسنون) وهو الطين الأسود

٦. الطين اليابس، قال سبحانه: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ)(الرحمن: ١٤.)، فكأنّ الآية تذكر المرحلة الأخيرة.

إلى هنا تمّ ذكر المراحل الست التي مرّت بها خلقة آدم، وأمّا سبب خلقه عبر هذه المراحل فهو أنّ من خصائص عالم المادّة ـ وإن شئت قلت

سنّة الله فيها ـ هو خلق الأشياء وإيجادها على نحو التدرّج، ولذلك نرى أنّ الجنين يمرّ بمراحل من التطوّر إلى أن يصبح جنيناً كاملاً.

ثم إنّ المرحلة السادسة ليست هي المرحلة الأخيرة بل قد تلتها مرحلة التصوير (أي التسوية الظاهرية لجسمه) ثمّ مرحلة نفخ الروح، قال

إلى هنا تمّ بيان مراحل خلق آدم، وأمّا الجنّ فخلقه من لهب النار وشعلته المختلطة كما قال:

١٥ . (وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ):

ولذلك لمّا أُمر إبليس بالسجود لآدم استكبر وقال: (خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)(الأعراف: ١٢) .

قال الشيخ المراغي: إنّ الجنّ خُلق من أنواع من اللّهب مختلطات. وأضاف: ولقد أظهر الكشف الحديث أنّ الضوء مركّب من ألوان سبعة، و

ومهما يكن، فقد عاد البيان القرآني لتذكير الإنس والجنّ وقال:

١٦. (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) :

وهو توبيخ وتقريع لعالَمي الإنس والجنّ، بسبب عدم الاعتراف بنعم الله تعالى، إمّا بإنكار كونها نِعَم في نفسها، أو بإنكار كونها من الله

ثم إنّ مجيء الآية مرّات متعدّدة وبصورة متناوبة لا يعدّ تكراراً، وذلك لأنّها تجيء في كلّ مرّة عقب ذكر ضرب جديد من النعم، وصنف

قال الشريف المرتضى في أماليه: هذا كثير في كلام العرب، قال مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليباً:

على أنْ ليس عدلاً منْ كُليب *** إذا طُرد اليتيمُ عن الجَزُورِ

على أن ليس عدلاً من كليب *** إذا ما ضِيم جيرانُ المجيرِ

على أن ليس عدلاً من كليب *** إذا رجف العضاةُ من الدَّبورِ

على أن ليس عدلاً من كليب *** إذا خرجت مُخبّأةُ الخُدور

على أن ليس عدلاً من كليب *** إذا ما أعلِنتْ نجوى الصدورِ

وقالت ليلى الأخيلية ترثي توبة بن الحُميِّر:

لنعم الفتى يا توبُ كنتَ؛ ولم تكن *** لتُسبَقَ يوماً كنت فيه تجاولُ

ونعم الفتى يا توب كنت إذا التقت *** صدور العوالي واستشال الأسافل

ونعم الفتى يا توب كنت لخائف *** أتاك لكي يحمي ونعمَ المحامل

ونعم الفتى يا توب جاراً وصاحباً *** ونعم الفتى يا توب حين تناضل

لعمري لأنت المرء أبكي لفقده *** ولو لام فيه ناقصُ الرأي جاهلُ

لعمري لأنت المرء أبكي لفقده *** إذا كثرت بالملحَمين التلاتل(١)

أبى لك ذمّ الناس يا تَوبَ كلما *** ذُكِرت أُمورٌ محكماتٌ كوامل

أبى لك ذمّ الناس يا توب كلما *** ذكرت سماح حين تأوي الأرامل

فلا يبعدنك الله يا توب إنّما *** لقيت حِمامَ الموتِ والموتُ عاجلُ

ولا يُبعدنْكَ اللهُ ياتوب إنّها *** كذاك المنايا عاجلاتٌ وآجل

(١) التلاتل: الشدائد. صحاح الجوهري:٤/١٦٤٥، مادة «تلل».

فجرت في هذه الأبيات من تكرار إلى تكرار، لاختلاف المعاني التي عَدَّدتها.

وقال الحارث بن عبّاد بن قيس البكري(المتوفّى نحو سنة ٥٠ قبل الهجرة)وكان قاضي العرب:

قرّبا مَربط النعامةِ(١) مني *** لَقِحت حربُ وائل عن حيالِ

(١)النّعامة: اسم فرسه.

وكرّر قوله هذا: «قرّبا مربط النعامة مني» في أبيات كثيرة من القصيدة ـ أكثر من (٥٠) مرّة ـ وأمثال ذلك كثير.

وهذا هو الجواب بعينه عن التكرار في سورة المرسلات بقوله عزّ وجلّ: (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)(المرسلات: ١٥ .) عشر مرّات .(أمالي المرتضى: ١
ثم إنّ أخذ الاعتراف بين ذكر نعمة ونعمة أو بين ذكر نعَم وأُخرى، يطرد الغفلة، ويؤكد الحجّة، فلو ذكرت النعم جميعاً مرّة واحدة ثم أُخذ

١٧. (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ):

بيان استئنافي يصف فيه تعالى نفسه بأنّه ربّ المشرقين وربّ المغربين، ولكنّه يصف نفسه في موضع آخر بربّ المشارق والمغارب، كما قال
كرويّة الأرض، فإنّ طلوع الشمس على أي جزء من أجزاء الأرض يلازم غروبها عن جزء آخر، وعندئذ تتعدّد المشارق والمغارب. وقد يراد
وعندما يصف نفسه بأنّه ربّ المشرقين ـ كما في المقام ـ فربما يفسّر بمشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما. ولكن يمكن أن يكون المرا
الزخرف: ٣٨ .). ووجه الاستدلال: أنّ الظاهر من هذه الآية أنّ البعد بين المشرقين هو أطول مسافة محسوسة فلا يمكن حملها على مشرقي ا
فالآية تدلّ على وجود هذا الجزء الذي لم يُكتشف إلاّ بعد مئات من السنين من نزول القرآن الكريم .(البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي:

١٨ . (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

فإنّ شروق الشمس ومجيء النهار، ثم غروبها ومجيء الليل من نعم الله سبحانه، فلو دام النهار والنور لامتنعت الحياة، وهكذا إذا دام الليـ

١٩و ٢٠.(مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) :

يذكر سبحانه في هذه الآية مظهراً من مظاهر قدرته، يذكرها بإجمال وهو أنّه خلق بحرين يلتقيان لكن بينهما حاجز، فلا يبغي أحدهما
٥٣.).

فالله سبحانه أرسل كلاًّ من البحرين كما يحكي عنه قوله: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ)لكن جرت قدرته سبحانه أن يلتقي هذا البحران من دون أن يـ
وأمّا أين موطن هذين البحرين؟ وكيف يلتقيان ولا يختلطان؟ وما هو الحاجز بينهما؛ فقد اختلفت كلمات المفسّرين حول الآية قديماً وحـ
١. إنّ المراد بالبحرين جنس البحر المالح الذي يغمر قريباً من ثلاثة أرباع الكرة الأرضية من البحار المحيطة وغير المحيطة، والبحر العذ
بحراً مالحاً وتبطل بذلك الحياة، ويحجز البحر العذب أن يزيد في الانصباب على البحر المالح فيبدله ماء عذباً فتبطل بذلك مصلحة ملوحـ
من العذوبة والملوحة فيختلّ نظام الحياة والبقاء .(الميزان في تفسير القرآن: ١٩ / ١٠٠ .)
يلاحظ عليه: أنّ البحر يطلق على الماء الكثير الموجود على سطح الأرض لا على الماء الموجود في أعماق الأرض. أضف إلى ذلك: أنّه سبحانه يـ
٢. المراد به بحر فارس وبحر الروم، نقله في المجمع عن الحسن وقتادة، وقال: إنّ آخر طرف هذا يتصل بآخر طرف ذلك والبرزخ بينهما الجز
يلاحظ عليه: أنّ ماء كلا البحرين مالح.
٣. المراد نهر الفرات وبحر العجم المسمّى اليوم بالخليج الفارسي، والتقاؤها عبارة عن انصباب ماء الفرات في الخليج الفارسي في شاطئ البـ
والمراد بالبرزخ الذي بينهما الفاصل بين الماءين الحلو والمالح، بحيث لا يغيّر أحد البحرين طعم الآخر بجواره، وذلك بما في كلّ ماء منهما مـ
يلاحظ عليه: بأمرين:
الأوّل: أنّ هناك بحراً وهناك نهراً، ونهر الفرات لايقال له بحر، والقرآن يصفهما بالبحرين.
الثاني: أنّ الفرات لا يصبّ في الخليج الفارسي مباشرة وإنّما يلتقي مع نهر دجلة عند مدينة «كرمة علي» (في البصرة)ليشكّلا النهر المعروف
اللّهم إلاّ أن يكون المراد من البحر ملتقى الأنهر الثلاثة، التي تشكّل بحراً ماؤه عذب سائغ يصب في الخليج، ويحجز بينه وبين الماء الملح حـ
وها هنا نظرية أُخرى قريبة من النظرية السابقة ولعلّها أمثل النظريات، وهي عدم تخصيص البحرين بموضع خاص بل الآية ناظرة إلى سـ
بسبب اختلاف درجة الكثافة. وتلاحظ هذه المناظر بوضوح عند السفر بالطائرة في المناطق التي تكون فيها هذه الحالات، حيث المياه العـ
والظريف هنا ما يحصل في حالة (مدّ البحر) حيث بارتفاع سطح المحيط إلى الأعلى، فإنّ المياه العذبة ترجع إلى الداخل بدون أن تختلط مـ
في تفسير كتاب الله المنزل: ١٧ / ٣٦٠ ـ ٣٦١ .)

وهذه النظرية كما قلنا قريبة ممّا ذكره السيد الطباطبائي، ولكن لا يتوجّه إليها ما ذكرناه من الإشكال، فلاحظ.

٢١. (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

إنّ في خلق البحرين نعم عظيمة على الناس حيث ينتفعون من الماء العذب كما ينتفعون من غيره، فصح أن يكرر قوله: فبأي نعمة من نع

٢٢. (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) :

ربما يقال إنّ اللؤلؤ والمرجان ينشآن فقط في المياه المالحة ولذلك أوّلوا قوله سبحانه: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) .

قال الطبرسي: اللؤلؤ كبار الدرّ، والمرجان صغاره(سوف يتكرّر ذكر المرجان معطوفاً على الياقوت في الآية ٥٨ من هذه السورة، وهو يناسب هذا المعن

تعالى: (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا)(نوح: ١٦ .) وإنّما هو في واحدة منهن، وقوله: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ)(الأنعام:

القرآن:٩/٤٧٠ـ٤٧١.)

قال الرازي: كيف يمكن الجزم بأنّ اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان إلاّ من الماء المالح، والذين قطعوا المفاوز وداروا البلاد قد خفيت عليهم الأ

ولكن الظاهر أنّهما يواجدان في كلا الماءين: العذب والمالح.

قال المرحوم الشيخ مغنية تعليقاً على كلام الرازي المتقدّم: ونحن على هذا المنطق القويم، ويؤيّده قول الشيخ المراغي في تفسيره: قد ثبت في ال

وقال الطنطاوي ناقلاً عن مجلة «السياسة» الأُسبوعية المصرية: يتكوّن اللؤلؤ في أنواع كثيرة من الحيوانات الصدفية أو المحارية التي تعيش

الموافق ابريل ١٩٢٦ م كما في تفسير الفرقان: ٢٧ / ٢٩.)

بقي الكلام في توضيح اللؤلؤ والمرجان اللّذين تجمعهما الحِلْية البحرية.

أمّا اللؤلؤ: فهو من أثمن الجواهر، ويعدّ اللؤلؤ الكبار المتقن الشكل من أثمن الجواهر الكريمة من حيث القيمة، ويختلف اللؤلؤ عن بقي

يعكسه أيضاً .

وتتكوّن اللؤلؤة داخل صدفة المحارة عندما تدخل حُبيبة غريبة إلى داخل الصدفة، وعلى مدى سنوات تغطي المحارة الحبيبة بطبقات رقي

ويُنتج بعض أنواع بلح البحر، التي تعيش في الأنهار لؤلؤاً ثميناً.(الموسوعة العربية العالمية: ٢١ / ٣٧.)

أمّا المرجان: فواحدته مرجانة، وهو (كما يقول أهل اللغة) صغار اللؤلؤ، إلاّ أنّه في الحقيقة شيء آخر حيث إنّ المرجان كائن حي يشبه الن

واسعة أحياناً. وتوجد الشعاب المرجانية غالباً في البحار الاستوائية الدافئة غير العميقة، لأنّ المرجان الذي يكوّن الشعاب لا يمكن أن يع

وقد تعلو الكتل المرجانية حتى ترتفع فوق الماء لتكوّن الجزر المرجانية، ويساعد البحر بأمواجه المتلاطمة على بناء الجزر المرجانية، فهو يص

المرجانية» الموجودة بكثرة في المحيط الهادي.

و ثمّة، نوع من المرجان يعرف بالمرجان النفيس لا يعيش على الشعاب المرجانية، بل في المياه الأكثر برودة وعمقاً. وهذا النوع له قيمته في ص

لمّا كان اللؤلؤ والمرجان من نعم الله سبحانه التي تستخدم للزينة والتجميل، بل ربما ينتفع بهما في معالجة بعض الأمراض، وكان وسيلة للت

٢٣. (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

أي بعد هذه النعم الكثيرة، هل يمكن للإنس والجنّ التكذيب بها، وإنكار ولي تلك النّعم ولا يعبداه ولا يشكراه؟

٢٤. (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ) :

الجواري المنشآت هي السفائن الجارية في البحار، ومع أنّها من صنع البشر، لكنّه سبحانه أسندها إلى نفسه وقال: (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ) و

أنّ ما يرجع إلى البشر لا يتجاوز تركيب المواد بعضها مع بعض على نحو تجري في البحر، وأمّا ما سوى ذلك فالجميع يرجع إلى الله سبحانه،

كالجبال، فالسفن في البحر كالجبال في البرّ وتشبيهها بها لإفادة تعظيم شأنها.

٢٥. (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

ولولا هذه النعم لما تيسّر الاتّصال بين الشعوب بهذا الشكل، ولَمَا تمّ استيراد وتصدير البضائع بهذه الكميّات، حيث تجوب آلاف السفن يوم

الآيات ٢٦ ـ ٣٦ (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ و ... فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

الآيات: السادسة والعشرون إلى السادسة والثلاثين

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي
عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ).

المفردات

فان: صائر إلى الفناء، كأنّه كناية عن الموت.

الوجه: (لغة): الجزء الذي في الرأس، ويكنّى به عن الذات كما في الآية.

الجلال: العظمة.

الإكرام: النعمة.

يوم: مقدار ما بين طلوع الشمس وغروبها، وربما يراد به مطلق الزمان.

سنفرغ: الفراغ للشيء، الخلوّ عمّا يشغل عنه.

الثقلان: الجنّ والإنس، لوجود الثقل في وجودهما، أو لجلالة قدرهما.

المعشر: الجمع الكثير.

تنفذوا: من النفوذ أي الخروج.

الأقطار: جمع القُطْر وهو الناحية الواسعة في المكان الأوسع.

السلطان: القدرة.

الشُّواظ: اللهب الذي لا دخان فيه، أو اللهب الأخضر المنقطع من النار.

النُّحاس: الدخان الذي لا لهب فيه.

تنتصران: من الانتصار وهو نصرة بعضهم بعضا.

التفسير

٢٦. (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ):

الضمير في «عليها» يرجع إلى الأرض التي يدلّ عليها سياق الكلام، والفناء كناية عن الموت، واستخدام لفظة «مَنْ» للدلالة على أنّ المراد هو

إنّما الكلام في أنّه سبحانه في مقام بيان النعم التي أولاها على الجنّ والإنس، فكيف عدّ الموت نعمة مع أنّه يعني زوال الحياة؟ والإجابة عنه

حياة بعد الرحيل عنها فالآية ساكتة عنه.

٢٧. (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ) :

لمّا أخبر عن فناء مَنْ على الأرض، أخبر عن بقاء وجوده سبحانه وذاته، وأنّ الفناء والعدم لا يتسربان إليها. وأُريد بالوجه في الآية هو الذ

الرائج فعندئذ لا محيص عن وقوع (ذُو الْجَلاَلِ)وصفاً للرب بصورة: ذي الجلال والإكرام، وهذا أوضح دليل على أنّه سبحانه لم يرد من الوج

لا مرفوعاً.

وممّا يدلّ على أنّ الوجه يراد به الذات، الآيتان التاليتان:

١. (فَأَيْنَ مَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)(البقرة: ١١٥).

٢. (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ)(الإنسان: ٩).

والعجب من ابن عاشور أنّه تصوّر أنّ الآية متشابهة فقال: إنّ للسلف في هذه الموارد مذهبين:

١. الإحجام عن الخوض في ذلك مع اليقين باستحالة ظاهره على الله تعالى.

٢. تأويل الآية بالجري على قواعد علم المعاني إلى حدّ اندفاع الخفاء. ثم قال: إنّ كلا الفريقين خيرة الحنفاء.(التحرير والتنوير: ٢٧ / ٢٣٦ .)

يلاحظ عليه أوّلاً: أنّ الآية خارجة عن إطار التشابه، يتّضح ذلك عند إمعان النظر في ألفاظ الآية ومفاد مفرداتها كما عرفت.

وثانياً: أنّ الطريق الأوّل ينافي ما عليه القرآن الكريم؛ لأنّ القرآن لم ينزل لكي يُقرأ وحسب وإنّما لتُفهم معانيه، وتُعرف مفاهيمه ومقاصد

ثم إنّه سبحانه وصف نفسه بوصفين:

١. ذو الجلال أي صاحب العظمة والكبرياء. وهو يتضمّن معنى الرّهب والخوف.

٢. وذو الإكرام، أي ذو الجود والإحسان والتفضّل بالنّعم. وأنت ترى أنّه لم يقتصر على الوصف الأوّل بل أردفه بالوصف الثاني ليكون مو

تعالى، لأنّه لا يرى نفسه شيئاً في جنب العظمة الإلهية... فأزال سبحانه هذا الوهم عن الإنسان بعطف الإكرام على الجلال لأنّ الجمع بين

ويمكن تفسير الوصفين بشكل آخر، وهو أنّ الوصف الأوّل إشارة إلى الصفات الجلالية التي تهدف إلى تنزيهه سبحانه عن النقص، كما أ

٢٨. (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) :

والاستفهام استفهام إنكاري والغاية الإقرار بالنّعم، كما مرّ تقريره .

٢٩. (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ):

الآية تتركّب من فقرتين:

١. سؤال مَن في السماوات والأرض.

٢. استمرار الفيض من الله سبحانه. وإليك شرحهما:

أمّا الفقرة الأُولى ـ أي سؤال مَن في السماوات والأرض ـ ففيها احتمالان:

١. المراد من السؤال هو السؤال التكويني وهو أنّ الكائنات بما أنّها فقيرة بالذات ولا تملك شيئاً من الوجود حدوثاً وبقاءً، فإنّها تسأل بلسان

٢. المراد تسبيح أهل السماوات والأرض. أمّا أهل السماوات فهم يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون لمن في الأرض، وهذا هو سؤالهم كما قال

أمّا الفقرة الثانية ـ أعني: كونه سبحانه كلّ يوم في شأن ـ فلعلّها إشارة إلى استمرار الخلق والتدبير، ويؤيد ذلك الفقرة الأُولى، فإذا كان س

مستمر، فما أوهن قول من قال: خلق الله سبحانه العالم وفوض التدبير إلى غيره وتنحّى جانباً. وعلى هذا فالمراد من اليوم هو الزمان لا الفتر

ويشهد لاستعمال اليوم في مطلق الزمان ما يقال: إنّ الدهر كلّه عند الله يومان: أحدهما مدّة أيام الدنيا، والآخر يوم القيامة، فهو سبحانه ف

نعم، ربّما يُستدلّ بالآية على وجود الحركة الجوهرية حيث إنّ مفادها سريان التغيّر والتبدّل في جوهر الأشياء وذواتها لا في أعراضها، فالتفا

أقول: الحركة الجوهرية حق لا مرية فيه، ولكن الآية غير ناظرة إليها مباشرة. نعم، بما أنّها شأن من شؤون الموجودات فالله سبحانه خال

٣٠. (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) :

كيف يتمكّن الإنس والجنّ من كتمان هذه الآلاء؟ والاستفهام إنكاري كما مرّ.

٣١. (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ) :

الفراغ للشيء عبارة عن الخلوّ عمّا يشغل عنه، مثلاً: إذا اشتغل الإنسان بأمر مهمّ فلا يمكن له أن يشتغل بأمر آخر مثله، وعند ذلك يق

ويتبادر من ظاهر الآية هو هذا المعنى... كأنّه سبحانه مشتغل بأمر مهم فما لم يفرغ عنه لا يشتغل بأمر آخر، والفراغ بهذا المعنى في حقّه

وعندئذ تسأل: فما هو، إذاً، مفاد الآية؟ وأُجيب بوجوه:

١. يقول الشريف الرضي: كان والدي الطاهر الأوحد ذو المناقب أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي رضي الله عنه وأرضاه سألني عن هذه

الآن وقد فرغت إلى نُمَير *** فهذا حين صرت لها عذابا

فقال: فرغت إلى نمير كما يقال: عمدت إليها، فعلمنا أن معنى «فرغت» هنا عمدت وقصدت، ولو كان يريد الفراغ من الشغل لقال: فرغت

والجواب لا بأس به، غير أنّ الاستشهاد بالشعر لا يتمّ، لأنّه عدّى الفراغ في الشعر بـ «إلى» وفي الآية بـ «اللام».

٢. قال الطبرسي: الشغل والفراغ من صفات الأجسام التي تحلّها الأعراض وتشغلها عن الأضداد في تلك الحال، ولذلك وجب أن يكون في

٣. ذكر الزمخشري أنّ الآية استعارة، فقوله: (سَنَفْرُغُ لَكُمْ)مستعار من قول الرجل لمن يتهدّده: «سأفرغ لك» يريد سأتجرّد للإيقاع بك من

ولا يخفى أنّ ما ذكره تقرير للإشكال لا إجابة عنه. نعم ذكر في ذيله ما يصلح أن يكون جواباً وقال: التوفّر على النكاية فيه والانتقام منه.(

٤. وقال السيد الطباطبائي: إنّ معنى قوله (سَنَفْرُغُ لَكُمْ): سنطوي بساط النشأة الأُولى ونشتغل بكم، فالفراغ لهم استعارة بالكناية عن

الشؤون كونه تعالى لا يشغله شأن عن شأن.(الميزان في تفسير القرآن:١٠٦/١٩ وفي ذيل كلامه تعقيد.)

والأفضل أن يقال: إنّ الفراغ كناية عن الاعتناء بالشيء، شبّه سبحانه حاله بحال المُقبل على عمل دون عمل آخر، فكما هو يهتمّ به فهكذ

ثم إنّ الثقلين أُخذ من مادة ثَقُل على وزن كبُر، وهو يطلق على ما له وزن، ولكن هل إطلاقه على الجنّ والإنس لأجل وجود الثقل في جسد

يحتمل أن يكون الثقل بمعنى عظم الخطر وجلالة الشأن، لأجل تميّزهما عن سائر المخلوقات بالعقل والتمييز والتكليف بالواجبات.

أقول: إنّ الثقل بسكون القاف بمعنى ما له وزن، ولكنّه بفتح القاف بمعنى النفيس الخطير من كلّ شيء، ومنه قوله (صلى الله عليه وآله وس

برقم ٤٩٦٩؛ كمال الدين للصدوق:٢٣٤، الباب٢٢، برقم ٤٥، وتفسير ابن كثير:١١٣/٤.)

فوصفهما بالثقلين لأجل خطرهما وجلالة قدرهما، وعلى هذا فالظاهر أنّ وصف الجنّ والإنس بهما لأجل المواهب الخطيرة التي منحها الله

٣٢. (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

تقدّم تفسيرها والاستفهام إنكاري، وعدّ الفراغ لهما من النعم لأجل أنّ التذكير بالعقاب من نعم الله سبحانه حيث يهتدي به المطيع وتت

٣٣. (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لاَ تَنْفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَان) :

الظاهر أنّ موضع الخطاب في الآية هو يوم القيامة، وكأنّ قائلاً يوم ذاك يخاطب الثقلين ويقول: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْ

لأنّ صحيفة الوجود كلّها سلطانه سبحانه ومظاهر قدرته، فلو فرض لأحد الهروب من أطراف السماوات والأرض فإنّما يهرب من مُلك إلى

قلنا إنّ موضع الخطاب هو يوم القيامة؛ وذلك لأنّ الآية وردت بعد قوله: (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلاَنِ) وقبل قوله: (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ م

وكأنّ القائل في هذا الظرف الرهيب يتحدّى الثقلين بامتناع الهروب عن سلطان الله سبحانه وتعالى ثم يقول: (فَانْفُذُوا لاَ تَنْفُذُونَ إِلاَّ بِسُ

٣٤. (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) :

تقدّم تفسيرها.

٣٥. (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَار وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرَانِ) :

لمّا تقدّم في الآية قبل السابقة بأنّه لا محيص للإنسان المجرم عن الخروج من سلطان الله، فعندئذ يؤخذ بما يستحق كما يقول سبحانه: (

يضيء كضوء سراج السَّليـ *** ـط لم يجعل الله فيها نحاسا(١)

(١) التبيان في تفسير القرآن:٤٧٤/٩ـ٤٧٥. (والسَّليط): الزيت الجيّد، أو كلّ دهن عُصر من حَبّ.

أي دخاناً. وقيل: النحاس:الصُّفر المذاب للعذاب.

وعلى ذلك، يحاط المجرم من الإنس والجنّ إحاطة تامّة فلا يتمكّن من الخلاص من تلك الأهوال، فمن جانب تحدق به الملائكة الذين يمن

قوله تعالى:(فَلاَ تَنْتَصِرَانِ): أي لا تقدران على دفع ذلك عنكما.

٣٦. (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

فإذا كانت نتيجة تكذيب النعيم هذا المصير الأسود، فهل يصحّ لعاقل التكذيب؟!

الآيات ٣٧ ـ ٤٥ (فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ... فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

الآيات: السابعة والثلاثون إلى الخامسة والأربعين

(فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَيَوْمَئِذ لاَ يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلاَ جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُ

المفردات

الوردة: واحدة الورد، وهو زهر أحمر من شجرة دقيقة ذات أغصان شائكة تظهر في وقت الربيع.

الدِّهان: دُرديّ الزيت، ولعلّ وجه التشبيه هو التموُّج والاضطراب. وقال الفرّاء: الدهان: الأديم الأحمر، وهذا هو الأظهر.(مجمع البيان: ٩ / ٣٨٠

السِّيما: العلامة، ولعلّه سواد الوجوه يوم القيامة.

النواصي: جمع ناصية، وهي شعر مقدّم الرأس.

الحميم: الماء الحار.

آن: اسم فاعل من آنى إذا اشتدت حرارته.

التفسير

لمّا تقدّم تهديد المجرمين من الإنس والجنّ، وأنّه لا مهرب لهم في ذلك اليوم، الذي تُرسل فيه شُعَل النار والدخان عليهم، بدأ في هذه الآيات

٣٧ . (فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ) :

أي إذا انخرمت السماء وانفطرت، كما قال في آية أُخرى:(إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ)(الانفطار: ١ .)، وأُريد بالسماء هنا، جنس السماء حيث يع

الأديم(الأديم: الجلد المدبوغ.) الأحمر. ولعلّ الثاني هو الأفضل.

٣٨. (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

فإذا كان مصير المجرمين من الإنس والجنّ هو هذا، فهل يصح لعاقل أن يكذّب نعمه سبحانه ولا يشكرها ولا يعبده؟ وقد مرّ أنّ التذكير

٣٩. (فَيَوْمَئِذ لاَ يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلاَ جَانٌّ):

فقوله: (فَيَوْمَئِذ)جواب للجملة الشرطية التي تقدّمت، وهو قوله: (فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ)وكأنّ المعنى: إذا زال النظام الكونيّ السائد، وبُدّل ب

فيه إلى الاستجواب، لأنّ المجرم يُعرف بالعلامات الواضحة في صفحات وجهه، كما يقول سبحانه: (فَيَوْمَئِذ لاَ يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلاَ جَ

عن السؤال وسماع الجواب نظير المأخوذ في حالة ارتكاب الجرم في هذه الدنيا .

فإن قلت: كيف لا يُسأل عن ذنب المجرمين مع أنّ بعض الآيات تدلّ على السؤال، قال سبحانه: (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَع

وقوله تعالى: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ)(الصافات: ٢٤.).

قلت: إنّ السؤال مبني على وجود موقف واحد يوم القيامة مع أنّ للإنسان في ذلك اليوم ـ الذي هو من حيث الزمان أشبه بخمسين ألف سن

٤٠. (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

إعادة لما سبق، والاستفهام إنكاري، وقد تقدم بيانه.

٤١. (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ):

لمّا تقدّم في الآية السابقة بأنّه لا يسأل عن ذنبه، في ذلك اليوم، إنس ولا جان، جاءت هذه الآية لبيان سبب ذلك، وهو أنّ المجرمين يحش

الوجه في هذا الأخذ هو تحقيره وإذلاله،(سيأتي مزيد بيان عند تفسير قوله تعالى في سورة العلق: (كَلاّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنّاصِيَةِ).) إذ كلّ إنسان في ال

٤٢. (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

تقدّم تفسيرها.

٤٣. (هَذِهِ جَهَنَّمُ التي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ):

يحتمل أن تكون الآية مقولاً لقائل يخاطب المجرمين يومذاك بقوله: (هَذِهِ جَهَنَّمُ التي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ): أي الكافرون في الدنيا، والت

هذا على القول بأنّ موضع الآية يوم القيامة، وهناك احتمال آخر وهو أن يقال: لمّا أخبر الله سبحانه أنّهم يؤخذون بالنواصي والأقدام قال ل

٤٤. (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ):

إنّ المجرمين حينما يرِدُون الجحيم لا يَقرّون في مكان واحد، بل يجولون بين النار والحميم، فهم يُعذَّبون تارة بالنار وأُخرى بالماء الحارّ الذي

٤٥. (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

وقد مرّ منا مراراً بأنّ التذكير بالعقاب والإنذار به من أكبر النعم، فالإنسان العاقل يهتمّ به ولا يكذّب بنعم الله، والإنسان العاصي تتمّ به

الآيات ٤٦ ـ ٦١ (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ... فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ).

الآيات: السادسة والأربعون إلى الحادية والستين

(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَا أَفْنَانٍ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ آ

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَا

المفردات

الأفنان: جمع فَنَن وهو الغصن الغضّ الورق. ويحتمل أن يكون جمع «فنّ» بمعنى النوع، و يكون المعنى: ذواتا أنواع من الثمار وغيرها.

متّكئين: من الاتّكاء، وهو الاستناد للتكرمة والإجلال يقول سبحانه: (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً)(يوسف: ٣١ .).

فرش: جمع فراش ما يبسط على الأرض.

الجنى: ما يُقطف من الثمر .

دان: أي قريب.

بطائن: جمع بطانة. ويقابله: ظهائر. وإنّ أكثر ما يلبسه الإنسان له بطانة وظهارة، فالظهارة تغطي البطانة، وتكون أجود منها.

الاستبرق: صنف من الديباج الغليظ.

الطرف: جَفْن العين.

قاصرات الطَّرف: جمع قاصرة بمعنى الحاصرة، والمراد: اكتفاؤهنّ بأزواجهنّ فلا يُردن غيرهم. قال الراغب: قاصرة الطرف لا تمدّ طرفها إلى

الطمث: يقال: طمثت المرأة إذا حاضت، وطمثت: إذا دميت بالافتضاض، المراد: لم يَمسّهنّ أحد من الإنس والجانّ.

التفسير

تقدّم في الآيات السابقة أنّه سبحانه أوعد العصاة والطغاة بما عرفت، فاقتضى المقام أن يصف مآل المطيعين المؤمنين الذين يخافون مقام ر

٤٦. (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ):

جعل الجنتين لمن خاف مقام ربّه، والظاهر أنّ المقام اسم مكان أُضيف إلى الربّ والإضافة لامية، أي لمن خاف المنزلة التي للربّ والمقام

ومكانته وأنّه الغني المطلق، والعبد هو الفقير بالذات، يوحّده ويمجّده ويحمده ويطيعه ولا يعصيه.

وبهذا ظهر أنّ الخوف في هذا المقام لا يمتّ إلى الخوف من عقابه وجحيمه سبحانه بصلة، حتى تكون عبادته عبادة العبيد، بل المراد ه

الْمَأْوَى)(النازعات: ٤٠ ـ ٤١). وعلى هذا، فهؤلاء هم السعداء من عباد الله سبحانه الّذين عرّفهم في سورة الواقعة بقوله: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُو

ويؤيّد ما فهمناه من الآية، قول الإمام الصادق (عليه السلام): «من علم أنّ الله يراه ويسمع ما يقول ويعلم ما يعمله من خير وشر فيحجزه

وأمّا ما هو المراد من الجنّتين فهو أمر غيبي لا طريق لنا للوقوف عليه، ومعرفة واقع الجنّتين، وما ذكر في التفاسير لا مصدر له حيث قا

الطاعات وجنة لترك المعاصي، وقيل: جنة جسمانية وجنة روحانية. وهذه الأقوال ـ كما ترى ـ لا دليل على شيء منها.

٤٧. (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

تقدّم تفسيرها.

٤٨ و ٤٩. (ذَوَاتَا أَفْنَان * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

لمّا سبق أنّ للسعداء من الأُمّة جنتين عاد البيان القرآني لوصفهما ووصف ما فيهما من النّعم، وأشار إلى أُمور ثمانية:

الأوّل: (ذَوَاتَا أَفْنَان)أي كلّ من الجنتين ذات أغصان غضّة طرية، أو ذات أنواع من الثمار.

٥٠ و ٥١. (فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) :

الثاني: أنّ في الجنتين عينين جاريتين وأمّا ما هاتان العينان؟ فهما مبهمتان. وقد جاءتا في الآية بصورة النكرة للدلالة على فخامة أمرهما،

٥٢ و ٥٣. (فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَة زَوْجَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

الثالث: أي من كلّ فاكهة صنفان: صنف معروف وصنف من شكله غريب؛ أو نوعان متشاكلان كتشاكل الذكر والأُنثى، فلذلك سمّاهما زو

٥٤ و ٥٥. (مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُش بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَق وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَان * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) :

الرابع: أنّ السعداء من أصحاب الجنّة على حالة (مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُش)والفرش ما يبسط على الأرض للنوم والاضطجاع والجلوس والقعود، و

عن هيئة بين الاضطجاع والجلوس، وهو اضطجاع على جنب دون وضع الرأس والكتف على الفراش.

ثم لهذه الفرش بطانة وظهارة فبطانتها من الاستبرق وهو الديباج الغليظ، وبما أنّ الظهائر تكون أفضل من البطائن، فإذا كان بطائنها من

الخامس: (وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَان): أي ثمارهما قريبة من السعداء، فهم في حال الاتّكاء على فرشهم يتمكّنون من تناول الثمار متى شاءوا.

٥٦ و ٥٧. (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) :

السادس: (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ)لمّا تقدم أنّ السعداء من الأُمّة يتّكئون على فرش بطائنها من ديباج غليظ، عاد البيان القرآني للإشارة إ

ثم إنّ الضمير (فِيهِنَّ)يحتمل أن يرجع إلى الفرش التي هي كناية عن السرر، ويحتمل أن يرجع إلى الجنتين باعتبار كثرتهما لأنّ لكلٍّ جنتين

السابع: (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ): أي هنّ أبكار لم يمسّهنّ أحد قبل أزواجهنّ، لا من الجنّ ولا من الإنس، والعجب من بعض

وأنت ترى أنّ هذا النوع من التفسير لا يليق بكتاب الله العزيز.

٥٨ و ٥٩. (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

الثامن: (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ): في الصفاء والنقاء والبهاء. وهو وصف لهؤلاء القاصرات الطرف. والياقوت حجر كريم صلب شفّاف.(

تعود إلى عدم صفاء الياقوت، فالأحمر منه ـ مثلاً ـ يأخذ لونه من وجود آثار الكروم فيه. الموسوعة العربية العالمية:٢٧/٢٩٦.)والمرجان صغار الدر، وقد مرّ ذك

٦٠ و ٦١. (هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

المراد بالإحسان الأوّل هو فعل العبد، ومن الثاني الجزاء، والآية كالمتمّمة لما سبق من النعم التي يوليها سبحانه لعباده يوم الجزاء قائلاً بأنّ ا

وتستفاد من الآية مسألتان هما من المسائل الرئيسية في علم الكلام:

الأُولى: أنّ التحسين والتقبيح عقليّان وليسا بشرعيّين
بمعنى أنّ العقل يدرك قبل الشرع ما هو الحَسن الذي يجب أن يفعل وما هو القبيح الذي يجب أن يترك. والشاهد على ذلك أنّه سبحانه يخ

هذه الآية هي الآية الوحيدة التي تدلّ على أن التحسين والتقبيح من الأُمور التي يدركها الإنسان بفطرته وذاته، بل هناك آيات أُخرى لو تد

١. قال سبحانه: (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الإِحْسَانِ وَ إِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَ يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْي يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)(ال

٢. (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ)(الأعراف: ٣٣) .

٣. (يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ)(الأعراف: ١٥٧).

٤. (وَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَ اللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ)(الأعراف: ٢٨).

فهذه الآيات تعرب بوضوح عن أنّ هناك أُموراً توصف بالإحسان والفحشاء والمنكر والبغي والمعروف، قبل تعلّق الأمر أو النهي بها، وأنّ الإ

فالتدبّر في هذه الآيات لا يدع مجالاً لتشكيك المشكّكين في كون التحسين والتقبيح من الأُمور التي يدركها الإنسان بعقله الذي هو حجّ

وبذلك تقف على قيمة رأي الإمام الأشعري، حيث يقول:

فإن قال قائل: هل لله تعالى أن يؤلم الأطفال في الآخرة؟

قيل له: لله تعالى ذلك، وهو عادل إن فعله ـ ولا يقبح منه أن يعذب المؤمنين ويدخل الكافرين الجنان. وإنّما نقول: إنّه لا يفع

نحن لا نناقش كلامه، لأنّ القارئ جدّ عليم ببطلانه، وإنّما نسأله: من أين علم بأنّ الله سبحانه لا يكذب في خبره؟ وما هو مصدر علمه

فإن قال: المصدر هو حكم العقل بأنّه لا يكذب، فقد رجع عن قوله وأثبت أنّ العقل يدرك قبح شيء يجب أن يترك.

وإن قال: المصدر هو إخباره سبحانه في كتابه بأنّه لا يكذب فهو مستلزم للدور، إذ من أين علم بأنّه سبحانه ـ والعياذ بالله ـ لا يكذب

فلأجل ذلك يجب التسليم بقاعدة قطعية يدركها العقل وهي: قبح الكذب على الله، ليثبت به سائر المعارف التي أخبر عنها سبحانه.

وقد بسطنا الكلام في ذلك في رسالتنا المستقلّة «التحسين والتقبيح العقليان» وقلنا: إنّ من أنكر هذه الضابطة لا يتمكّن من إثبات أي ش

قلنا: إنّه يستفاد من هذه الآية مسألتان كلاميّتان أوضحنا حال المسألة الأُولى، وإليك حال المسألة الثانية، وهي:

المسألة الثانية: هل أنّ الثواب استحقاقيّ أو تفضّل من الله سبحانه؟

هنا قولان:

١. إنّه عقلي، أي العقل مستقلّ بالاستحقاق .

٢. إنّه سمعي، أي من باب التفضّل وأنّه سبحانه يتفضّل بالثواب، وبما أنّ المسألة طويلة الذيل نرجع القارئ إلى مكانها.(كشف المراد: ٢٦١ ـ ٢

يقوم به العبد ليس شيئاً إلاّ ما تفضّل به سبحانه وأنعَم به عليه، فهو لا يعطي من كيسه شيئاً بل يعطي ما تفضّل به سبحانه، فيكون من

الآيات ٦٢ ـ ٧٨ (وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا ... اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ).

الآيات: الثانية والستون إلى الثامنة والسبعين

(وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُدْهَامَّتَانِ* فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ* فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّ
تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَف خُضْر وَعَبْقَرِيٍّ حِسَان * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ* تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ).

المفردات

ومن دونهما: أي من ورائهما أو أقلّ منهما.

مُدهامَّتان: تثنية مدهامّة أي خضراء تضرب إلى السواد نعمة وريّاً.

نضّاختان: فوّارتان بالماء.

حور: جمع حوراء أي بيضاء حسنة البياض. والعين الحوراء إذا كانت شديدة بياض البياض، شديدة سواد السواد، وبذلك يتم حسن العين.

خيرات: كرائم الأخلاق.

حِسان: أي حسان الخَلق والخُلق.

رفرف: الرَّفرف ـ في الأصل ـ ما كان من الدّيباج وغيره رقيقاً حسن الصنعة، ثم اتُّسع به، وأُريد به الفُرش، أو الوسائد والنمارق، أو البُسُط،

خُضْر: جمع أخضر.

عبقريّ: قال أبوعبيد: العبقري صفة لكلّ ما بولغ في وصفه، وأصله أنّ «عبقر» بلد يوشى فيه البُسُط وغيرها، فنسب كلّ شيء إلى عبقر. و

التفسير

ذكر سبحانه للسعداء في الآيات السابقة جنّتين، وذكر هنا جنّتين أُخريين، إمّا هما أدنى من تينك الجنّتين في الكمال والجمال، أو هما قري

وأمّا ما هو الوجه من التعدّد فقيل: ليتضاعف له السرور بالتنقّل من جنّة إلى جنّة على ما هو معروف في طبع البشرية من شهوة مثل ذلك،

ثم إنّه وصف هاتين الجنّتين اللّتين دون الجنّتين الأُولين بأوصاف تشبه ما وصف بها الأُوليان وهي لا تتجاوز سبعة أُمور:

٦٢ و ٦٣. (وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

وقد مرّ أن قوله دونهما يحتمل وجهين: إمّا بمعنى القرب أو أقلّ منهما. ويظهر من بعض الروايات أنّ المراد هو الثاني. وأمّا أوصاف هاتين الج

٦٤ و ٦٥. (مُدْهَامَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

الأوّل: (مُدْهَامَّتَانِ) أي خضراوان تضرب خضرتهما إلى السواد، فكأنّ أوراق الأشجار، لكثرة الريّ، تضرب إلى السواد من شدّة خضرتها.

٦٦ و ٦٧. (فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

الثاني: (فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ): أي فيهما عينان فوّارتان بالماء ينبع من أصلهما ثم يجريان. ولاشكّ في أنّ فوران المياه يعطي جمالاً للجنّة

٦٨ و ٦٩. (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَرُمَّانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

الثالث: (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَرُمَّانٌ) قيل: إنّما أفرد النخل والرمان بالذكر، مع أنّهما من جملة الفاكهة تنبيهاً على فضلهما وجلالة النعمة ب

٧٠ و ٧١. (فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ):

الرابع: (فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ): أي في الجنّتين الأخيرتين حور (خَيْرَاتٌ)فاضلات النفس، كرائم الأخلاق، (حِسَانٌ)الخُلق والخَلق.

٧٢ و ٧٣. (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) :

الخامس: (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ): أي هؤلاء الخيرات الحسان البياض محبوسات في الحجال، مستورات في القباب، أي إنّهنّ مصونات

٧٤ و ٧٥. (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) :

السادس: (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ): أي أبكار لم يقربهنّ أحد قبل أزواجهنّ.

٧٦ و ٧٧. (مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) :

السابع: (مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ): أي على فُرش خضر ناعمة، أو وسائد (وَعَبْقَرِيٍّ)أي فائق في صنفه، عزيز الوجود. (حِسَانٍ) جمع حسن

٧٨. (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ):

(تَبَارَكَ) من البركة وهي زيادة الخير ووفرته، فيكون المعنى: مَن كثرت خيراته ووفرت نعماؤه.والجملة إمّا خبرية أُريد بها الإخبار عن شأ

.) وكأنّ الآية إشارة إلى أنّ كثرة خيراته ووفرة نعمائه من آثار كونه ذا الجلال والإكرام، لأنّ لصفاته ظهوراً في أفعاله، فكونه ذا جلال أجلّ

مقارنة بين أوصاف الجنتين

الجنّتان الأوليان

الجنتان الأُخريان

١. ذواتا أفنان

٢. عينان تجريان

٣. فيهما من كلّ فاكهة زوجان

٤. متّكئين على فرش بطائنها من استبرق

٥. فيهنّ قاصرات الطرف

٦. لم يطمثهنّ قبلهم إنس ولا جانّ

٧. كأنهنّ الياقوت والمرجان

يقابلها

=

=

=

=

=

لعله يقابله

مدهامّتان

عينان نضّاختان

فيهما فاكهة ونخل ورمان

متّكئين على رفرف خضر وعبقريٍّ حسان

مقصورات في الخيام

لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جانّ

فيهنّ خيرات حسان

والله سبحانه يعلم ما هو التفاوت بين هاتين وهاتين، وما هي حقيقة تلك النعم العظيمة، فالجميع من الأُمور الغيبية، ونرجو الله أن يرزق

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (٦
مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا

الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ
(٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦) نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْ
(٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَ
بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ
تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَ

تسمية السورة

سُمّيت في المصاحف بسورة «الواقعة»، وليس لها اسم آخر.

عدد آياتها ومحلّ نزولها

عدد آياتها تسع وتسعون في عدّ الحجازي، وسبع وتسعون في عدّ البصري، وست وتسعون في عدّ الكوفي، وقد ذكر في «مجمع البيان» مواضع

والسورة مكّية وتشهد لها صياغتها ومضمونها، وربما قيل إنّ بعض آياتها مدنيّ، مثل قوله: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ)، ولكن

روى الترمذي عن ابن عباس أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)قال: «شيّبتني: هود، والواقعة، والمرسلات، وعمّ يتساءلون، وإذا الشمس كوّرت».

والجامع بين السور أنّ فيها نبأ أهل الجنّة وأهل النار.

روي أنّ عثمان بن عفان دخل على عبدالله بن مسعود يعوده في مرضه الذي مات فيه، فقال له: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: ما تشتهي؟ قال

قال: منعتنيه وأنا محتاج إليه وتعطينيه وأنا مستغن عنه، قال: يكون لبناتك، قال: لا حاجة لهنّ فيه، فقد أمرتهنّ أن يقرأن سورة الواقع

وآخرون.)

وأخرجه السيوطي في «الدر المنثور» بحذف صدر الرواية، واكتفى بقوله: «مَن قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً». (الدر المنثور: ٨ /

أغراض السورة

تدور آيات السورة حول محور واحد وهو يوم القيامة هذا هو حسب الإجمال، وأمّا من حيث التفصيل فهي تذكر وقوع القيامة، وتصف ب

فنون العذاب والنكال لأصحاب الشمال، ثمّ تُقيم البراهين الدالّة على وجود الله ووحدانيّته، وعلى إمكان إعادة الخلق بعد الموت، ثمّ تنوّه بذكر

سورة الواقعة: الآيات ١ ـ ١٠ (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ... وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ)

الآيات: الأُولى إلى العاشرة

(إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا * وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَ

المفردات

الواقعة: قال الراغب: من الوقوع، ولا تقال إلاّ في الشدّة والمكروه.

وربما تفسّر بالحادثة، وهو بعيد؛ لأنّ الحدوث يتضمّن الوجود بعد العدم، بخلاف الواقعة فهي لا تحكي عن هذا المفهوم وإنّما تركّز على الوقو

رُجّت: زُلزلت وحُرّكت تحريكاً شديداً بحيث ينهدم ما فوقها.

بُسّت: أي فُتّتت .

هباءً منبثاً: أي غباراً متفرّقاً كالذي يُرى في شعاع الشمس إذا دخل من الكوّة.

الميمنة: في اللغة تقابل المشأمة ؛ والأُولى بمعنى اليُمن، والثانية بمعنى الشؤم. ويحتمل أن يكون المراد بالميمنة جهة اليمين وبالمشأمة جهة

التفسير

١. (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ):

عبّر عمّا يقع في المستقبل بصيغة الماضي(وَقَعَتِ) لأجل كونه محقّق الوقوع، لكن (إِذَا) الزمانية تقلب الماضي إلى المستقبل، فيكون المعنى

أنّ بعض الآيات يدلّ على أنّ كلام الله سبحانه في هذه السورة كأنّه موجّه إلى المرتحلين عن هذه الدنيا كما يقول: (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَ

٢. (لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ):

ثمّة وجهان في استخدام اسم الفاعل (كَاذِبَةٌ):

١. أن يكون اسم الفاعل بمعنى المصدر أي الكذب، فيكون المراد: ليس في مجيئها أيّ كذب، وعندئذ تصبح اللام في (لِوَقْعَتِهَا) بمعنى «في

٢. أن يبقى اسم الفاعل على معناه وعندئذ يقع صفة لموصوف محذوف يقدّر بـ (نفس)، فيكون المراد: ليس حين وقعتها نفس كاذبة، أي تح

٣. (خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ) :

لمّا أخبر عن الواقعة التي لاشكّ ولا مرية فيها، بدأ ببيان أحوالها المرعبة، وذكر منها أُموراً أربعة:

أ. (خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ) ذهب أكثر المفسّرين إلى أنّ المراد: أنّها تخفض أقدار قوم كانت رفيعة في الدنيا، وترفع أقدار آخرين كانت خفيضة فيها

وبسّ الجبال، فهذه الجمل تدلّ على أنّ الخفض والرفع يتمّ في العالم المادي كلّه، ويؤيده قوله سبحانه: (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَا

٤ ـ ٦. (إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا) :

فإذا كان الوضع والرفع من أحوال يوم القيامة، فهناك أُمور ثلاثة تتم بها الأُمور الأربعة تمثّل لنا أوضاعه المرعبة، وهي .

ب. رجّ الأرض أي تحريكها أو هزّها بشدّة.

ج. بسّ الجبال أي تفتيتها وتفريقها.

د. صيرورة الجبال هباء منبثاً وغباراً منتشراً ، فهذا الرجّ والزلزال يبلغ من العنف، بحيث تندكّ على إثره الجبال الراسخات وتتفتّت صخوره

وقد جاء ما ذُكر هنا من أعلام يوم القيامة وأهوالها، في آيات عديدة وبألفاظ متقاربة، حيث يقول سبحانه في هذا الصدد:

(وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) .(الطور: ١٠ .)

(وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ)(المرسلات: ١٠ .).

(فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً)(الحاقة: ١٤.).

(وَ كَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً)(المزمل: ١٤.).

(وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ)(القارعة: ٥ .).

تصنيف الناس إلى أصناف ثلاثة

٧ـ١٠. (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ):

تصنّف الآيات المحشورين يوم القيامة إلى أصناف ثلاثة كما يقول سبحانه: (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً) وقد تكرر بيان التصنيف في هذه السو

١. أصحاب الميمنة.

٢. أصحاب المشأمة.

٣. السابقون .

وفي الآيات التالية جاء بهذا الشكل:

(وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيمِينِ).

(وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ).

وفي الآيات التالية جاء بالشكل التالي:

(فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ).

(وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ).

(وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ).

فقد جاء مكان السابقين لفظ: المقرّبين، ومكان أصحاب الشمال: المكذّبين الضالّين.

ثم إنّه سبحانه يصنّف الناس أصنافاً ثلاثة، لكن بتعبير آخر ويقول:

(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)(فاطر: ٣٢ .) ثم يذكر الأصناف بالنحو التالي:

١. (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ

٢. وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ

٣. وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ)(. فاطر: ٣٢.).

وفي الوقت نفسه ربما يصنّف الناس إلى صنفين بين سعيد وشقي، يقول سبحانه: (يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ)

إذا عرفت ذلك فلندرس الأصناف الثلاثة.

الأوّل: السابقون: قال سبحانه: (السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) الظاهر أنّ الفقرة مركّبة من مبتدأ وخبر، والمراد بـ (السَّابِقُونَ)الثاني هو الأوّل، ونظ

وكأنه قال: وشعري ما انتهى إليك وسمعت بفصاحته وبراعته.

والمراد بالسابقين مَن سبقوا في عامّة حلبات الخير من غير فرق بين العقيدة والعمل، فصاروا أُسوة وقدوة للآخرين.

ويشهد لما ذكرنا من التفسير قوله سبحانه: (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ)أي من سبق الآخرين في عامّة حلبات الخير، فإذا سبقوا بالخيرات سبق

وثمّة روايات تذكر بعض السابقين كمصاديق لهذا الصّنف من الناس، فقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُو

وروى محمد بن العباس بن علي (ابن الحجّام) عن ابن عقدة بإسناده عن الحسن السبط(عليه السلام) قال: «أبي أسبق السابقين إلى الله عزّ

وروى الطبرسي عن الإمام الباقر (عليه السلام)أنّه قال: «السابقون أربعة: ابن آدم المقتول، وسابق في أُمّة موسى (عليه السلام)وهو مؤمن آل

الصنف الثاني: أصحاب الميمنة: قال سبحانه: (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) والميمنة من اليُمن مقابل الشؤم أو ناحية اليمين، وه

ويحتمل أن يراد بأصحاب الميمنة، الذين يُعطون صحائف أعمالهم بأَيْمانهم.

الصنف الثالث: أصحاب المشأمة: قال سبحانه: (وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ)وهؤلاء هم الجاحدون الأشرار الغارقون في مست

ثم إنّ السيد الطباطبائي (قدس سره)ردّ هذا الاحتمال وقال: لو كان كما قيل، لقيل: أصحاب الشمال مع أنّه سبحانه قال أصحاب المشأمة.

يلاحظ عليه: كما تقدّم أنّ البيان القرآني تفنّن في بيان الأصناف الثلاثة، ولذلك نرى أنّه تارة يعبّر عن الصنف الثاني والثالث بأصحاب ا

ثم إنّ الفرق بين الأصناف الثلاثة واضح جدّاً.

فالصنف الأوّل هم المُثل العليا في عامّة حلبات الخير وفي السبق إلى كلّ ما دعا الله تعالى إليه، فهم بين معصوم وبين تال له.

والصنف الثاني هم الذين نالوا درجة كبيرة من السعادة ولكن لا تخلو حياتهم من هَنات، وصحائف أعمالهم من سيّئات، فهؤلاء يظفرون

وأمّا الصنّف الثالث فلا توجد في صحائف أعمالهم نقطة بيضاء أو عمل صالح ينجيهم. فكأنّ حال الناس في السعادة والشقاء كحالهم في ا

الأصناف الثلاثة بتعبير آخر

قد مرّ أنّه سبحانه أشار إلى هذا التصنيف الثلاثي وقال: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ

يقول سبحانه: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ)أي القرآن (الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)أي اخترناهم، ولمّا علّق توريث الكتاب بمن اصطفاه من عباد

١. (ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ

٢. مُقْتَصِدٌ

٣. سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ).

فالصنف الأوّل هم أصحاب المشأمة، والصنف الثاني هم أصحاب الميمنة، والصنف الثالث هم السابقون.

الآيات ١١ ـ ٢٦ (أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ ... إِلاَّ قِيلاً سَلاَمًا سَلاَمًا) .

الآيات: الحادية عشرة إلى السادسة والعشرين

(أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَة * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْ
سَلاَمًا سَلاَمًا) .

المفردات

الثلّة: الجماعة الكثيرة.

سُرر: جمع سرير.

موضونة: الوضن: النسج يستعمل غالباً في نسج الدرع، وأُطلق على السرير لإفادة إحكام نسجها.

متكئين: من الاتّكاء، أي معتمدين.

الأكواب: جمع كوب، وهو الإناء الذي لا عروة له ولا خرطوم، ولعلّه القدح الكبير المستدير.

أباريق: جمع إبريق، وهو الإناء الذي له خرطوم.

كأس: إناء يُشرب فيه، ولا يسمّى كأساً إذا لم يكن فيه شراب.

مَعين: مأخوذ من المَعْن بمعنى الجاري، والمراد: خمر جارية.

لا يصدَّعون: لا يلحقهم صُداع، وهو وجع الرأس.

ينزفون: من النَّزف يعني السقم وفقدان العقل.

حور: جمع حوراء، وهي البيضاء النقيّة، أو الشديدة بياض العَين والشديدة سوادها.

عِين: جمع عَيناء، وهي الحسنة العين، الواسعتها.

المكنون: المستور كالدرّ في الصدف.

اللغو (من القول): ما لا فائدة فيه.

التأثيم: ما استوجب الإثم.

التفسير

لمّا فرغ سبحانه من تصنيف الناس إلى أصناف ثلاثة، أخذ في بيان مصيرهم وأوصافهم وما أعدّه لصنفين منهم من النعم، وما يلقاه الصن

١١ ـ ١٢. (أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ):

يطلق القرب والبعد ويراد بهما ما هو من صفات الأجسام بحسب النسبة المكانية، ويطلق بحسب النسبة الزمانية، قال سبحانه: (إِنَّهُمْ يَ

الاسمي.

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّه وصف السابقين بأُمور:

الأوّل: أنّهم مقرّبون عند الله فهم في أعلى المراتب وأقربها إلى مجالس كرامته، وما المقرّب إلاّ من وصل في العبودية إلى القمة فاستسلم لر

ويدخل تحت ولاية الله سبحانه، ويُصبح من أُولئك الأبرار الذين وصفهم الإمام علي (عليه السلام) بقوله: «عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ

الثاني: (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ)فلكلّ جنّة نعيم، ويدلّ عليه سبحانه قوله في آخر هذه السورة: (فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ

١٣ ـ ١٤ . (ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ * وَ قَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ):

الثالث: أنّ السابقين هم جماعة كثيرة من الأوّلين، وجماعة قليلة من الآخرين، والسؤال هنا: ما المراد بالأوّلين والآخرين في الآيتين؟ فيه

١. أنّ المراد بالأوّلين الأُمم التي سبقت ظهور الإسلام، ولا ينافيه قوله سبحانه: (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاَثَةً)؛ وذلك لأنّ الخطاب فيه لجميع النا

عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ)(النساء: ٦٩ .). والمراد بالآخرين أهل الإسلام .

ومن المهزلة ما نقله الرازي عن بعضهم من أنّ الصحابة لمّا نزلت عليهم هذه الآية صعب عليهم قلّتهم فنزل بعده:(ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّ

٢. أنّ المراد بالأوّلين والآخرين هم أوّلو هذه الأُمّة وآخروها، إذ من البعيد أن يكون السابقون في الأُمم الماضية أكثر من السابقين في الأُمّ

والقول الأوّل هو الأرجح، ذلك أنّ هذه الآيات وما بعدها جاءت كتقرير تصنيفي عام يشمل الماضي والحاضر والمستقبل لمختلف الأصناف

وممّا يرجّحه أيضاً هو وجود الأنبياء في الأُمم السالفة، والذين يبلغ عددهم ـ كما في بعض الروايات ـ مئة وأربعة وعشرين ألف نبيّ.(انظر

١٥ ـ ١٦. (عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ):

الرابع:(عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ): أي منسوجة بإحكام كما تنسج حلق الدروع (مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ) فهم مستقرّون على سررهم متكئون ع

١٧ ـ ١٨. (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ) :

الخامس: تشير الآية إلى خدمة المقرّبين، فإنّهم في هذا المجلس الذي يشيع فيه الأُنس والتفكّه، يحتاجون إلى مَن يخدمهم ليزدادوا أُنساً ورا

وهؤلاء الولدان يخدمون المقرّبين بأوان ثلاثة وهي: الأكواب، والأباريق، والكأس.

ثم إنّه يقع الكلام في ترتيب هذه الأواني فقد بيّن الرازي وجهه بالقول: إنّ الأكواب هي الأواني التي يصبّ منها الشراب في الأباريق ومن الأ

ثمّ أثار الرازي هذا السؤال: إنّ الطواف بالكأس على عادة أهل الدنيا، وأمّا الطواف بالأكواب والأباريق فغير معتاد، فما الفائدة فيه؟ وأجاب

١٩. (لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ) :

السادس: (لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا): أي لا يأخذهم من شربها صُداع (وَلاَ يُنْزِفُونَ): مأخوذ من قولهم: نزف الرجل: ذهب عقله(المنجد، مادة«نزف

٢٠. (وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ):

السابع: (و)يطوف ولدان مخلدون بـ (فَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ): أي يختارونه ويشتهونه، وجرّ فاكهة لأنّها معطوفة على قوله: (بِأَكْوَابٍ)وهكذ

٢١. (وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) :

الثامن: أنّ الولدان يطوفون عليهم بلحم ممّا تميل نفوسهم إليه ويتمنّونه دونما حاجة إلى ذبح الطير.

٢٢ ـ ٢٤. (وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) :

التاسع: ولهم حور(ورد لفظ (حور) هنا بالرفع، لكونه مبتدأ، والخبر محذوف، والتقدير ـ كما ذكرنا ـ ولهم حور عين. وقيل: يجوز أن يعطف على «ولدان»، فيك

(كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ)المصون من كلّ لمسة ونظرة بشهادة أنّه لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جانّ.

(جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فهذه النعم مكافأة لهم على أعمالهم الصالحة التي كانوا يريدون بها وجه الله.

٢٥ ـ ٢٦. (لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ تَأْثِيمًا * إِلاَّ قِيلاً سَلاَمًا سَلاَمًا):

العاشر: إنّ الجنّة منزّهة عن اللغو وما لا فائدة فيه من الكلام، فـ (لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا) فكلّ ما ينطقون به، فيه فائدة، كما أنّها منزّهة ع

ابن الفارض (المتوفّى ٦٣٢هـ):

تهذّبُ أخلاقَ النّدامى، فيهتدي *** بها لطريق العزم، مَن لا له عزمُ

ويكرُمُ مَن لا يعرف الجودَ كفُّهُ *** ويحلُمُ، عند الغيظ، مَن لا له حِلْمُ

فالجنّة كلّها سلام سلام لأنّها دار السلام. ولعلّ الغاية من تكرار السلام هو إفادة التعاقب أي سلاماً بعد سلام كما في قوله تعالى: (إِذَا دَ

نفس أهل الجنة إذا تعدّد الوارد.

ثم إنّ قوله سبحانه: (إِلاَّ قِيلاً سَلاَمًا سَلاَمًا) من باب المدح بصورة الذمّ، كما في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنا أفصح مَن نطق بالضاد ب

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم *** بهنّ فلول من قراع الكتائبِ

إلى هنا تمّ ما يرجع إلى المقرَّبين ممّا كتب الله لهم من الجزاء والآن نمضي مع البيان القرآني الذي عاد فذكر مآل أصحاب اليمين وما كتب

الآيات ٢٧ ـ ٤٠ (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُود ... وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ).

الآيات: السابعة والعشرون إلى الأربعين

(وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُود * وَطَلْح مَنْضُود * وَظِلّ مَمْدُود * وَمَاء مَسْكُوب * وَفَاكِهَة كَثِيرَة * لاَ مَقْطُوعَة وَلاَ مَ

المفردات

سدر: السِّدر: شجر معروف، يمتاز بكثرة أوراقه وأغصانه، وله شوك. ويسمّى أيضاً النّبق.

مخضود: مقطوع الشوك.

طَلح: قال الراغب: شجر، الواحدة طلحة. وفسّر بشجر الموز، وعلى هذا فالامتنان لثمره، وللشجر لحسن منظره، وفسّر بغير ذلك أيضاً .

منضود: أي نضد حمله من أسفله إلى أعلاه فليست له سوق بارزة.

مسكوب: أي مصبوب يسكب لهم كما يشاؤون.

فُرُش: واحدها فراش كسُرُج وسراج.

مرفوعة: أي مرفوعة عن الأرض ويحتمل أنّ وجه رفعها كونها مبسوطة على السرر. وقال الراغب: وربّما كنّي بالفراش عن كلّ واحد من ال

عُرُباً: جمع عَروب أي المتحبّبة إلى زوجها.

أتراباً: جمع تِرْب بمعنى المثل، أي متماثلات في السنّ.

التفسير

٢٧. (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ):

أي بلغوا الغاية في فخامة شأنهم ورفعة قدرهم وعلوّ منزلتهم.

يبيّن الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات ما لأصحاب اليمين في يوم القيامة من نعيم، وقد عرفت أنّ المراد بهم ما دون المقرّبين، فهم أصحا

٢٨. (فِي سِدْرٍ مَّخْضُود) :

الأوّل: أنّهم (فِي سِدْرٍ مَّخْضُود) أي مقطوع شوكه ومنزوع، وليس كسدر البريّة في الدنيا.

أخرج الحاكم عن أبي أُمامة أنّ أعرابياً أقبل يوماً فقال: يا رسول الله لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى أنّ في الجنة ش

يفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لوناً من الطعام ما فيها لون يشبه الآخر».(الدر المنثور: ٨ / ١٢.)

٢٩. (وَطَلْح مَنْضُود) :

الثاني: (وَطَلْحٍ مَنْضُود) فلو أُريد شجر الموز تكون الغاية الانتفاع بثمره وحسن منظره.

٣٠. (وَظِلّ مَمْدُود):

الثالث: (وَظِلّ مَمْدُود): أي دائم لا تنسخه شمس فهو باق لا يزول . قال سبحانه: (وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلاً ظَلِيلاً)(. النساء: ٥٧ .). وسيأتي تفسير قو

٣١. (وَمَاء مَسْكُوب):

الرابع: (وَمَاء مَسْكُوب): أي يُصبّ من فوق دون انقطاع.

٣٢ ـ ٣٣. (وَفَاكِهَة كَثِيرَة * لاَ مَقْطُوعَة وَ لاَ مَمْنُوعَة):

الخامس: (وفَاكِهَة كَثِيرَة): أي كثيرة الطعوم والألوان وكثيرة الأنواع والأعداد دون أن تنقطع ودون أن تمنع، أمّا عدم الانقطاع فلأنّ رحم

٣٤ ـ ٣٧. (وَفُرُش مَرْفُوعَة * إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا):

السادس: (وَفُرُش مَرْفُوعَة): أي هم يعيشون مع (فُرُش): أي نساء، والعرب تُسمّي المرأة فراشاً ولباساً على الاستعارة (مَرْفُوعَة) أي مرتفعات

أزواجهن عاشقات لهم (أَتْرَابًا): أي متماثلات في السنّ، بعضهنّ ترب بعض، لا أنّهن أتراب لأزواجهنّ.

٣٨. (لأَصْحَابِ الْيَمِين):

متعلّق بقوله: (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ) و(فَجَعَلْنَاهُنَّ): أي خلقناهنّ لأصحاب اليمين. إلى هنا تمّ البيان القرآني لما لأصحاب اليمين من نعيم.

وثمّة أمر يفترق فيه السابقون عن أصحاب اليمين؛ وهو أنّ السابقين هم ثلّة من الأوائل وقلّة من الأواخر كما مرّ، وأمّا أصحاب اليمين فه

٣٩ ـ ٤٠. (ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ):

والثلّة هم الجماعة الكثيرة، والكلام فيه هو نفس الكلام في السابقين، فهل المراد من الأوّلين الأُمم السابقة ومن الآخرين أُمّة نبينا(صلى الله

المقارنة بين النعيمين: نعيم السابقين و نعيم أصحاب اليمين

نذكر في هذا الجدول ما صرح به القرآن المجيد، ولذلك لن نذكر لأصحاب اليمين جنات النعيم وإن دلّت عليه الآيات بالملازمة.

نعيم السابقين

١. أُولئكَ المقرَّبون

٢. فِي جَنَّاتِ النَّعِيم

٣. عَلَى سُرُر مَوْضُونَة

٤. مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ

٥. يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ

٦. لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ

٧. وَفَاكِهَة مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ

٨ . وَلَحْمِ طَيْر مِمَّا يَشْتَهُونَ

٩ . وَحُورٌ عِينٌ

١٠. لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ تَأْثِيماً

نعيم أصحاب اليمين

١. فِي سِدْر مَخْضُود

٢. وَطَلْحٍ مَنْضُود

٣. وَظِلّ مَمْدُود
٤. وَمَاء مَسْكُوب
٥. وَفَاكِهَة كَثِيرَة
٦. وَفُرُش مَرْفُوعَة ... عُرُبًا أَتْرَابًا

ويثار هنا سؤال، وهو: إذا كان السابقون أعلى شرفاً وأفخم مقاماً، فلماذا لم تذكر لهم تلك الألوان من النّعم التي ذُكرت لأصحاب اليمين كال

والجواب واضح، فهذه النعم هي دون تلك النعم الكبرى التي يُجازى بها السابقون، فإذا ثبتت لهم تلك النعم العظيمة فلازمه وجود هذه الت

نعم، قوله: (عُرُباً أترابا) قد أدغم في قوله: (وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) .

الآيات ٤١ ـ ٥٦ (وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُوم وَ حَمِيم ... هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ).

الآيات: الحادية والأربعون إلى السادسة والخمسين

(وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُوم وَ حَمِيم * وَ ظِلّ مِنْ يَحْمُوم * لاَ بَارِد وَلاَ كَرِيم * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّ
الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ).

المفردات

السَّموم: الريح الحارة التي تدخل في مسامّ البدن. ومنه أُخذ السُّمّ، لأنّه يسري في المسام.

اليحموم: الدخان الأسود.

كريم: ما ليس فيه منفعة. قال الفرّاء: العرب تجعل الكريم تابعاً لكلّ شيء يُنوى به المدح في الإثبات، أو الذمّ في النفي، تقول: هو سمين كر

مترفين: أي منغمرين في اللّذات لا يتوجّهون إلى منطق الأنبياء .

يصرّون: أي يقيمون ولا يقلعون.

الحنث: الذنب العظيم، وأُريد به الشرك بالله، ويحتمل أن يراد به نقض العهد المؤكّد بالحلف.

زقوم: شجر ينبت في أصل الجحيم، قال سبحانه: (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ)(الدخان: ٤٣ ـ ٤٦

وفي «المفردات» عبارة عن أطعمة كريهة في النار.

الحميم: الماء الشديد الحرارة.

الهيم: الإبل التي لا تُروى من الماء لداء يصيبها، واحدها (أَهيم)، والأُنثى (هَيْماء).

النُّزُل: ما يقدّم للضيف تكريماً.

التفسير

لمّا فرغ سبحانه من ذكر مآل الصنفين الأوّلين، وما يلقّونه من النعم الكريمة الوافرة، بدأ ببيان مآل الصنف الثالث، وهم أصحاب الشمال

٤١. (وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ):

وهذا النوع من الصياغة في الصنفين الأوّلين يدلّ على فخامة مقامهما، ولكن في هذا المقام يدلّ على سوء منزلتهم ومنقلبهم بحيث لا يقدّ

ويكفي في التعرّف عليهم الفقرات الثلاث التالية:

٤٢ ـ ٤٤. (فِي سَمُوم وَحَمِيم * وَ ظِلّ مِنْ يَحْمُوم * لاَ بَارِد وَلاَ كَرِيم) :

(فِي سَمُوم): فهم في حرّ لافح يدخل البواطن من جانب (وَحَمِيم): أي ماء شديد الحرارة من جانب آخر (وَظِلّ مِنْ يَحْمُوم): أي من دخان أس
تلفح وجوههم وأبدانهم، والماء الحار يصلي أمعاءهم وأحشاءهم، والدخان الأسود الذي يستظلّون به يكاد يخنق أنفاسهم، فالموت في مثل ه

وربما يدور في خلد القارئ: ما هو السبب في تعذيب هذا الصنف من الناس؟ فأجاب سبحانه بهذا الجواب الذي تكشف عنه الآيات التا

٤٥ ـ ٤٨. (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ * وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ آبَ

وحاصل الآيات: أنّ السبب في تعذيب هؤلاء أنّهم كانوا يتظاهرون بثالوث الكفر، فينكرون رسالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أوّلاً، وي

أمّا الأوّل: فقد أشار إليه سبحانه بقوله: (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ)ومن شيمة المترفين المنهمكين في اللّذات، رفض رسالة السماء ودعو

أُمَّة وَ إِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ)(الزخرف: ٢٣.)، فالترف والانغماس في اللّذات والشهوات يبعث على الجحود والإنكار والعتوّ عن أمر الله، وم

وإلى الثاني: أشار بقوله: (وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ) فسواء أفسّر الحنث بالذنب العظيم أو حنث العهد فالنتيجة واحدة؛ لأنّ المقص

حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)(الروم: ٣٠.).

وإلى الثالث: أشار بقوله: (وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) فقد كان الإصرار على نفي المعاد بلا حجّة ولا بره

الأَوَّلُونَ)وكأنّهم فرضوا أنّه سبحانه خلقهم بلا غاية وأنّهم والبهائم في الحياة سواء، ولذلك أمر سبحانه رسوله أن يخبرهم بقول قاطع:

٤٩ ـ ٥٠. (قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ):

أمر الله سبحانه نبيّه أن يقول إنّ البعث يعمّ الأوّلين والآخرين، إذ لا فرق بينهم وبين غيرهم، فمعنى قوله: (مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ): أي وقت

وبما أنّ الإنسان في الجحيم حيّ وهو لا يستغني عن الطعام والشراب، فالله سبحانه يشير في الآيات التالية إلى مأكلهم ومشربهم وما يترتّ

٥١ ـ ٥٦. (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ

وصفهم سبحانه بوصفين وقال: (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ) قدّم الأوّل ـ أي الضّلال ـ على التكذيب ؛ لأنّ الثاني نتيجة الأوّل، ثم

بيّنه سبحانه بقوله: (فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ): أي الماء الحار الذي يحرق الأمعاء والأحشاء (فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ)فهؤلاء الذين يُقبلون

ثم ذكر سبحانه أنّ هذا الطعام والشراب، هو ما أُعدّ لضيافتهم يوم الجزاء!!كما قال: (هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) وفي التعبير عمّا أُعدّ لهم بالنُّزُل

الآيات ٥٧ ـ ٧٤ (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلاَ تُصَدِّقُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ... فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ).

الآيات: السابعة والخمسون إلى الرابعة والسبعين

(نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلاَ تُصَدِّقُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ *

الذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُ

المفردات

تُمنون: تريقون المني، الذي هو سبب النسل. وأصله التقدير. وقد أُطلق على ماء الإنسان المني لأنّ فيه تقدير الجنين وما بعده.

مسبوقين: مغلوبين.

حُطاماً: الحطام: الهشيم الذي لا يُنتفع به في مطعم ولا غذاء، وأصل الحطم: الكسر.

التفكّه: أصله تناول ضروب الفواكه للأكل. والفكاهة: المزاح. ويراد هنا التعجّب من سوء حاله.

المُغرَم: الذي ذهب ماله بغير عوض، والغرام: العذاب اللازم.

المُزْن: السحاب أو ذو الماء منه، والقطعة منه مُزنة.

أُجاج: شديد الملوحة والمرارة.

تورون: يقال: أورى يوري ووريتُ بك زنادي، والإيراء: إظهار النار بالقدح، ويقال: قدح فأورى إذا أظهر النار.

المقوين: جمع المُقوي، وهو النازل بالقواء من الأرض التي ليس بها أحد، وأقْوت الدار: خلَتْ من أهلها. قال عنترة:

حُيّيتَ من طَلل تقادمَ عهدُه *** أقوى وأقفر بعد أُمّ الهيثمِ(١)

(١)الطَّلل: الشاخص من آثار الدار. وأُم الهيثم كنية عَبلة. لاحظ: مجمع البيان:٩/٣٧٠؛ جمهرة أشعار العرب:١٦١؛ القاموس المحيط:٨/٤ ، مادة «طل».

التفسير

بعدما فرغ البيان القرآني من ذكر الأزواج الثلاثة ومصائر الجميع وذكر في نهاية الآيات السابقة أنّهم كانوا ينكرون البعث والجزاء بغير دل

٥٧. (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلاَ تُصَدِّقُونَ):

هذا هو البرهان الأوّل على إمكان المعاد، فالقادر على الخلق الأوّل قادر على الخلق الثاني وهو أهون عليه، يقول سبحانه: (وَهُوَ الذِي يَبْدَؤُ
عَلِيمٌ)(يس: ٧٩ .)، وقال سبحانه: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْق نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)(الأنبياء: ١٠٤ .).

٥٨ ـ ٥٩ . (أَفَرَأَيْتُم مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ):

هذا هو البرهان الثاني على إمكان المعاد، وحاصل البرهان: أنّ الذي يرجع إلى العبد هو الإمناء وصبّ مائه في رحم الزوجة، وأمّا من هو خالق
عضو وظيفته المخصّصة؟ فالجواب أنّ الخالق هو الله، وأنّ جميع ما ذُكر وما لم يُذكر هو من فعله سبحانه، إذ لا شكّ أنّ عمل العبد ينقطع
أو الخالق هو الله سبحانه؟وإذا كان لا يمكنهم ادّعاء إضافة ذلك إلى أنفسهم، فكيف بما يأتي بعد صبّه في الأرحام من أطوار الخلق حتّى يُ
أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)(المؤمنون: ١٢ ـ ١٤ .)؟

لا شكّ أنّ القادر على هذا، قادر على إعادة الحياة.

٦٠ ـ ٦١. (نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ) :

هذا هو البرهان الثالث على إمكان المعاد ورفض شُبه المشركين، والبرهان يتكوّن من أمرين:

١. قوله: (نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ): أي نحن قدّرنا بينكم الموت ووقّتنا لكلٍّ منكم أجلاً لا يعدوه، فالله تعالى كتب
ثم إنّ فناء كلّ إنسان على وجه البسيطة إنّما هو لأجل تعلّق المشيئة الإلهية بذهاب جمع وإتيان جمع آخر، لا أنّه سبحانه عاجز عن إفاضة ال

٢. (عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ) الظاهر أنّ الظرف في قوله: (عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ) متعلّق بـ(قدّرنا)، والأمثال جمع مِثْل
قوله سبحانه: (وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ)(النساء: ٢.) والطيب هو المبدل والخبيث هو البدل ولذلك نهى عن التبديل. وبما أنّ المفروض،
ثمّ بعد التبديل تُنشأ للإنسان حياة جديدة لا تُعلم خفاياها، كما قال: (وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ): أي في نشأة لا تعلمون كيفيتها ولا و
وحاصله: أنّه سبحانه تعلّقت مشيئته بالحياة المؤقّتة لكلّ إنسان، وليس هذا دليلاً على كونه مغلوباً عاجزاً عن إعطاء الحياة الدائمة، بل أو
وهذا هو البرهان الثالث على إمكان المعاد ؛ وحاصله: أنّ تقدير الموت لا يعني عجزنا عن إعطاء الحياة الأبدية، بل الغاية إذهاب قسم من ال

٦٢. (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ) :

الظاهر أنّ الآية ليست برهاناً مستقلاً بل إيضاح للبرهان الأوّل في قوله: (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلاَ تُصَدِّقُونَ): أي إنّ الذي قدِر على خلقكم
ثم إنّ مضمون الآية برهان منطقي لا صلة له بقياس التمثيل الذي يستدلّ به الفقهاء على الحكم الشرعي. وحاصل البرهان: أنّ البدن المح
وحصيلة الكلام: أنّ هنا فرقاً بين التمثيل الفقهي والقياس المنطقي، فإنّ التمثيل الفقهي عبارة عن إسراء حكم موضوع داخل تحت نوع
وأمّا البرهان المنطقي وهو إسراء حكم فرد إلى فرد آخر واقعين تحت نوع واحد بحجة أنّ حكم الأمثال في الجميع واحد، وبذلك يظهر سق
قال الزمخشري: وفي هذا دليل على صحّة القياس حيث جهّلهم في ترك قياس النشأة الأُخرى على الأُولى.(تفسير الكشّاف: ٣ / ١٩٦ .)
وتبعه الآلوسي في تفسيره وقال: فهلاّ تتذكرون أنّ مَن قدر عليها ـ يعني على النشأة الأُولى ـ فهو على النشأة الأُخرى أقدر وأقدر، فإنّها أقل
وقد تنبّه في آخر كلامه على أنّ الاستدلال بالآية على القياس باطل، إذ مضافاً إلى ما ذكرناه من أنّ مورد القياس الفقهي خارج عن المثلين

٦٣ ـ ٦٤. (أَفَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُم تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) :

أشار سبحانه في قوله: (أَفَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ ـ إلى قوله: ـ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ التي تُورُونَ) إلى أهم ما يعيش به الإنسان على البسيطة، أعني: الزرع ل

قوله:(أَفَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ) هو مثل قوله: (أَفَرَأَيْتُم مَا تُمْنُونَ) إذ الذي يرجع إلى الفلاّح هو إلقاء البذور في الأرض بعد تهيئة الأرض للإنب
المعلوم في المقام، فالزارع بالمعنى الحقيقي هو الله سبحانه ولو وصف به الحارث فبضرب من المجاز، قال سبحانه: (يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ)(الفتح:
ثم إنّه لو شاء لجعله بعد ما ينبت حطاماً قبل الانتفاع به، كما قال:
٦٥ ـ ٦٧. (لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ):
أي لو شاء الله سبحانه وأراد لجعل الزرع، قبل حيازة غَلّته أو ثمره، حطاماً متكسّراً لا يُنتفع به، وعند ذاك تتعجّبون ممّا أصاب زرعك
الفقرة الثانية بكلّ رحمة وخير. وعلى كلّ تقدير فهذه الآيات تقدّم دليلاً آخر على إمكان المعاد، فمَن الذي يحيي الأرض بعد موتها؟ ومن الن
سنبلة حبّ كثير، فالقادر على هذه الأُمور التي فيها إحياء بعد إحياء قادر على إعادة الحياة.
٦٨ ـ ٧٠.(أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ):
انتقل بعد بيان الزرع الذي هو طعام الإنسان، إلى الماء الذي هو أصل الحياة، وخصّ بالذكر الماء العذب الصالح للشرب، كما قال: (أَفَرَأَيْتُمُ
للإنسان بها، ونحن نعلم أنّ مياه المحيطات مالحة جداً، ولكنّ هذا الملح ينعزل أثناء عملية التبخّر، ولهذا تكون مياه الأمطار التي تسق
فيتساقط على الأراضي القاحلة والميتة وعلى الجبال فيسيل في الأودية إلى أن يصل الماء العذب إلى الإنسان؟ ولا جواب على هذه الأسئلة إلا
لم يفعل لطفاً بعباده، فعليهم أن يشكروه، كما قال: (لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ) .
وقد روي أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)إذا شرب الماء قال: «الحمد لله الذي سقانا عذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أُجاجاً بذنوبنا»(ك
٧١ ـ ٧٢. (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ التِي تُورُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ):
إنّ حياة الإنسان على البسيطة تعتمد على الزرع والماء والنار فيجب على الإنسان أن يتأمّل ما هو شأنه في مورد النار، فليس له شأن إلاّ ال
فتيان القبيلة ويحرك عود العفار فيها بالتوالي، ويأتي بعده آخر ويصنع كما صنع سابقه، ولا يزالون يفعلون هكذا حتى تشتعل النار من ك
وأمّا الإنسان المتحضّر فيستفيد من الكبريت والقدّاحات ؛ والثاني عبارة عن ضرب الحجر المخصّص للقدح حيث تتولّد منه شرارة بضر
تُوقِدُونَ)(يس: ٨٠ .) وهذا من عجائب الخلق، حيث تُدّخر النار الحامية في الشجر الأخضر المشبع بالماء!! وعلى كلّ تقدير فلننظر إلى مفاد ال
٧٣. (نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ) :
إنّ في إخراج النار من الشجر الأخضر فائدتين مهمتين:
الأُولى: موعظة تذكّر بالبعث ؛ لأنّ مَن يُخرج النار من الشجر الأخضر قادر على إعادة الحياة إلى الأجساد البالية.
الثانية: أنّ في إخراج النار من الشجر (مَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ): أي منفعة للمسافرين، وربّما يفسّر بالمتمتعين ليعمّ غيرهم، وهذا أفضل لأنّ النار
وبعد التذكير بهذه النعم الكبرى التي بها قوام الحياة، صار تنزيه الله سبحانه عن العجز عن إعادة الحياة أمراً لازماً، وبذلك خرج البيان ا
٧٤. (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ):
أي نزّه اسمه عن كلّ نقص وعجز. والخطاب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)ولكن قصد به العموم. وقد أمر بتنزيه اسم الربّ مكان تنزيه نف
روى الطبرسي قال: صحّ عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)أنّه لمّا نزلت هذه الآية قال:
«اجعلوها في ركوعكم».(مجمع البيان: ٩ / ٤١٧، طبعة مصر.)

الآيات ٧٥ ـ ٨٢ (فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُون ... وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ)
الآيات: الخامسة والسبعون إلى الثانية والثمانين
(فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَاب مَكْنُون * لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْع
المفردات

مواقع: جمع موقع بمعنى المحلّ. وربّما يفسّر الوقوع بمعنى السقوط فيكون المراد مواضع سقوط النجوم.

كريم: الكريم هو النفيس في نوعه كما في قوله سبحانه: (إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ)(النمل: ٢٩) .

مكنون: من الاكتنان بمعنى الاستتار. وفي المفردات: الكِنّ: ما يُحفظ فيه الشيء. يقول سبحانه: (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ)(الصافات: ٤٩).

مُدهنون: متهاونون، وأصل الإدهان التليين بالدهن، استعير للتهاون.

التفسير

٧٥. (فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ):

تقدّم منّا كراراً أنّ «لا» ليس لنفي القسم حقيقة بل هي بظاهرها نفي له لكنّه في الواقع إقسام، وأنّ معنى لا أُقسم: أي أُقسم مؤكّداً ، وهذا

أنّ في المقسَم به أسراراً ودلائل بارزة على تدبيره سبحانه، فقد أقسم به سبحانه.

٧٦. (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) :

يصف سبحانه قسمه بأنّه عظيم، وذلك لفخامة المقسم به وعظمته، فبالرغم من ضخامة النجوم وعظمتها وكثرة عددها، إذ يوجد هناك

ضخمة من بلايين النجوم تُدعى (المجرّات)، كما أنّها تسير سيراً منتظماً لها وتتحرّك في اتجاهات كثيرة، بحيث ينشأ عن هذه الحركة تغيّر بـ

(وكلّ نجم في موقعه المتباعد عن موقع إخوته، قد وضع هناك بحكمة وتقدير وهو متسق في آثاره وتأثّراته مع سائر النجوم والكواكب، لتتوا

هذا جانب من مظاهر قدرته تعالى الدالّة على جلالة المقسم به، وأمّا المقسم عليه فهو قوله:

٧٧. (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) :

أي كتاب نفيس في نوعه، وفي كثرة دلائله، مع قلّة ألفاظه وبلاغة معانيه وعلوّ مضامينه.

٧٨. (فِي كِتَاب مَكْنُون) :

فالقرآن المقروء أو المكتوب صورة متنزّلة من القرآن المستور والذي عبّر عنه سبحانه بقوله: (فِي كِتَاب مَكْنُون)، وفي آية أُخرى: (بَلْ هُوَ

٧٩. (لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ) :

الظاهر أنّ الجملة خبرية لا إنشائية و «لا» نافية والضمير يرجع إلى الأقرب ـ أعني: قوله (فِي كِتَاب مَكْنُون) ـ والمراد من المسّ هو العلم وا

عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب: ٣٣.)، فهؤلاء هم الذين يمسّون الكتاب المكنون ويعرفونه ويعلمونه، ولذلك جعل

برقم ٦؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني:٤/٣٥٦برقم ١٧٦١.)

وتأكيداً لهذا المعنى، قال الإمام علي(عليه السلام) من خطبة له: «فأين تذهبون! وأنّى تؤفكون!... وكيف تعمهون وبينكم عترةُ نبيّكم!... فأ

ثم قال: «ألم أعملْ فيكم بالثَّقَلِ الأكبر، واترك فيكم الثَّقل الأصغَر!»(يعني بالثقل الأكبر: الكتاب العزيز، وبالثقل الأصغر: ولديْه(الحسن والحسين

وهناك احتمال آخر بأن تكون «لا» ناهية والجملة إنشائية والضمير يرجع إلى قوله: (لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ)والمراد النهي عن مسّ القرآن من دون

وفي بعض الروايات ما يؤيّد هذا الوجه. روى الشيخ الطوسي بسنده عن إبراهيم بن عبدالحميد، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: «المصحف

٨٠ . (تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) :

تعليل لما تقدّم من أنّه لا يمسّه إلاّ المطهّرون؛ وذلك لأنّ القرآن المكنون أجلّ وأرفع من أن يدركه غير المطهّرين وإنّما تدركه القلوب الص

٨١ . (أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ) :

الظاهر أنّ المراد بالحديث هنا القرآن، حيث إنّهم كانوا يتهاونون بشأنه فتارة يزعمون أنّه قول ساحر، وأُخرى قول شاعر، وثالثة قول مجنو

ويحتمل أنّ الإشارة بهذا الحديث إلى يوم البعث بشهادة قوله سبحانه: (أَزِفَتِ الآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ * أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَ

فالمراد كيف أنتم تتهاونون بحديث البعث والقيامة. وتشكّون فيه تارة وتعدّون القول به ضلالاً.

٨٢. (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ):

المراد من الرزق هو النعمة، ومن التكذيب كفرانها، والمعنى أنّ القرآن نعمة كبيرة من نعم الله التي رزقكم إيّاها، فأنتم مكان أن تجعلوا ش

وهذا المعنى هو الأنسب لكون السورة مكية. غير أنّ بعض المفسّرين رووا عن ابن عباس أنّه قال في تفسير الآية: بلغنا أنّ رسول الله (ص

عليه وآله وسلم)بماء فتوضأ ثم قام فصلّى، فدعا الله تعالى، فهاجت ريح وثاب سحاب، فمُطروا، حتى سال كل واد، فزعموا أنّ رسول الله (صلى

ولا يخفى أنّ السورة بعامّتها مكّية، ومقتضى الحديث كون الآية مدنية، على أنّ جعل الأنواء علامة لنزول المطر حسب التجارب التي اكتس

الآيات ٨٣ ـ ٨٧ (فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذ تَنْظُرُونَ ... إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) .

الآيات: الثالثة والثمانون إلى السابعة والثمانين

(فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لاَ تُبْصِرُونَ * فَلَوْلاَ إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا

المفردات

الحلقوم: جمع حلاقيم أي الحَلْق، وهو مجرى الطعام والشراب.

غير مدينين: غير مجزيّين من الدّين بمعنى الجزاء، أو غير محاسَبين، أو مربوبين من دان السلطان الرعية إذا ساسهم. وهو يلازم كونهم أحر

التفسير

٨٣ ـ ٨٤ . (فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذ تَنْظُرُونَ):

من المواقف الحزينة المهيبة في حياة كلّ عائلة، هي أن تشهد حالة احتضار واحد منهم ممّن يعزّ عليهم فراقه، وقد أخذ الموت ينشب فيه أ

في هذه الحالة.. عندما تصل النفس أو الروح إلى الحلقوم يعمّ اليأس أُولئك الحاضرين ويقطعون الرجاء من بقاء حياته، وهم ينظرون إليه

هذا الموقف الحزين المهيب، أشار إليه سبحانه بقوله: (فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذ تَنْظُرُونَ)ولولا بمعنى «هلاّ» هنا وفيما يأتي،

الأوّل: أنّه سبحانه أقرب إلى المحتضر من الحاضرين وإن كانوا لا يبصرون، كما قال:

٨٥ . (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لاَ تُبْصِرُونَ):

وكيف لا يكون أقرب إليه حتى من حبل الوريد، والعالم الإمكاني قائم بوجوده قيام المعنى الحرفيّ بالاسميّ؟ فالإحاطة القيومية دليل واضح

نعم ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ المراد من القرب هو علمه سبحانه وإحاطته العلمية بكلّ شيء(تفسير الكشّاف: ٣ / ١٩٩ قال: ونحن أقرب إليه

كما أنّه ليس بخارج منه بتاتاً.

الثاني: يؤكّد على عجز الإنسان ، وأنّ الموت والحياة بيد الله سبحانه بشهادة أنّ الحاضرين الذين يتصوّرون أنفسهم أحراراً خارجين عن ربو

٨٦ . (فَلَوْلاَ إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ):

أي غير مربوبين وخارجين عن ربوبية الله سبحانه فقوموا وأرجعوا الحياة إليه كما قال:

٨٧ . (تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ):

فضعفكم دليل على أنّ مالك الموت والحياة واحد، وأنّ الكون بيده وهو الذي يحيي ويميت.

نعم إن كثيراً من الطغاة المترفين الذين يتصوّرون أنّهم أحرار خارجون عن سلطان الله لكن إذا عمّهم البلاء، وأيسوا من كلّ وسيلة، تذكّر

ومن المناسب أن نورد، هنا، طرفاً من كلام أمير المؤمنين(عليه السلام) الذي ينعى فيه على أُولئك الذين نزل بهم الموت من المؤثرين للدنيا، الم

«اجتمعتْ عليهم سَكْرةُ الموت وَحسرةُ الفَوت، فَفَترتْ لها أطرافُهم، وتغيّرتْ لها ألوانُهم، ثمّ ازداد الموتُ فيهم وُلوجاً، فَحيلَ بين أحدهم وبين

طَرْفَهُ بالنظر في وجوههم، يرى حركات ألسنتهم، ولا يسمع رَجْع كلامهم، ثم ازداد الموت التياطاً به، فقُبضَ بصرُهُ كما قُبضَ سمعُهُ، وخرجت

الآيات ٨٨ ـ ٩٦ (فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَ رَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ... فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ).

الآيات: الثامنة والثمانون إلى السادسة والتسعين

(فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَ رَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيم * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلاَمٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِ

المفردات

رَوح: الرَّوح: الراحة، والنسيم الذي تستريح إليه النفس، والرحمة سمّيت بذلك لأنّ الرّوح والراحة بها.

ريحان:رزق واسع. والريحان: كلّ نبت طيّب الرائحة.

التفسير

لمّا ذكر سبحانه حال المحتضر عند سكرات الموت وبيّن أنّ الموت، كما الحياة، بيد الله تعالى وإلاّ فليردّوا الروح إلى بدن من حضره الموت

الصنف الأوّل، وقال: هو، أعني: الأزواج المذكورين:

٨٨ ـ ٨٩. (فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَ رَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيم):

إن كان المتوفّى من السابقين المقرّبين، فسيكون جزاؤه أُموراً ثلاثة، وهي:

١. رَوح: أي راحة من آلام الدنيا وهمومها وأتعابها، وطمأنينة نفس.

٢. وريحان يسطع شذاه فيملأ الجوّ عطراً.

٣. وجنّة نعيم.

ثمّ ذكر مصير المتوفّى من الصنف الثاني، وقال:

٩٠ ـ ٩١. (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلاَمٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) :

قيل في السلام وجوه، منها: أنّ الملائكة تسلّم عليه وتبشّره أنّه من أصحاب اليمين، ويكون ذلك كقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُ

ومنها: أنّ المتوفّى إن كان من أصحاب اليمين، فإنّه يختص بالسلام من أصحاب اليمين الذين هم قرناؤه ورفقاؤه، وأنّه لايرى منهم إلاّ خيراً

ثمّ ذكر مصير المتوفّى من الصنف الثالث ـ أي أصحاب الشمال ـ ولكنّه عبّر عنهم هنا بالمكذّبين الضالّين وقال:

٩٢ ـ ٩٤. (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيم * وَتَصْلِيَةُ جَحِيم):

قوله: (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ) بالبعث والرّسل وآيات الله (الضَّالِّينَ)عن الهدى، فيتعامل معهم بأمرين:

١. (فَنُزُلٌ): أي الذي أعدّ له من الطعام والشراب، وقد مرّ أنّ النُّزل ما يستضاف به الضيف. (مِنْ حَمِيم)أي من ماء حارّ، يحرق الأمعاء والأ

٢. (وَتَصْلِيَةُ جَحِيم): أي دخول النار أو الاصطلاء بها.

ثم إنّه سبحانه بيّن أنّ هذه المصائر لهؤلاء الأصناف الثلاثة، من الأُمور التي لا تقبل الشكّ، كما يقول:

٩٥ ـ ٩٦. (إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ):

(إِنَّ هَذَا)الذي ذكرنا لك وأخبرناك من مصائر هؤلاء الأصناف الثلاثة هو الحق الذي لا شكّ ولا شبهة فيه، فإذا كان الحال كذلك (فَسَبِّحْ

إكمال

إنّ الله سبحانه ذكر أنّ الناس على أصناف ثلاثة على ما مرّ، ولكنّه سبحانه ذكر في سورة البقرة تقسيماً ثلاثياً آخر وهم: المتّقون، والكافرون

أمّا الصنف الأوّل فقال فيهم: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)(البقرة: ٢ .)ثم ذكر أوصافهم.

وأمّا الصنف الثاني فقال في حقّهم: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ)(البقرة: ٦.) ثم ذكر أوصافهم.

وأمّا الصنف الثالث فقال فيهم: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٨.) ثم ذكر أوصافهم وعلائمهم

وممّا نلفت إليه نظر القرّاء أنّه سبحانه اكتفى في حق الكافرين بآيتين (السادسة والسابعة من سورة البقرة) ولكنّه أسهب الكلام في حقّ الم

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَ
(٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦) آمِنُ
لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٩) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا
وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْ
وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَا
مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧) إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨
غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْ
قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِ
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٨) لِئَلَّا يَعْلَمَ

تسمية السورة

سُمّيت هذه السورة بسورة الحديد لورود هذا اللفظ فيها.

نعم ورد لفظ الحديد في سورة الكهف أيضاً، قال سبحانه حاكياً عن ذي القرنين:(آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ)(الكهف: ٩٦.)، ومع ذلك لم تسمّ به،

ذكر سبحانه الحديد بما أنّه نعمة من نعم الله التي أنزلها الله على عباده، وأنّ فيه بأساً شديداً ومنافع للناس، فصار ذلك سبباً لتسمية السو

عدد آياتها ومحلّ نزولها

عدد آياتها تسع وعشرون في عدّ العراقي وثمان وعشرون في عدّ الباقين، والسورة مدنية بشهادة أكثر آياتها، منها قوله سبحانه:(لا يَسْتَوِي

نعم لا يبعد أن تكون الآيات الست التي صدّرت بها السورة، مكّية، لأنّ مضامينها أكثر انطباقاً على مضامين السور المكّية.

أغراض السورة

تهدف هذه السورة إلى عرض أُمور:

الأوّل: تذكر تسبيح ما في الكون لله سبحانه وسعة وجوده، وإحاطة علمه وسعة ملكه وتدبيره، وهذا هو الذي تضمّنته الآيات الست في ص

الثاني: حثّ المؤمنين على الإنفاق في سبيل الله، وأنّهم وكلاؤه في الأرض، والمال مال الله، وأنّ الإنفاق يستتبع مغفرة الذنوب، ونزول الرحمة م

الثالث: بيان حال المؤمنين والمنافقين يوم القيامة، وأنّ الطائفة الأُولى يشعّ نورهم بين أيديهم ويبُشّرون بالجنة، والطائفة الثانية يقبعون في

الرابع: تصوّر السورة الحياةَ الدنيا بـ : «نبات» تُعجب الزرّاع بهجتُه وطراوته، لكن سرعان ما يهيج ويصير مصفرّاً ثم حطاماً.

الخامس: تُخبر عن إرسال الرسل بالبيّنات وإنزال الكتاب والميزان معهم لغاية إقامة القسط.

السادس: تتحدّث عن الرهبانية، وأنّها لم تُكتب على النصارى على تفصيل يأتي.

فضل السورة

روى الكليني بسند صحيح عن عاصم بن حُميد قال: سُئل عليّ بن الحسين (عليهما السلام) عن التوحيد، فقال: «إنّ الله عزّ وجلّ علم أنّه يـ

وأخرج ابن النجّار في «تاريخ بغداد» عن البَراء بن عازب قال: قلت لعليّ(عليه السلام): يا أمير المؤمنين أسألك بالله ورسوله إلاّ خصصتني

آيات، ثم ارفع يديك فقل: يا من هو هكذا أسألك بحق هذه الأسماء أن تصلّي على محمد وأن تفعل بي كذا وكذا ممّا تريد، فوالله الذي لا إله

ثمّ إنّ هذه السورة هي إحدى السور الخمس التي افتتحت بالتسبيح، فعُرفت بالمسبّحات، وهي: الحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابـ

روي عن عِرباض بن سارية أنّ النبي كان يقرأ المسبّحات قبل أن يرقد ويقول: «إنّ فيهنّ آية أفضل من ألف آية».(سنن أبي داود:٩٤٤، كتاب الـ

الآيات ١ ـ ٦(سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ... وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ).

الآيات: الست الأُولى

(سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ * هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِـ

مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ * يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ).

المفردات

استوى: يقال على وجهين:

أحدهما: يُسند إليه فاعلان فصاعداً، نحو: استوى زيد وعمرو في كذا أي تساويا، قال سبحانه: (لاَ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ)(التوبة: ١٩).

وثانيهما: أن يقال لاعتدال الشيء في ذاته، فعندئذ فما عُدّي بـ «على» اقتضى معنى الاستيلاء كقوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)(. طـ

وسيوافيك توضيح أكثر عند تفسير الآية.

العرش: قال الراغب: في الأصل شيء مسقّف وجمعه عروش، إلى أن قال: وسمّي مجلس السلطان عرشاً اعتباراً بعلوّه، قال تعالى: (وَرَفَعَ أَبَوَيْـ

يلج، يولج: الولوج: الدخول في مضيق، قال تعالى: (حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ)(الأعراف: ٤٠) .

يعرج: العروج: ذهاب في صعود، قال تعالى: (تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ)(المعارج: ٤.) والمعارج: المصاعد.

التفسير

١. (سَبَّحَ للهِ ما فِي السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ):

جاء التسبيح في هذه الآية بصيغة الماضي نظير سورة الحشر والصف، وجاء في سورة الجمعة والتغابن بصيغة المضارع، ولعلّ الاختلاف نا

ثمّ إنّ (ما) في قوله: (ما فِي السَّمواتِ) موصولة، وصلتها قوله: (فِي السَّمواتِ وَالأَرْضِ)وأُريد بالموصول عامّة الكائنات، فيعمّ ذوي العقول وغـ

والتسبيح متعدٍّ بنفسه يقال: سبّحه ونزّهه، ولكن عُدّي هنا باللام، وهو إمّا لام إلصاق لغاية إلصاق الفعل بالمفعول، أو تأكيد. وحَذْف

لشيء يتعلّق بالأرض، بخلاف سورة الحشر فقد جاء فيها ذكر حصون بني النضير وبساتينهم وأموالهم التي وقعت ـ بفضل من الله ـ بأيدي

وأمّا التسبيح فهو تنزيه سبحانه عن كلّ عيب ونقص. وأوّل التنزيه هو نفي الشريك والولد عنه، خلافاً للوثنيين وأصحاب التثليث والبراهـ

وثمة وجهان في المراد بتسبيح الموجودات:

الأوّل: أنّ تسبيح كلّ موجود يختلف باختلاف صفاته وخصائصه؛ فالعاقل يسبّح بلسان المقال، وغيره يسبّحه بلسان الحال. وبكلام آخر

إلى العلم واليقين.

وربّما يؤيّد هذا الوجه قول ابن عربي: خذ الوجود كلّه على أنّه كتاب ناطق بالحق عن الحق... وهذا كقول أحد العارفين: إنّ لله كتابين: أحد
وما ذكره حقّ، وهو أنّ كلّ موجود خُلق على نظام يدلّ على أنّ له خالقاً عالماً قديراً. وقد ذهب إلى هذا المعنى كثير من المفسّرين، ولكنّ تخص
الثاني: المراد بالتسبيح هو التسبيح عن شعور نظير تسبيح الإنسان، وأنّ للوجود مراتب ودرجات، فكلّ موجود (حسب ما له حظّ من الوج
تَسْبيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَليماً غَفُوراً).(الإسراء:٤٤.)
فلو كان المراد من تسبيح الكائنات هو دلالة كلّ موجود على تنزيهه سبحانه بلسان الحال، فليس ذلك ممّا لا يفقهه الناس، وعندئذ لم يكن
ثمّ إنّه يمكن استفادة ذلك المعنى من بعض الآيات:
١. يقول سبحانه: (إِنّا سَخَّرْنا الجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالعَشِيّ وَالإِشْراقِ)(ص:١٨.)، فإنّ الظاهر أنّ الجبال يسبّحن كتسبيح داود عشيّاً وإشراقاً
٢. يقول سبحانه:(وَإِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهارُ وَإِنَّ مِنْها لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الماءُ وَإِنَّ مِنْها لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ
فإذا كانت خشية الله سبباً لهبوط الحجارة، فهو أكبر دليل على وجود الخشية فيها، وهي السبب لهبوطها وسقوطها.
وبذلك يظهر أنّه لا وجه لاعتراض القائل بأنّ الحجارة لا حياة فيها ولا إدراك حتى تخشى الله. كما لا وجه للجواب عن ذلك بأنّ هذا مبني
٣. وقال سبحانه: (إِنّا عَرَضْنَا الأَمانَةَ عَلَى السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً)
٤. يقول سبحانه: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صافّات كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَليمٌ بِما يَفْعَلُونَ).
علم كلا الأمرين، لا أنَّ الإنسان الناظر إلى وجود الطير والنظام السائد عليه، يستدلّ من النظام الباهر السائد عليه على أنّ له خالقاً عالماً ق
٥. يذكر سبحانه في قصة سليمان أنّه (عليه السلام) لمّا ورد وادي النمل مع جنوده(قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّها النَّملُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَ
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلى وَالِدَيَّوأَن أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضاهُ وَأَدْخِلْني بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصالِحِينَ).(النمل:١٩.)
٦. يدلّ بعض الآيات على أنّ سليمان(عليه السلام) عُلّم منطق الطير، وهذا يكشف عن أنّ للطير منطقاً خاصّاً قد ألهم الله تعالى سليمان
٧. ويدلّ بعض الآيات على أنّ جيش سليمان كان يتألّف من الجنّ والإنس والطير، وكان لكلّ صنف من هذه الأصناف قادة ومراقبون يحافظ
وكان سليمان(عليه السلام) يكلّف بعض الطيور بأداء بعض المهمّات الكبيرة، وهذا ما حصل مع الهدهد، فلهذا الطير شأن خاص في قصة
كلّ ذلك يدلّ على أنّ لغير الإنس والجن والملائكة من الجمادات والحيوانات شعوراً وإحساساً كلٌّ حسب درجة وجوده، غير أنّ بعض الآيات
وهناك آيات تدلّ على وجود الشعور في الأيدي والأرجل والجلود، وهي وإن كانت ترتبط ببعض مشاهد يوم القيامة؛ بيد أنّنا نوردها هنا لص
وفي آية أُخرى: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْواهِهِمْ وَتُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ).(يس: ٦٥.)
وفي آية ثالثة: (وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنا قالُوا أَنطَقَنااللهُ الذي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْء)(فصلت:٢١.). فإنّ حمل شهادة الأيدي والأرجل أو نطق
وفي آية رابعة ورد تحديث الأرض أخبارها، يقول سبحانه: (يَوْمَئِذ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا)(الزلزلة:٤ـ٥.)، فإنّ حمل هذه الآيات
وفي الأدعية المروية عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام) إلماع إلى ما ذكرنا، فهذا هو الإمام زين العابدين(عليه السلام) يقول في دعائه: «تسبّ
وفي دعائه عند رؤية الهلال:«أيّها الخلق المطيع الدائب السريع، المتردد في منازل التقدير».(الصحيفة السجادية: الدعاء ٤٣.)
هذا كلّه حول تسبيح الكائنات، وللبحث صلة تأتي في تفسير الآية الأُولى من سورة الحشر فانتظر، وأمّا الكلام في سجودها لله سبحانه فله

٢. (لَهُ مُلْكُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ):
الآية تدلّ على أسمائه الأربعة:
الأوّل: مالك السماوات، في قوله: (لَهُ مُلْكُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ) على وجه الحصر؛ لأنّه هو الموجد لهما، فهو أولى أن يكون مالكاً لما أوجد من
الثاني والثالث: المحيي والمميت في قوله:(يُحيي ويُميتُ)إذ أنّ إحياء الموتى في البعث والنشور، وإماتتهم في الدنيا، من مظاهر الملكية المطلقة

الرابع: القدير، في قوله:(وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فليس لقدرته حدّ محدود، ولعلّ الآية دليل على وجوب تسبيحه سبحانه، فإذا كان ما في ال

٣. (هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ):

ولعلّ الآية بصدد تبيين أنّ ملكه للسماوات والأرض دائم في عموم الأزمان؛ لأنّه هو الأوّل قبل كلّ شيء، والآخر بعد كلّ شيء، والعالم ب

وقبل تبيين مفاهيمها نطرح سؤالين:

الأوّل: ما ذكر من الأوصاف أُمور متضادّة، فالأوّل لا يكون هو الآخر، كما أنّ الظاهر لا يكون هو الباطن، فكيف صار سبحانه أوّلاً، و

الثاني: أنّه سبحانه وتعالى واجب الوجود الذي يطرد العدم بذاته لا بعامل خارجي، والواجب لذاته لا يوصف بالأوّل، كما لا يوصف بالآخر

وستتضّح الإجابة عن هذين السؤالين بعد تفسير الآية، فنقول:

إنّ الضمير في قوله: (هُوَ) يرجع إلى الله سبحانه الوارد في الآية الأُولى، كما أنّ قوله: (لَهُ)في الآية الثانية يرجع إليه، ولا يعلم المراد من الأوّل

وبما أنّه واجب الوجود، فالمراد بكونه الأوّل، هو السابق في الوجود على كلّ موجود، وليس المراد بالأوّل، الأوّل زماناً حتى ينافي كونه واج

وجوده على الجميع، والآخر هو الباقي بعد فناء الموجودات.

ثمّ هو الظاهر: وهو من الظهور الذي هو ضد الخفاء، فإنّ أدلّة وجوده وصفاته واضحة، فهو الظاهر بالآثار والأفعال لا برؤية الحواس.

كما هو الباطن، بمعنى الخفيّ حيث إنّ كنه ذاته محجوب عن إدراك الحواس.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام) من خطبة له في تمجيد الله تعالى: «الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ، وَالْبَاطِنِ بِجَلاَلِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّ

وقد عرفت أنّ مبنى هذه الصفات، كونه سبحانه واجب الوجود طارداً للعدم من عند نفسه.

ويمكن أن يقال: إنّ مبناها كونه محيطاً بكلّ شيء كما دلّت عليه الآيات، مثل قوله سبحانه: (وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا)(النساء:١٢٦.

فإذا كان سبحانه محيطاً بالكائنات الممكنة فهو الأوّل، دون ما فُرض كونه أوّلاً، وهو الآخر، دون ما فُرض آخراً.

كما أنّه الظاهر على كلّ شيء فُرض ظاهراً، لأنّه أظهر منه لإحاطته به دون ما فُرض ظاهراً، كما أنّه الأبطن من كلّ شيء فرض أنّه باطن لإ

منّا.)

قوله: (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)هو نتيجة كونه محيطاً، فإحاطة وجوده بكلّ الكائنات تقتضي كونه عالماً بكلّ شيء، وفي كلام الإمام أمير الم

ويقول الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) من كلام له في صفات ربّه تعالى: «الحمد لله الذي لم يكن فيه أوّلٌ معلومٌ، ولا آخرٌ مُتناه، ولا ق

٤. (هُوَ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَ

والآية تتضمّن مقاطع من الكلام، وهي:

أ. كونه هو الخالق للسماوات والأرض.

ب. استواؤه على العرش والمُلْك.

ج. علمه بما يلج في الأرض وما يخرج منها،وما ينزل من السماء وما يعرج فيها.

د. كونه سبحانه معنا أين ما كنّا، وبصير بأعمالنا.

وإليك بيان هذه المقاطع:

أ. (هُوَ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ).

جملة مستأنفة مثل قوله سبحانه: (هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ...) وفي الوقت نفسه متفرّعة على كونه محيطاً بكلّ شيء، فيكون هو الخالق للسماوا

الفرقان:٥٩، السجده:٤، ق:٣٨.)

والذي يؤيد هذا التفسير أنّ اليوم المعروف، إنّما يتولّد من دوران الأرض حول محورها الذي يستغرق زمناً قدره نحو (٢٤) ساعة، وهذا يعني

ثمّ إنّ اليوم يستعمل كثيراً ويراد به الوقت مطلقاً، ومنه قول الإمام علي(عليه السلام): «وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ» (نهج البـ

فالأيام الستة التي خُلقت فيها السماوات والأرض ليست بياناً للزمن الذي عملت فيه يد القدرة، لأنّ أفعال الله لا تقدّر بالزمان (إِنَّمَا أَ

تكونّت فيه الأرض، وتهيّأت فيه لاستقبال الحياة. فاليومان إذاً قطعتان من الزمن لا يعلم قدرهما إلاّ الله، تمّ فيهما تكوّن الأرض، التي

وقد دلّت البحوث العلمية على أنّ خلق الكون قد مرّ بأدوار، وأنّ خلق هذه العوالم استغرق سنين متطاولة تحت ضوابط ونواميس خاصّة.

وثمّة نظريات تحدّثت عن كيفية تكوّن الكواكب، منها (نظرية المدّ والجزر) أو (النظرية الغازية) التي اقترحها العالمان الإنجليزيان (جيمس

صلبة حولها. وتفترض هذه النظرية أنّ الأرض كانت في البداية غازاً، وبعد ذلك صارت سائلاً قبل أن تتطوّر إلى قشرة صلبة.(الموسوعة العر

ولو فرضت صحّة هذه النظريات فهي تكشف عن أنّ هذه الأدوار قد تمّ أمرها تحت تدبير فاعل عليم أضفى النظم على المادّة حتى آلت إلى

ثمّ إنّه سبحانه قيّد في بعض السور خلق السماوات والأرض في ستة أيام بقوله: بغير لغوب، فقال: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُ

ففي «مجمع البحرين»: اللغوب: التعب والإعياء.(مجمع البحرين: مادة «لغب».)

ولعلّ تقييده به لردّ ما ورد في التوراة من أنّه سبحانه لمّا فرغ من خلق السماوات استراح في اليوم السابع من التعب الذي أصابه، فقد جاء

خالقاً. (التوراة: سفر التكوين: ٤، الإصحاح الثاني. نشر دار الكتاب المقدّس، ١٩٨٠ م.)

ب. (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ).

لقد اتّخذ المجسّمة هذا النصّ ذريعة للقول بالتجسيم، ففسّروا الاستواء بالاستقرار والجلوس، والعرش بالسرير الذي يجلس عليه المَلك،

العرش.) ليئطّ به أطيط الرَّحل(يئطّ: يصوّت. وبه: أي بالله تعالى. والرَّحْل: ما يوضع على ظهر البعير، وهو كالسَّرْج للحصان.) بالراكب.(. سنن أبي داود: ٢/٨

أمّا الاستواء فهو بمعنى الاستيلاء وليس بمعنى الجلوس، ولو استعمل في مورده فإنّما هو لأجل تضمّنه معنى الاستواء، إذ معناه الحقيقي التمـ

ويقول سبحانه:(كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرّاعَ)(الفتح:٢٩.) أي تمكّن الزرع واستقام.

وقال سبحانه في حقّ موسى(عليه السلام): (وَلمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ واستَوى آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)(القصص:١٤.). فالاستواء في

قد استوى بشر(*) على العراق *** من غير سيف ودم مهراق

(*)هو بِشْر بن مروان، الذي ولي العراقين (البصرة والكوفة)لأخيه عبد الملك عام (٧٤هـ).

يريد أنّه استولى على العراق وبسط سلطانه عليه دون أن يسلّ سيفاً أو يهرق دماً.

وفي «لسان العرب»قال: يقال: استوى: أي استولى وظهر، ثم استشهد بالشعر المذكور أعلاه، ويقال: استوى على ظهر دابته أي استقرّ.(لسان

ولو تقارن التمكّن التام مع الجلوس في مورد الفُلك أو ظهر الدابّة كما مرّ، فهو من خصوصيات المورد، وإلاّ فمعناه المطابقي هو التمكّن،

وأمّا العرش فيختصّ استعماله بالدائرة الخاصّة بملوك البشر على اختلاف أشكالها حسب اختلاف حضارة البشر في أدواره وفخامة الملك

عليه ليس فيه تعظيم.

وقال سبحانه: (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْء وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ)(النمل:٢٣.) يريد سبحانه القوم الذين ينتسبون إلى سبأ، والمرأة هي بلقيس بنت شر

من قدرة خارقة، وقال: (يَا أَيُّهَا الْمَلأَ أَيُّكُمْ يَأْتِيني بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوني مُسْلِمِينَ)(النمل:٣٨.). ولمّا جاءت بلقيس إلى سليمان (عليه السلا

وقد اتّفقت كلمة اللغويّين على أنّ من معاني العرش سرير المَلك(انظر: لسان العرب، مادة «عرش».)، وربّما كنّي به عن مقام السلطنة، قال الرا

ولمّا كان سبحانه منزّهاً عن مشابهة مخلوقاته في الذات والصفات والأفعال، فلابدّ أن يكون المراد من (الاستواء على العرش) أمر آخر له صـ

١. أنّ الفقرة جاءت في غير واحدة من الآيات في ثنايا الكلام حول خلق العالم وتدبيره، يقول سبحانه:

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُو

ويقول سبحانه: (اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْ

ترى أنّه سبحانه في سورة الأعراف يخبر قبل هذه الفقرة وبعدها عن الأُمور الكونية نظير خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وأنّ اللي

ويكون معناه: أنّه سبحانه مع قيامه بهذه الأُمور مستول على العرش، أي عالَم الملكوت والأرواح وعالم الناسوت والأجرام، فالجميع في قبض

٢. أنّه سبحانه في سورة الرعد بعد ما يخبر عن الأُمور الكونية، يضيف: (يُدَبِّرُ الأَمْرَ)، فإنّ ذلك قرينة على أنّ المراد استيلاؤه سبحانه على ال

٣. لو قمنا بتفسير الفقرة بجلوسه سبحانه على السرير لزم الإخبار عن أمر لا صلة له بما قبله ولا بما بعده، بل يكون معنىً مبتذلاً غير لا

٤. أنّ قوله في سورة الأعراف:(أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ) تفسير لقوله: (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ): أي أنّه يملك الكون ويدبّر أمره.

كما أنّ قوله: (يُدَبِّرُ الأَمْرَ) في سورة الرعد يفسّر نفس الفقرة، وإنّما عبّر سبحانه عن ملكه وتدبيره بالاستواء على العرش؛ لأنّ المَلك يستو

٥. يرشدك إلى هذا المعنى قول الشاعر:

إذا ما بنو مروان ثُلّت عروشهم *** وأودت كما أودت إيادٌ وحِمْيَرُ

فالمراد من ثَلّ عروشهم هو زوال قدرتهم، وانتهاء سلطانهم، وانهدام ملكهم مع إمكان بقاء نفس العرش الذي كانوا يجلسون عليه عند تدب

فخرجنا بالنتيجة التالية: أنّ الفقرة: إمّا كناية عن استيلائه على عالم الكون من مجرّده ومادّيه وملكوته وملكه، وأنّه ليس للعرش

الكون.

وللسيّد الطباطبائي نظرية ثالثة في العرش أخصّ ممّا ذكرنا من الوجه الثاني، وأوضحها بقوله: إنّ العرش هو المقام الذي يرجع إليه جميع أز

التفسير للاستواء، فالعرش مقام العلم كما أنّه مقام التدبير العام الذي يسع كلّ شيء... ولذلك هو محفوظ بعد رجوع الخلق إليه تعالى لفن

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ)(هود:٧).(الميزان في تفسير القرآن:٨/١٥٨ـ ١٥٩.)

ج. (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا).

الولوج: أي الدخول، يقول سبحانه: (حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ).(الأعراف:٤٠، وفسّر الجمل في الآية بمعنى حبل السفينة.)

والله سبحانه يعلم ما يدخل في الأرض من كنوز ومياه وبذور. (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا): من نبات وحشرات ومياه. (وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ): من م

ثمّ إنّ علمه سبحانه بهذه الأُمور من فروع كونه محيطاً بالكائنات.

د. (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ):

ووجه ذلك، أنّه سبحانه محيط بالعالم، ملكه وملكوته، ولازم الإحاطة كونه مع ما خلق.

ثمّ إنّ المعيّة ليست معيّة مكانية بل معيّة قيّوميّة، لأنّ نسبة الكائنات إلى الله سبحانه نسبة المعنى الحرفي إلى الاسمي، أو كنسبة الصور ا

انعدامه دون أن يكون له أثر.

توضيحه: أنّ متعلّق الجعل والإيجاد هو الوجود الإمكاني الذي ليس له شأن من الشؤون سوى الفقر والتدلّي بالغير، دون أن يكون في حدّ

بقيامه بالخالق، يقول سبحانه: (يا أَيُّها النّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ).(فاطر:١٥.) وبذلك ظهر معنى قوله سبحانه: (وَهُ

(.١

ثمّ إنّ بعض أهل الظاهر الذين أجلسوا الله على عرشه فوق السماوات لمّا تصوّر أنّ معيّته سبحانه معنا، توجب الحلول أو حضوره سبحانه

معناها.(العقيدة الواسطية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية:١/٤٠٠ـ ٤٠١، وقد حرّرنا رسالة في نفي الجهة والمكان والرؤية، سنأتي بها بعد الانتهاء من تف

وعلى كلّ تقدير، فالفقرة تهديد ووعيد لكلّ طاغ وباغ، فإنّه سبحانه حاضر في كلّ مكان، ناظر للأعمال كما يقول: (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

٥. (لَهُ مُلْكُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرجَعُ الأُمورُ):

ما ذكره سبحانه من ملكية السماوات والأرض، يأتي تأكيداً لما ورد في الآية الثانية حيث قال فيها: (لَهُ مُلْكُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ) غير أنّه

والأفعال، تكون إشارة إلى أنّ جميعها تصير إلى الله يوم القيامة، وإن قلنا باختصاصها بالأفعال كما هو الظاهر، فالمراد رجوع أفعال

القرآن:١٩/١٤٧.)

وإنّما قال: (وَإِلَى اللهِ تُرجَعُ الأُمورُ) مكان: وإليه ترجع الأمور، لتكون الفقرة جملة مستقلة تصلح لأن تكون مثلاً سائراً، ولذلك يتمثّل

٦. (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ):

أي يدخل الليل في النهار وينقص منه في فصل، كما يدخل النهار في الليل وينقص منه في فصل، ومن ثمّ يتغيّر طول النهار والليل في

كناية عن علمه بالأفكار المغمورة، والنيّات المكنونة، وبما تُضمره النفس من أسرار.

والشعور بيد الله تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل، في لطف؛ ينشئ في القلب حالة من التأمّل الرفيق، والحساسية الشفيفة، كال

إلى هنا تبيّن أنّ الآيات الست تضمّنت خمس عشرة صفة من أسماء الله وصفاته سبحانه إمّا تصريحاً أو تلويحاً، وهي: الله، العزيز، الحكيم

الآيات ٧ ـ ١١ (آمِنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ ... وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) .

الآيات: السابعة إلى الحادية عشرة

(آمِنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ * وَمَا لَكُمْ لاَ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ

مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

المفردات

مستخلفين: من الخلافة بمعنى النيابة عن الغير إمّا لغيبة المنوب عنه، وإمّا لعجزه، وإمّا لتشريف المستخلَف، وعلى هذا الوجه استخلف ا

ميثاق: يقال: وثقت به: سكنت إليه، والميثاق عقد مؤكد بيمين وعهد.

القرض: ما تعطيه غيرك ليردّ عليك مثله بعد مدّة، وأصله القطع فكأنّه يقطع شيئاً من ماله ويدفعه إلى غيره.

يضاعفه: المضاعفة: الزيادة على المقدار المدفوع.

التفسير

٧. (آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأنْفِقُوا ممّا جَعَلكُم مُسْتَخلَفينَ فيهِ فَالذينَ آمنوا مِنكُمْ وأنفقوا لَهُمْ أجرٌ كبيرٌ):

قد تقدّم أنّ السورة مدنية، ويؤيّد ذلك قوله سبحانه في الآية العاشرة: (لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ د

الآية الثامنة والعشرين من هذه السورة فانتظر.) هو تثبيته في قلوبهم حتى يتجلّى بآثاره من البذل والإنفاق، نظير قوله سبحانه: (اِهْدِنَا الصِّرَاطَ ا

ولو قلنا بأنّ ما تقدّم من أوّل السورة إلى الآية السادسة مكّيّ ـ كما استقربناه ـ فهذه الآية إلى آخر الآية الحادية عشرة التي تحثّ على الإنفا

نعم ربّما يحتمل كونها مكّيّة، لأنّ أهل الجاهلية كانوا في الغالب، لا ينفقون أموالهم في سبل الخير ومن أجل الفقراء والبائسين، وإنّما ينفقو

وعلى كلّ تقدير فقوله: (مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) إرشاد إلى سبب وجوب الإنفاق، وهو أنّ المؤمنين وكلاء الله سبحانه على ما في أيديه

بين أن يقول: وأنفقوا من أموالكم، وبين قوله: (وأَنْفِقُوا مِمّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ)، ففي الثاني إيعاز إلى جهة الإيجاب، وهو أنّ المال ما

وبما أنّ لفيفاً من المؤمنين كانوا على الإيمان الثابت والقائمين بآثاره، استدركه سبحانه بقوله: (فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ)

هذا كلّه إذا قلنا بأنّ استخلافهم في الأرض إنّما هو من الله سبحانه، حيث استخلفهم في الأرض ليقوموا بعمارتها، ومن طرق العمارة الإنف

وأمّا لو قلنا بأنّ استخلافهم إنّما هو ممّن سبقهم من الأجيال، فكلّ جيل يخلف الجيل اللاحق، فالسببية واضحة ـ أيضاً ـ لأنّ المال بما أنّه ل

٨ . (وما لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثاقَكُمْ إِذْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ):

الكلام في المخاطب في هذه الآية هو الكلام نفسه في الآية السابقة، وبما أنّ الآيات يعلو عليها أنّها مدنية، فالمراد تحريض المؤمنين على الث
له، فلا وجه للامتناع عن الإنفاق أو التساهل في طريقه.

ثمّ إنّ المراد من الميثاق في قوله: (وَقَدْ أَخَذَ مِيثاقَكُمْ) هو الميثاق الموجود عند الإيمان بالله ورسالة رسوله(صلى الله عليه وآله وسلم) حيث إنّ الا
وربّما يحتمل أن يكون المراد من الميثاق هو الميثاق الفطري الذي يشير إليه قوله سبحانه: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
ولكنّه بعيد، لأنّ الإنسان غافل عن هذا الميثاق غالباً، مع أنّ الاحتجاج بشيء إنّما يصحّ إذا كان الإنسان متذكّراً له عند الاحتجاج

٩. (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ على عَبْدِهِ آيات بَيِّنات لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ):

الآية تأكيد للاستنكار الوارد في الآية المتقدّمة ـ أعني قوله: (وَ مَا لَكُمْ لاَ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ) ـ ووجه الاست
الخير إلى الغير، وفي المقام حصول الخير إلى المؤمن القائم بالإنفاق لأنّه يكون ذخراً له في الآخرة.

والفرق بين الرؤوف والرحيم هو أنّ الرؤوف عبارة عن كراهية إصابة الغير بضرّ، والرحيم محبّة إيصال الخير إلى الغير، وإلى ذلك يشير الط

١٠. (وَما لَكُمْ أَلاّ تُنْفِقُوا في سَبِيلِ اللهِ وَلِلّهِ مِيراثُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقاتَلَ أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً

إنّ «ما» في قوله: (ما لَكُمْ) استفهامية استنكارية وردت لتوبيخهم على عدم الإنفاق. والآية تتضمّن أُموراً ثلاثة:

١. الترغيب في الإنفاق بتحليل خاص.

٢. التفريق بين مَن أنفق وقاتل قبل الفتح وبين مَن أنفق وقاتل بعده.

٣. التجليل والتكريم لكلا الطائفتين.

أمّا الأوّل فرغّب في الإنفاق قائلاً بأنّ ما في الأرض ينتقل من شخص إلى آخر حتى تنتهي الحياة في الأرض ويصير الجميع إلى الله سبحانه
نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْها وَإِلَيْنا تُرْجَعُونَ)(مريم:٤٠.)، وقوله: (إِنّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ).(الأعراف:١٢٨.)

فالله سبحانه يرثكم وما في أيديكم، فلا يبقى لأحد مال، فهلا قدّمتموه في الإنفاق في سُبل الخير ليكون ثواب ذلك باقياً لكم.

وإظهار الاسم الجليل (ولله) في موقع الإضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة.(روح المعاني للآلوسي:٢٧/١٧١.)

وأمّا الثاني ـ أي عدم المساواة بين الإنفاقين قبل الفتح وبعده ـ : فواضح، وذلك أنّ المواقف تتباين بتباين طبيعة الظروف والأوضاع، فالذي
ومن المعلوم أنّ المسلمين قبل الفتح كانوا في ضيق وضعف، وبعده في سعة وقوّة، ولا شكّ في أنّ الإنفاق مع الغنى لا يساوي الإنفاق مع الف
المراد من «السابقون» هم السابقون في الإيمان. وقد مرّ ما هو المختار في تفسيره.)؛ وذلك لأنّ إيمانهم حال الضعف آية توكّلهم على الله سبحانه وعرفان

وأمّا الثالث ـ وهو التجليل والتكريم لعمل كلتا الطائفتين، وأنّ الله سبحانه وعدهما بالحسنى ـ فقد ذكره لئلاّ يتوهّم متوهّم من أنه لا فائد
وقد قرن الله سبحانه القتال بالإنفاق لبيان أنّ كلتا الطائفتين قد بذلتا الأموال والأنفس في سبيل الإسلام في ظروف مختلفة.

والظاهر أنّ المراد من الفتح هو فتح مكّة لأنّه هو المتبادر بين المسلمين من هذه اللفظة، وربّما يحتمل أن يكون المراد صلح الحديبية.

روى السيوطي عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه)قال: خرجنا مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)عام الحديبية حتى إذا كنّا بعسفان
من ذهب فأنفقه ما أدرك مُدَّ أحدكم ولا نصيفه ألا إنّ هذا فصَل ما بيننا وبين الناس (لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقاتَلَ

فإنّ تلاوة هذه الآية آخر هذه الرواية يناسب أن يكون المراد هو صلح الحديبية، ويؤيد ذلك أيضاً أنّه سبحانه وصف صلح الحديبية بالف
وأمّا فتح مكّة فقد أشار إليه سبحانه بقوله: (فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا)(الفتح: ٢٧).
وعلى كلّ تقدير فالآية لا تعني شخصاً واحداً بل كلّ مَن أنفق قبل الفتح وبعده .

١١. (مَنْ ذَا الذي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ):
الآية بصدد الترغيب في الإنفاق ولكن ببيان آخر، فإنّ الترغيب في الآيات السابقة كان مبنيّاً على أنّ المال لله والعباد وكلاؤه عليه، وأنّ ال
تكوينية ـ لأجل أنّه خالق لهما والإنسان مالك لما في يده ملكية اعتبارية ـ يضع نفسه موضع المستقرض، والمنفق في موضع المقرض!! و
البيان ـ أيضاً ـ في آيات أُخر، مثل قوله سبحانه: (إِنْ تُقْرِضُوا اللّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ).(التغابن:١٧.
وقد جاء الغفران في هذه الآية مكان الأجر الكريم في الآية السابقة، فلعلّ المراد بالأجر الكريم هو الغفران.
وسيوافيك هذا المضمون في هذه السورة أيضاً، عند تفسير الآية الثامنة عشرة.

الآيات ١٢ ـ ١٥ (يَوْمَ تَرى الْمُؤمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ يَسعى نُورُهُم... هِيَ مَوْلاكُم وَبِئْسَ الْمَصِيرُ).

الآيات: الثانية عشرة إلى الخامسة عشرة

(يَوْمَ تَرى الْمُؤمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ يَسعى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِم وَبِأَيْمانِهِمْ بُشْراكُمُ الْيَومَ جَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها ذلِكَ هُوَ الْفَ
أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرّتكُمُ الأَمانيُّ حَتّى جاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذينَ كَفَرُو

المفردات

نقتبس: القبس المتناول من الشعلة، والاقتباس: أخذ النار يقال: قبسته ناراً. والقبس والاقتباس يستعار لطلب العلم والهداية.

سور: سور المدينة حائطها المشتمل عليها.

فتنتم: الفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصله من فَتَنْتُ الفضة: إذا أدخلتها في النار لتتميز، وأُريد في المقام: الهلاك (

تربّصتم: التربّص: انتظار شيء، قال تعالى: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوء)(البقرة: ٢٢٨).

غرّتْكم: خدَعتْكم وأطمعَتْكم بالباطل.

الأمانيّ: جمع أُمنيّة وهي التمنّي.

الغرور: الغُرور (بالضم): مصدر (غرّ) يقال: غرّه غُروراً، قال تعالى: (وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا)(النساء: ١٢٠) .

والغَرور (بالفتح): كلّ ما يغرّ الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان.

فدية: من الفداء وهو: حفظ الإنسان عن النائبة بما يبذله عنه، قال تعالى: (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِدَاءً)(محمد: ٤)، وما يقي به نحو قوله تعالى

مأواكم: المأوى: مصدر أوي يأوي أُوياً: المكان الذي يقصده الإنسان .

مولاكم: المولى بمعنى الأَولى.

التفسير

لقد تحدّثت هذه الآيات عن وقائع وأحداث لا يمكننا درك حقيقتها وكُنهها إلاّ إذا خرجنا من هذه الدنيا ودخلنا في حياة أُخرى، حتى نلم

١. يوم يجمع الله الناس على صعيد واحد، فما هو هذا الصعيد الوسيع الذي يجمع في أطرافه البشر جميعاً؟

٢. أنّ المؤمنين سيقدمون المحشر ووجودهم منابع للنور فيسعون إلى الجنة ونورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، كما أنّ المنافقين يلفّهم ال

٣. أنّ الطائفة الثانية ـ لأجل انغمارهم في الظلمة ـ يطلبون التريّث من الطائفة الأُولى حتى يقتبسوا من نورهم ويمشوا على ضوئهم، فعنده

٤. عندئذ يُضرَب بين الطائفتين بحاجز يكون فاصلاً بين الطائفتين، وهذا الحاجز له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من جانبه العذاب.

وما هي الغاية من وجود الباب؟ هل هو لدخول المؤمنين ثم إقفاله لبقاء المنافقين وراء الباب؟

٥. كيف يكون باطنه فيه الرحمة وظاهره من جهته العذاب؟

٦. بعد ما يتبيّن للطائفة الثانية أنّهم لفي خسران وأنّهم مقبلون على العذاب، عندئذ ينادُون جماعة المؤمنين من بعيد قائلين: بأنّا كنّا معك

٧. فيجابون بأُمور وهي: (وَلكنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسكُمْ)أوّلاً، (وَتَرَبَّصْتُمْ)ثانياً، (وَارتَبْتُمْ)ثالثاً، (وَغَرّتكُمُ الأمانيُّ)رابعاً، حتى (جاءَ أَمْرُ اللهِ)و

٨. ربّما يتصوّر المنافقون أنّ مثل الآخرة كمثل الدنيا يمكن أن يتخلّص فيها الإنسان من العذاب بالفدية، فيُزيِّف هذا التصور بأنّ الفدي

هذه هي الحقائق التي يمكن فهمها من ظاهر الآيات عند التأمّل فيها، ولكنّا كبشر لا نلمس الحقيقة ولا واقع هذه الجمل والفقرات، ولـ

إنّ تصور الإنسان عن الأُمور الأُخرويّة كتصوّر الجنين في رحم أُمّه، عن الدنيا خارج الرحم، فلو سئل هذا الجنين عن الشمال والجنوب و

ما يكسر هذا الحصن ويخرج الجنين خارج الرحم، فعندئذ يتجلّى له أنّ ما كان يتصوّره شرقاً وغرباً كان وهماً لا حقيقة له.

وهكذا تصوُّرنا عن الحياة الأُخروية، فنحن لا ندرك إلاّ مفاهيم تشير إلى حقائق مستورة عنّا، فلذلك يجب الإيمان بهذه الحقائق وانتظار

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى تفسير هذه الآيات:

١٢. (يَوْمَ تَرى الْمُؤمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ يَسعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ بُشْراكُمُ الْيَومَ جَنّاتٌ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خالِدينَ فِيها ذلِكَ هُوَ

قد تكرر لفظ (يَوْمَ) في هذه الآية والآية التي بعدها (١٣) بصورة النكرة، ولكن جاء معرّفاً في ثنايا هذه الآية مرّة ثانية وفي الآية(١٥)، و

قوله تعالى: (يَسعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ)، أي يتقدّم نورهم عليهم وينتشر أمامهم، ومنبع هذا النور هو وجود المؤمنين، وبسعيهم ب

يقول سبحانه في سورة التحريم: (يَوْمَ لا يخزي اللهُ النبيَّ وَالّذينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسعى بَيْنَ أَيديهِمْ وَبأَيْمانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَا

ويدلّ على كرامة اليمين قوله سبحانه: (فأمّا مَنْ أُوتي كتابه بِيَمينِهِ* فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيراً).(الانشقاق: ٧ ـ ٨.)

قوله تعالى: (بُشْراكُمُ الْيَومَ جَنّاتٌ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدينَ فِيها ذلكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

البشرى اسم مصدر وهي عبارة عمّا يُبشَّر به، وقد جاء في الآية قوله: (جَنّاتٌ) تفسيراً لها فبُشِّروا بها.

١٣. (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقونَ وَالْمُنافِقاتُ للّذينَ آمَنُوا انْظُرونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُور لَهُ بابٌ

عطفت الآيةُ المنافقات على المنافقين وفقاً للآية المتقدّمة التي عطفت المؤمنات فيها على المؤمنين.

قوله سبحانه: (انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً)أي انتظرونا حتى نلحق بكم ولا تعجلوا في السير فينأى

الطاعات والمبرّات يؤثّر في روح الإنسان ويوجد فيه ملكات تضيء يوم القيامة ويتبدّل إلى النور في يوم الحساب، فكأنّ للعمل وجودين: أ

فَتَرى الْمُجْرِمينَ مُشْفِقينَ مِمّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتى ما

لِهذا الكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرةً وَلا كَبِيرةً إلاّ أَحصاها وَوَجدوا ما عَمِلُوا حاضِراً ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً).(الكهف:٤٩.)

فقوله: (وَوَجَدوا ما عَمِلُوا حاضِراً) ظاهر في أنّ الأعمال الإجرامية تتجسّم يوم القيامة، لكن بشكل مناسب لتلك الحياة الدائمة وطبيعتها

وربّما يدلّ عليه قول لقمان لابنه: (يا بُنَيّ إنّها إنْ تَكُ مِثْقالَ حَبّة مِنْ خَرْدَل فَتَكُنْ في صَخْرَة أو في السمواتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إنّ

فالآية ظاهرة في حضور الأعمال يوم القيامة حضوراً مناسباً لهذه الظروف .

ويدلّ عليه قوله: (وإذا الجَحِيمُ سُعِّرتْ* وَإذا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ).(التكوير:١٢ـ ١٤.)

ولعلّ قوله سبحانه: (مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ في حَرْثِهِ)(الشورى:٢٠.) ممّا يستفاد منه تجسيم الأعمال أيضاً.

وهذا هو الإمام أمير المؤمنين علي(عليه السلام) يشير إلى هذه المعاني فيقول:«الْعَمَلُ الصّالِحُ حَرثُ الآخِرَةِ».(نهج البلاغة: الخطبة ٢٣.)

ويقول في خطبة أُخرى: «فإنّ الدنيا أدبرتْ وآذنتْ بوداع، وإنّ الآخرة قد أقبلتْ وأشرفتْ باطّلاع، ألا وإنّ اليوم المضمار، وغداً السِّباق، وال

قوله تعالى: (فضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ) راجع إلى المؤمنين والمنافقين، أي يُضرَب بينهما بحاجز يحجز إحدى الطائفتين عن الأُخرى، وفي آية أُ
محجوبين بحجاب العقيدة والأعمال، فصاروا في الآخرة كذلك.

قوله تعالى: (لَهُ بابٌ باطِنُهُ فيهِ الرَّحْمَةُ وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذابُ)، يحكي أنّ السُّور محيط بالمؤمنين فيبقون في داخله، ويبقى المنافقون خارج

١٤. (يُنادُونَهُم أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قالُوا بَلى وَلكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارتَبْتُمْ وَغَرّتكُمُ الأمانِيُّ حَتّى جاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ ال

أي ينادي المنافقون المؤمنين: نحن كنّا معكم في الدنيا(يريدون موافقتهم لهم في الظاهر، كأداء الشعائر والحضور في المساجد والخروج إلى

أوّلاً: (وَلكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُم): أي أهلكتم أنفسكم بإضماركم الكفر بالله تعالى والبغض والعداء لرسالة السماء وصاحبها الأمين(

فُتُونًا)(طه: ٤٠ .) أي ابتليناك ابتلاء على أثر ابتلاء، ومنها العذاب كقوله: (جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ)(العنكبوت: ١٠ .)، ومنها الصدّ عن

ثانياً: (وَتَرَبَّصْتُم) نزول الدوائر بالمؤمنين.

ثالثاً: (وَارْتَبْتُم): أي شككتم في أُمور الدين.

رابعاً: (وَغَرّتْكُمُ الأمانِيُّ) الباطلة،فخضتم ولعبتم، وتمنّيتم هزيمة الإسلام، ونزول الدوائر بالمؤمنين.

(حَتّى جاءَ أَمْرُ اللهِ) أي الموت (وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورُ) أي الشيطان. حيث غرّكم بأنّ الدين سيطفأ نوره ويتركه أهله.

وحصيلة الكلام: أنّكم كنتم على هذه الصفات الأربع التي هي من آثار النفاق فلم تدينوا دين الحق، ولم يستقر الإيمان في قلوبكم، واست

١٥. (فَاليَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِديةٌ وَلا مِنَ الّذينَ كَفَرُوا مَأْواكُمُ النّارُ هِيَ مَوْلاكُم وَبِئْسَ المَصِيرُ):

وكأنّ المنافقين يتصوّرون أنّ الآخرة كالدنيا، يمكن أن يتخلّص فيها الإنسان ممّا ينزل به من النوائب بفدية يفتدي بها نفسه منها، فزُيِّف

(مَأواكُمُ النّارُ)، أي مقرّكم وموضعكم هو النار، (هِيَ مَوْلاكُم)، أي أولى بكم من كلّ شيء لما أسلفتم من الذنوب (وَبِئْسَ المَصيرُ).

ثم إنّ بعض المتعصّبين أنكروا كون «الأَولى» من معاني «المولى» ولذلك عادوا يفسّرون حديث الغدير«مَن كنتُ مَولاهُ، فعليٌّ مولاه...»(
وآله)قاله. انظر: واحة اليقين:٤١٦ـ ٤١٧.)

بوجوه أُخرى، والآية أفضل دليل على كون «الأولى» من معاني «المولى»، بل يمكن أن يقال: إنّه ليس للمولى إلاّ معنى واحد، وسائر المعاني م

وهنا كلام للسيد الرضي حول المولى، قال: وهذه استعارة، ومعنى مولاكم أي أملك بكم وأولى بأخذكم، وهذا بمعنى المولى من طريق الر

الآية ١٦ (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ... وَكَثيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ).

الآية: السادسة عشرة

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وما نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلا يَكُونُوا كالّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُ

المفردات

يأنِ: فعل مضارع من أنى يأني، نظير رمى يرمي بمعنى حانَ، فيكون معنى (أَلَمْ يَأْنِ) أي: ألم يحَِن وقت الخشوع.

تخشع: الخشوع: لين القلب للحق والانقياد له، وهو فاعل «يأن».

قست: القسوة: غلظ القلب بالجفاء عن قبول الحقّ.

الأمد: الوقت الممتدّ.

التفسير

١٦. (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَما نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلا يَكُونُوا كالّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَس

أي ألم يحِن وقت خشوع قلوب المؤمنين، (لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقّ)، فالظاهر أنّ المراد مطلق ذكره سبحانه الذي تطمئنّ به القلوب، ك

روي عن الأعمش أنّه قال: إنّ الصحابة لمّا قدموا المدينة أصابوا ليناً في العيش ورفاهية، ففتروا عن بعض ما كانوا عليه، فعوتبوا بهذه الآي

ثم عاتبهم سبحانه بقوله:(ولا يَكونوا كالّذين أُوتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَليهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهم) فالفقرة تحذير للمؤمنين من أن ي

المعاصي، فتقسوا قلوبهم ولا يخشعون لا لذكر الله ولا لما نزل من القرآن، ومن ثم:

(وكثيرٌ مِنْهُم فاسِقُون) أي خارجون عن الطاعة. وكأنّه إشارة إلى أنّ عدم الخشوع في أوّل الأمر يُفضي إلى الفسق في آخر الأمر.(تفسير الر

لا شك أنّ اليهود قد انقلبوا على أعقابهم فنسوا كثيراً من تعاليم موسى(عليه السلام)وما ورد في التوراة، وهكذا النصارى الذين تلوهم.

وأمّا علاقة هذه الآية بما سبقها من الآيات فهي أنّ الآيات المتقدّمة تذمّ المنافقين والمنافقات وتمدح المؤمنين والمؤمنات، وبما أنّ للإيمان

وعلى أي تقدير، فقوله سبحانه: (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُم)ضابطة تصدق على كثير من طوائف المؤمنين غبّ نسيان ذكر الله وم

وقد ذكر القرطبي في تفسيره: أنّ هذه الآية كانت سبب توبة الفضيل بن عياض، فقد ذُكر أنّه عشق جارية فواعدته ليلاً، فبينما هو يرتقي

فقال الفضيل: أوّاه! أراني بالليل أسعى في معاصي الله، قوم من المسلمين يخافونني! اللّهُمَّ إنّي قد تبت إليك، وجعلت توبتي إليك جوار بيتك

روى محمد بن الحسين السُّلَمي بإسناده عن أحمد ابن الحواري قال: بينما أنا في بعض طرقات البصرة إذ سمعت صعقة، فأقبلت نحوها فرأي

يقول:

أما آن للهجران أن يتصرّما *** وللغصن غصن البان أن يتبسّما

وللعاشق الصبّ الذي ذاب وانحنى *** ألم يأن أن يبكي عليه ويرحما

كتبت بماء الشوق بين جوانحي *** كتاباً حكى نقش الوشيّ المنمنما

ثم قال: إشكال إشكال، فخرّ مغشيّاً عليه، فحركناه فإذا هو ميّت.(روح المعاني:٢٧/١٨٠؛تفسير السُّلمي(حقائق التفسير):٢/٣٠٩.طبع دار الكتب

الآية ١٧ (اعْلَمُوا أنّ الله يُحْيي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها قَدْ بَيَّنّا لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعقِلُون):

الآية: السابعة عشرة

١٧. (اعْلَمُوا أنّ الله يُحْيي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها قَدْ بَيَّنّا لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعقِلُون):

الآية ظاهرة المعنى، فالله سبحانه يحيي الأراضي الميّتة بالمطر، ولكن المراد هنا المعنى المكنّى عنه وهو إحياء القلوب الميّتة بذكر الله وما نز

وقد ورد في غير واحدة من رواياتنا أنّ الله سبحانه يحيي الأرض بالقائم ـ عجل الله فرجه الشريف ـ بعدموتها بكفر أهلها.

روى الصدوق بإسناده عن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب(عليهما السلام)قال: «منّا اثنا عشر مهدّياً، أوّلهم أمير المؤمنين علي بن أبي ط

ومن المعلوم أنّ ما ورد في الرواية من مقولة الجري والتطبيق، ومفاد الآية أوسع من ذلك، والله سبحانه يحيي قلوب العصاة والكفار إذا رج

الآيتان ١٨ و ١٩(إنّ المُصدِّقينَ وَالمُصدِّقات وأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً ... أُولئِكَ أصحابُ الجَحيم):

الآيتان: الثامنة عشرة والتاسعة عشرة

(إنّ المُصدِّقينَ وَالمُصدِّقات وأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أجْرٌ كَريم * وَالّذينَ آمَنُوا بِالله وَرُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ والشُّ

المفردات

المصّدّقين: أصله: المتصدّقين، قلبت التاء صاداً.

القرض الحسن: هو الصدقة المستحبة لوجه الله تعالى.

الصدّيقون: الصدّيق بتشديد الدال مبالغة في المصدّق، أي من كثر تصديقه كيفاً وكمّاً، فهم الذين صدّقوا جميع الرسل، ولم تمنعهم عن ذلك

الشهداء: قال الزمخشري: هم الذين سبقوا إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله.(تفسير الكشّاف: ٣ / ٢٠٢.) وعليه غير واحد من المفسّرين.

قال العلاّمة المرحوم محمد جواد مغنية: الشهداء هم الذين يقتلون في سبيل الله، أمّا أجرهم عند ربهم فقد بيّنه سبحانه بقوله: (إِنَّ اللَّهَ اشْ

١٨. (إنّ المُصدِّقينَ وَالمُصدِّقات وأقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أجْرٌ كَريم):

عاد البيان القرآني مجدداً إلى ذكر الإنفاق، الذي تقدّم الحضُّ عليه في الآيتين العاشرة والحادية عشرة، وما هذا إلاّ لأنّ التصدّق والإنفاق م

وأكّد عليه سبحانه وقال: (إنّ المُصدِّقينَ وَالمُصدِّقات وأقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً)فالفقرة تشير إلى أمرين:

١. الإنفاق بلا عوض.

٢. القرض مع العوض.

وفي موردهما جاء قوله: (يُضاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أجْرٌ كَريم) فعلى هذا يضاعف لهم ما أعطوه، (وَلَهُمْ أجْرٌ كَريم) أي أجر عزيز ونفيس.

ولعلّ المراد من الأجر الكريم ما سبق تفسيره في قوله سبحانه: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا)(البقرة: ٢٤٥)، فلاحظ.

١٩. (وَالّذينَ آمَنوا باللهِ ورُسلِهِ أُولئكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ والشُّهداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُم وَالّذينَ كَفَروا وَكَذَّبُوا بآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ

قابل سبحانه في هذه الآية بين الطائفتين: المؤمنين والكافرين. أمّا المؤمنون فوصفهم بقوله: (وَالّذينَ آمَنوا باللهِ ورُسلِهِ... عند ربّهم) .

وأمّا الكافرون فقال عنهم: (وَالّذينَ كَفَروا وَكَذَّبُوا بآياتنا).

وبذلك يُعلم مصير كلٍّ من الطائفتين، فمصير الطائفة الأُولى كونهم (عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُم)، ومصير الطائفة الثانية (أُولئِكَ أَصْح

هذا هو مضمون الآية، لكن يقع الكلام في موضعين:

الأوّل: ما هو المراد من(الّذينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ) هل المراد مطلق من آمن بهما، أو طائفة خاصة بلغوا في الإيمان درجة سامية؟ الظاهر هو

ومن المعلوم أنّ الصدِّيق بهذا المعنى من المصاديق العالية للمؤمنين، وليس كلّ مؤمن ذُكر في القرآن الكريم على هذه الدرجة.

ويشهد لذلك أنّ صيغة المبالغة هذه «الصدّيق» أُطلقت على كلّ من إبراهيم وإدريس ومريم(عليهم السلام)، قال سبحانه:(واذْكُرْ في الكِتابِ

الثاني: ما هو المراد من الشهداء؟ الظاهر أنّ المراد هم شهداء الأعمال، فإنّ لهم مقاماً عالياً، فهم شهداء على أعمال الأُمّة، والرسول الأعظم(

الحج: ٧٨).

وعلى هذا يكون الشهداء كالصدِّيقين، جماعة خاصة لهم أهليّة الشهادة على أعمال الناس، فتكون الآية بصدد بيان جماعة خاصة من المؤ

واحتمال أنّ المراد من الشهداء مَن قُتل في سبيل الله بعيد، إذ لم يستعمل الشهيد في الكتاب العزيز في هذا المعنى.

وعلى ما ذكرنا فقوله: (وَالّذينَ آمَنُوا...) مبتدأ، خبره:(أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَداء)وخبره الثاني: (عِنْدَ رَبِّهِم).

فالآية إذاً بصدد بيان مقام طائفة من المؤمنين بالله ورسله، وأنّهم هم الصدّيقون والشهداء، لا أنهم بمنزلتهم، كما ربّما يحتمل.

الآيتان ٢٠ و ٢١ (اعلَمُوا أنّما الحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ... وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظيمِ).

الآيتان: العشرون والحادية والعشرون

(اعلَمُوا أنّما الحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ في الأَمْوالِ وَالأَولادِ كَمَثَلِ غَيْث أَعجَبَ الْكُفّار نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ

وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظيمِ).

المفردات

الغيث: المطر.

الكفّار: جمع الكافر ويراد به الزارع لأنّ الكفر بمعنى الستر، والزارع يستر الحبّة تحت التراب.

نباته: أي ما نبت من ذلك الغيث.

يهيج: ييبس ويجفّ بعد خضرته ونضارته.

الحطام: الشيء اليابس بعد تكسّره.

سابقوا إلى المغفرة: كناية عن السبق إلى أسبابها ووسائلها.

العرض: يستعمل في الهندسة مقابلاً للطول، إلاّ أنّ المراد به هنا السعة، أي أنّ سعة الجنة كسعة السماوات والأرض، ويشهد لذلك قوله: (و

أُعدّت: هُيّئت. وهو ظاهر في أنّ الجنة مخلوقة.

التفسير

٢٠. (اعلَموا أنّما الحياةُ الدُّنيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ في الأَمْوالِ وَالأَولادِ كَمَثَلِ غَيْث أعْجَبَ الْكُفّار نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرا

لقد جمعت الآية بين خمسة أُمور من أُمور الدنيا يتعلّق بها هوى النفس الإنسانية، وهي: اللعب، واللهو، والزينة، والتفاخر، والتكاثر، وكلّها

١. اللعب: ويتمثّل في حركات الأطفال غير المنبعثة عن القوى الشهوية. وطور الطفولة هو طور اللعب، ولا تخلو حياة الطفل عنه. وهو يع

٢. اللهو: وهو التعلّق بالملاهي، وتطلب به اللذة وإزالة ألم أو حزن، سواء أكان باستعمال آلات الطرب والموسيقى أو غيرها ممّا يجلب اللذة،

٣. الزينة: ما يُتزيَّن به من الملابس الفاخرة والمراكب البهيّة والقصور الفارهة، إلى غير ذلك ممّا يتزيّن به الإنسان.

٤. التفاخر: ومنه المفاخرة بالأحساب والأنساب.

٥. التكاثر: في الأموال والأولاد.

والآية قد تنسجم، بصفة عامة، مع أحوال الإنسان والمراحل التي تمرّ بها حياته. وإليك البيان:

فاللعب: يشتغل به الطفل ما لم يشبّ.

واللهو: يشتغل به الإنسان إذا بلغ واشتدّ عظمه، فيتعلّق بالملاهي والملذّات.

وأمّا الزينة: فيتمحّض فكر الإنسان فيها عندما يبلغ أشُدّه، ويشعر بزوال محاسن شبابه فيميل إلى حفظ مكانته في قلوب الناس بالزينة. و

وأمّا التفاخر: فيجنح إليه الإنسان حينما يكتهل، فيأخذ بالمفاخرة بالأحساب والأنساب حتى يحفظ ـ بأنسابه ـ موقعه بين الناس.

وأمّا التكاثر: فإنّه عندما يشيب الإنسان ويطعن في العمر تراه يتعلّق بالأموال والضياع والأولاد ويشتد حرصه على الاحتفاظ بها، ولعلّ في

ولعلّ الغرض من عرض هذه الأُمور الخمسة وفق مراحل حياة الإنسان، هو إزالة سبب الشحّ والحرص على استبقاء المال، فالإنسان حس

جمعه من الأموال، فالأولى به أن لا يكون شحيحاً بل من الخير له أن يُقدم على الإنفاق .

ثمّ إنّ الآية شبّهت الحياة الدنيا في زهرتها وبهجتها ومنظرها المونق، ثم في زوالها وانتهاء أجلها بمراحل نموّ النبات، فقال سبحانه:(كَمَثَلِ

هشيماً متكسّراً بعد يبسها. وهذا الوصف يصلح للإنسان أيضاً فهو أشبه بالنبات في أوّل أيامه، حيث يشبّ ويقوى عظمه ويشتدّ لحمه، وب

قوله تعالى: (وَفِي الآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوانٌ).

لو أنّ الحياة الدنيوية تنتهي بهذا الشكل ولم يعقبها شيء، لكان الأمر هيّناً وسهلاً، بَيْد أنّ القرآن الكريم يذكر أنّه سوف يعقبها عذاب شد

وعلى ذلك ففي كلا الفقرتين جملة محذوفة. أي وفي الآخرة عذاب شديد لأعداء الله، ومغفرة ورضوان لأوليائه.

قوله تعالى: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ) لمن اغترّ بزينتها ومفاتنها، واستهلك أيامه في نيل متعها، دون من جعلها وسيلة لرضوان ال

أي من اتّخذها وسيلة للمعيشة فيصير بصيراً في حياته، ومن اتّخذها هدفاً أعمته في حياته، فليست الحياة الدنيا مذمومة على وجه الإطلاق

الملهوفين، وإشاعة المحبة والسلام والوئام بين المسلمين، فالدنيا عندئذ محبوبة عند الله. نقل الشيخ الطبرسي عن سعيد بن جبير أنّه قال:

ونقل الرازي عن سعيد بن جبير أنّه قال عند تفسير هذه الآية: الدنيا متاع الغرور إذا ألهتك عن طلب الآخرة، وأمّا إذا دعتك إلى طلب ر

وحصيلة الكلام: أنّ من وقف نفسه على الدنيا، وجعلها مقرّاً له لا ممرّاً إلى حياة أُخرى، فهي مذمومة جدّاً، وأمّا من اتّخذها قنطرة أو مزرعة

وفي آية أُخرى إشارة إلى ما ذكرنا، يقول سبحانه: (كُلُّ نَفْس ذائِقَةُ الْمَوتِ وَإِنّما تُوَفَّوْنَ أُجورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النّارِ وَأُدْخِلَ الج

٢١. (سابِقُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَال

والخطاب في قوله: (سابِقُوا إلى مَغْفِرَةٍ) يعمّ كلّ من آمن بالله ورسول زمانه بشهادة قوله: (آمِنُوا بِاللهِ وَرُسلِهِ) حيث جاء لفظ الرسل بصيغة

لمّا ذكر سبحانه في الآية الثانية عشرة حال المؤمنين والمؤمنات، وأنّ نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم حثّ في هذه على تحصيل الأسباب

(سابِقُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُم) مكان المسابقة بالمفاخرة والمكاثرة، ثم بيّن حال الجنة وسعتها، فقال: (عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَالأَرْضِ)وقد

قوله تعالى:(ذلكَ فَضْلُ اللهِ)، أي الجنة، كرامة من الله لا معاملة، فهي تفضّل لا استحقاق، (يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ) و لا يشاء إلاّ لمن اجتمعت ف

ثم ختم الآية بقوله: (وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ) إذ أنّ نعمه سبحانه لا تنتهي، مهما أعطى وبذل.

الآيات ٢٢ ـ ٢٤ (ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ ... فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ):

الآيات: الثانية والعشرون إلى الرابعة والعشرين

(ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إلاّ فِي كِتاب مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلاَ تَ

المفردات

نبرأها: برأ: أي خلق، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ».(نهج البلاغة: الخطبة١ .)

مختال: المختال: من أخذته الخُيَلاء وهي التكبّر عن تخيّل فضيلة تراءت له من نفسه، ومنها يتأوّل لفظ الخيل لما قيل من أنّه لا يركب أحدٌ

فخور: الفخور: الكثير الفخر والمباهاة. والاختيال والفخر ناشئان عن توهّم الإنسان أنّه يملك ما أُوتيه من النعم باستحقاق من نفسه، وه

يتولّ: التولّي: الإعراض عن أمر الله.

التفسير

٢٢. (ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إلاّ فِي كِتاب مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ):

بعد أن ذكر سبحانه أنّ الحياة الدنيا حياة زائلة ومن شأن المؤمن أن لا يتعلّق بها تعلّقاً هدفياً، نبّه إلى أنّ ما يصيبه من المصائب العامّ

الخاصّة، (إلاّ في كتاب) أي كونها مكتوبة مثبتة في كتاب (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها)أي نخلقها، وفي الآية دلالة على علمه سبحانه بالحوادث قبل

ثم إنّ الآية تشير إلى أنّ المصائب العامّة (أي التي في الأرض، أو الخاصة(أي التي في الأنفس) التي لها علل وأسباب مقدّرة ومحدّدة منذ أن

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): «قَدَّرَ مَاخَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ، وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ، وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، وَلَمْ يَقْصُرْ

نعم، هناك مصائب تُعدّ مجازاة للمعاصي، فهي مصائب اختيارية، يمكن دفعها والنجاة منها بإذن الله تعالى، وهي تصيب الأفراد والأُمم، ف

والأُمّة التي تخضع للهيمنة ـ مثلاً ـ و تستسلم للظلم، وتتقاعس عن الجهاد والنضال، وتؤثر الراحة والسلامة، سوف تقضي سُنّة الله في الح

«أَلاَ وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلى قِتَالِ هؤُلاَءِ الْقَوْمِ لَيْلا وَنَهَاراً، وَسِرّاً وَإِعْلاَناً، وَقُلْتُ لَكُمْ: اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطّ

وقوله: (وَما ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِن أَنْفُسهُمْ يَظْلِمُونَ)(آل عمران:١١٧.)، وقوله عزّ من قائل: (ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النّاس

بقي هنا أمران:

الأوّل: المعروف أنّ الكتاب المكتوبة فيه الحوادث والمصائب الواقعة على الأرض أو الأنفس، يعبَّر عنه باللوح المحفوظ، وأمّا ما هي حقيقة ذ

وهناك احتمال آخر، وهو أن تكون الحوادث المتقدّمة بنفسها كتاباً تكوينياً لما يعقبها من الحوادث المتأخّرة، وذلك لأنّ الحوادث المتتالية

مرتبة، وكلّ حلقة منها علّة تامّة لحلقة أُخرى، ولذلك ليس للعاقل أن يتمنّى خلاف ذلك، إذا عرف تأثير العلل والمعاليل في الحوادث المتت

الثاني: أنّ مسألة القضاء والقدر استُغلت من قبل الظالمين المستبدّين والعصاة فقالوا بفكرة الجبْر، التي اتّخذوها ذريعة لتبرير جرائمهم وأع

لابن قتيبة:١٦٧/١. وجاء في «الأوائل:١٢٥/٢» لأبي هلال العسكري: أنّ معاوية أوّل من زعم أنّ الله يريد أفعال العباد كلّها.)

ويقول «الخيّام»:(الموهوم) بأنّه سبحانه كان يعلم في الأزل أنّي أشرب الخمر، فلو لم أشرب لصار علمه جهلاً، إلى غير ذلك من الذرائع التاف

حياته.

ولكن الجواب واضح لما عرفت من الفرق بين الحوادث الواقعة في الأرض أو الأنفس وبين ما يكتسبه الإنسان بأعماله، فالذي لا مناص

وأمّا الحوادث التي يكتسبها الإنسان باختياره وإرادته وهي وإن كانت مقدّرة مقضيّة، لكنّها مقدَّرة بقيد صدورها عن الإنسان اختياراً، ف

وبما أنّك عرفت أنّ القسم الأوّل من الحوادث خارج عن اختيار الإنسان وأنّها أُمور قطعية لا مفرّ منها، يقول سبحانه:

٢٣. (لِكَيْلاَ تَأْسَوا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُم وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُختال فَخُور):

أي لا تحزنوا على ما يفوتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما أعطاكم، ووجه ذلك: ما ذكرنا من أنّ هذا النوع من الحوادث لا محيص عنها،

وبعبارة أُخرى: إنّه سبحانه أخبر عن قضاء محتوم فيما يُؤخذ ويُعطى حتى لا يحزن الإنسان بما فاته من النعم ولا يفرح بما أعطاه؛ وذلك

وفي نسبة الفوت إلى الشيء في قوله: (ما فاتكم) ونسبة الإتيان إلى الله في قوله: (آتاكم) إشارة إلى أنّ الفوت أمر طبيعي في الأشياء، وهذ

نعم الفرح المنفي هو الفرح البالغ حدّ البَطَر، يقول سبحانه: (إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِين)(القصص:٧٦.)؛ لذلك قال س

وأمّا الفرح الطبيعي الذي يطرأ على الإنسان عند نزول النعم فهو ليس مذموماً بل هو ممدوح، خصوصاً إذا قارنه شكر المنعم.

وعلى كلّ تقدير، فالغاية من الآية هو تربية الإنسان تربية إلهيّة، وأن لا يحزن على ما فات؛ وذلك لأنّ ما في الدنيا أمانة بيده، ولابدّ يوماً أن تُ

جاء في «نهج البلاغة» قول الإمام علي(عليه السلام): «الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ: قَالَ اللهُ سُبْحانَهُ: (لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَ

وروى حفص بن غياث قال: قلت لأبي عبد الله(عليه السلام): جُعلت فداك فما حدّ الزهد في الدنيا؟ فقال: قد حدّه الله في كتابه، فقال عزّ

٢٤. (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتولَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ):

الظاهر أنّ قوله تعالى: (الّذِينَ يَبْخَلُونَ) توضيح لقوله: (لِكُلِّ مُخْتال فَخُور)، وقد أوضح حالهم بأمرين:

١. (يَبْخَلُونَ)، وذلك لأنّهم يختالون ويفخرون بسبب أموالهم، فلو أنفقوها لم يبق بأيديهم سبب لاختيالهم وفخرهم.

٢. (وَيَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبُخْلِ)، وذلك لأنّ شيوع السخاء والجود بين الناس وانتشاره بينهم يسبب تشخّصهم عن غيرهم، ويَسمهم بميسم ا

حميد لأنّه حميد ومحمود في أفعاله.

وبـذلك يُعلـم أنّ الآيات الثلاث التي ابتدأ فيها بقوله تعالى:(ما أصابَ مِنْ مُصِيبَة فِي الأَرضِ) إلى آخر هذه الآية، ما هي إلاّ كسبيكة واحد

الآيات ٢٥ ـ ٢٧ (لَقَدْ أَرسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ ... وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُون)

الآيات: الخامسة والعشرون إلى السابعة والعشرين

(لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَالْمِيزانَ لِيَقُومَ الناسُ بِالقِسْطِ وَأَنْزَلْنا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنافِعُ لِلنّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ

رَأْفَةً ورَحْمَةً ورهبانيةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إِلاّ ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللهِ فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها فَآتَيْنا الّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ

المفردات

القسط: هو النصيب بالعدل، فيكون كناية عن إقامة العدالة.

البأس: الضرّ، ولعلّ المراد هو القتل والجرح بهذه الآلة، حيث إنّ الآلة القتّالة تصنع من الحديد، والدليل على ذلك هو عطف المنافع عليه.

قفيّنا: التَّقْفية: جعل الشيء في أثر شيء على الاستمرار فيه، ولهذا يقال لمقاطع الشعر: قواف، إذ كلّ بيت يتبع البيت المتقدّم في حرف الرَّوِيّ

رهبانية: من الرهبة بمعنى الخوف، ولعلّه منسوب إلى الراهب على غير قياس، لأنّ قياس النسب في الراهب هو الراهبية، والنون فيها للمبالغ

ابتدعوها: الابتداع: إيجاد أمر على غير مثال سابق، ومنه البدعة لأنّها إحداث أمر على خلاف السنّة.

التفسير

٢٥. (لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَالْمِيزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنافِعُ لِلنّاسِ وَلِيَعْلَمَ

ما هو الهدف من بعث الأنبياء؟

هل الهدف من بعث الأنبياء هو دعوة الناس إلى عبادة الله تعالى ومنعهم عن عبادة غيره؟ أو أنّ الهدف هو أمر أوسع من ذلك وهو: الدعو

ولعلّ الهدف أمر آخر يشمل هذين الأمرين وغيرهما، وهو إقامة العدل والقسط بين الناس، فإنّ في بسط العدل والقسط بين الناس تكم

ولا شكّ في أنّ العدول عمّا أُمروا به من إحياء القيم الأخلاقية ورعاية الحقوق الاجتماعية، يُعدّ خلاف العدل والقسط؛ لأنّ العدل ـ كما

إنّ الاعتدال في الأُمور وعدم الانحراف عن الوسط إفراطاً وتفريطاً، شجرة مخصبة لها أغصان مثمرة، ولها ظل ظليل، فما ورد في الكتاب

أمرين:

الأوّل: أنّ سلاح الرسل في إصلاح المجتمع عبارة عن الأُمور الثلاثة:

أ. البراهين والدلائل العقلية الدالّة على صدق مقالهم وصلتهم بالله سبحانه.

وتدخل في هذا القسم المعاجز التي تحقّق صلة الرسول بعالم الغيب.

وتخصيص البيّنات بخصوص المعاجز غير تام، فإنّ البيّنة ما يتبيَّن به الشيء وهو أعمّ، والحجج الدامغة في كلماتهم ومناظراتهم هي من الدلا

ب. الكتاب، وهو يصدق على القرآن وغيره، وإنزاله من جانب الله سبحانه يتحقّق بأحد الطرق الثلاثة الواردة في آخر سورة الشورى، قال س

فإمّا أن يكلّمه الله سبحانه بالإلقاء على القلب وإليه يشير بقوله: (إلاّ وَحْياً)، أو بالتكلّم معه من وراء حجاب وإليه يشير قوله:(أَوْ مِنْ وَر

ج. الميزان، وقد فسّر بما توزن به الأشياء في المعاملات ليقوم الناس بالقسط والعدل في معاملاتهم، فلا تُخسروا باختلال الأوزان، فقوام حي

وما ذكره (قدس سره)في تفسيره تبعاً لبعض التفاسير أحد مصاديق الميزان، ولكن الذي يناسب بعث الأنبياء أن يراد به معنى أوسع ممّا تو

١. العدل في جميع جوانب الحياة.

٢. العقل والخضوع لحكمه.

٣. الدين، وهو الذي توزن به عقائد الأشخاص وأعمالهم.

إنّ تجهيز الأنبياء بهذه الأُمور الثلاثة كان لغاية واحدة، هي قيام الناس بالقسط لا قيام الأنبياء به بحمل الناس عليه، بل بتربيتهم وإصلاح

والظاهر أنّ العدل أخصّ من القسط لاختصاص الأوّل بمورد التنازع دون القسط.

وقد أشار الله سبحانه إلى هذين الأمرين: الكتاب والميزان في آية أُخرى، قال فيها: (اللهُ الذي أَنْزَلَ الكتابَ بِالحَقِّ وَالْمِيزانَ وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ

وقد جاء الميزان والكتاب بصورة المفرد في كلتا الآيتين بخلاف البيّنات حيث جاءت بصيغة الجمع، ولعلّ وجهه اختلاف المعاجز ماهيّةً،

لكن فيه تأمّل كما مرّ.

ثم إنّ قوله سبحانه: (لِيَقُومَ النّاسُ بِالقِسْطِ) هو أنّ القيام وظيفة الناس، وأنّ عليهم أن يقوموا بذلك، وأنّ دور الأنبياء في المقام هو الإرشا

الأمر الثاني: ما ورد في قوله سبحانه: (وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فيهِ بأسٌ شَدِيدٌ وَمَنافِعُ لِلنّاسِ)، فهو يشير إلى أنّه قد أنشأ الحديد وأحدثه، فالإنزال ف

والبأس في اللغة هو الضرر والعذاب والألم وما يعادل ذلك، ويدلّ على أنّ المراد هو ذلك، مقابلته لقوله: (وَمَنافِعُ لِلنّاسِ)، فيكون المعنى أنّ

وقد استخدم الإنسان منذ بداية حياته ذلك الفلز في منافعه ومصالحه، وقد أُشير إليه في قوله سبحانه: (آتوني زُبَرَ الْحَدِيدِ)(الكهف:٩٦)،

ثم إنّه سبحانه عبّر عن خلق الحديد وإنشائه بالإنزال وقال: (وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ)، كما عبّر عن خلق الأنعام بالإنزال وقال: (وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِ

المؤمنين(عليه السلام)يفسّر الإنزال بقوله: إنزاله ذلك خلقُه إيّاه.(تفسير نور الثقلين: ٥ / ٢٥٠.)

ومع ذلك كلّه فإنّ في الحديد مضارّاً وآلاماً يدركها الإنسان في كلّ عصر، فبينما كان عدد قتلى الحروب قبل الثورة الصناعية يُعدّ ـ غالباً ـ ب

بقي الكلام فيما هو الوجه لمجيء هذه القوة بعد تجهيز الأنبياء بالبيّنات والكتاب والميزان.

يحتمل أن يكون المراد أنّ منطق الأنبياء هو قوة المنطق، فهم ببياناتهم الناصعة وأدلّتهم القاطعة يقومون بهداية الناس بطرق ثلاثة، ذكر

الظالمون، وأمّا من أقفل الله قلبه، فلا يُقيمه إلاّ منطق القوّة كما ورد عنهم(عليهم السلام).

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): «الخير كلّه في السيف، وتحت ظل السيف، ولا يقيم الناس إلاّ السيف، والسيوف مقاليد الجنة والنا

وبذلك يعلم أن تشريع الحدود في الفقه الإسلامي من مظاهر إنزال الحديد، فالقادة الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر مجهّزون بالمنط

قال سبحانه: (وَلِيَعْلَمَ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ) والعلم بمعنى الاظهار أي ليُظهر الله تعالى من ينصره بالغيب، وهو عطف على قوله

السلام).

قلنا: قوله: (وَلِيَعْلَمَ) بمعنى ليظهر، نظير قوله سبحانه: (وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخذَ مِنْكُمْ شُهَداء وَاللهُ لا يُحِبُّ الظالِمِينَ).(آل عمران:١٤٠

قوله تعالى:(مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ) أي بدافع ذاتي داخلي بعيد عن الإكراه والجبر، (إنّ اللّهَ قَويٌّ عَزِيزٌ) وهما من أسمائه سبحانه، ولعلّ

ثم إنّ بعض الجدُد ربّما يطرح سؤالاً وهو: إنّ الله سبحانه قادر على الإطلاق، فلماذا لم يخلق الإنسان على نمط خاص حتى يسلك الطريق

وإلاّفلو خلق على نمط واحد بحيث لا يقدر إلاّ على سلوك طريق واحد فلا يُعدّ هذا امتيازاً للإنسان.

ثم إنّه سبحانه جعل الإنسان ذا إرادة واختيار فيما يريد وما يفعل قال سبحانه: (إنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إمَّا شَاكِرًا وَ إمَّا كَفُورًا)(الإنسان: ٣.)، ف

٢٦. (وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً وَإبراهِيمَ وَجَعَلْنا في ذُرِّيَّتِهِما النُّبُوَّةَ وَالكِتابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَد وَكَثيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ):

لمّا ذكر سبحانه في الآية المتقدّمة إرسال رسله بالبيّنات وإنزال الكتب والميزان معهم، أشار إلى نبيّين كبيرين تفرّعت منهما كلّ النبوّات الم

وعلى كلّ تقدير فقد أدى هؤلاء رسالاتهم، ولكن أقوامهم كانوا على قسمين، فمنهم المهتدي إلى طريق الحقّ واتّباعه، ومنهم الفاسق الخارج

٢٧. (ثُمَّ قَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِرُسُلِنا وَقَفَّيْنا بِعِيسى ابْن مَريَمَ وَآتَيْناهُ الإنجيلَ وَجَعَلْنا في قُلُوبِ الّذينَ اتَّبعُوهُ رَأْفَةً ورَحْمَةً ورهبانيةً ابْتَدَعُوها ما

ابتدأ سبحانه بكلمة : (ثُمَّ)مشعراً بوجود التراخي بين نوح وإبراهيم ومن جاء بعدهم. فقوله (عَلى آثارِهِمْ) يدلّ على وحدة الرُّسل في أهدافه

قال سبحانه: (وَقَفَّينا بِعيسى ابْنِ مَرْيَمَ) بمعنى قفّيناهم بعيسى ابن مريم وبعثناه رسولاً(وآتيناهُ الإنجيلَ) .

ولعلّ في لفظة (قفّينا) دلالة على أنّ طريق الأنبياء طريق واحد، فالكلّ من شيخ الأنبياء نوح(عليه السلام) إلى خاتمهم (صلى الله عليه وآله وس

نعم الطريق الرئيسي واحد، ولكن قد تتفرع من هذا الطريق فروع وشُعب؛ وذلك لأنّ لكلّ بيئة ظروفها الخاصة بها في تطبيق الشريعة،

ثم ذكر سبحانه ما تركه المسيح في تابعيه وقال: (وَجَعَلْنا في قُلُوبِ الّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً). والمراد من (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ)تلامذته وحواريّوه الن

١. قال سبحانه:(إذْ قالَ الْحَوارِيُّونَ يا عِيسى ابنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائدةً مِنَ السَّماءِ قالَ اتَّقُوا اللهَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* ف

٢. وقال سبحانه: (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللهِ كَما قالَ عِيسى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوارِيِّينَ مَنْ أَنْصاري إلَى اللهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ

نعم يحتمل أن يراد من قوله: (اتّبِعُوهُ) أعمّ من الحواريّين، فيشمل جميع الذين ساروا على نهج المسيح، ولم يخرجوا عمّا خطّه(عليه السلام) م

وقد أشار سبحانه سمات دعوة المسيح بقوله: (وَجَعَلْنا في قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً)، وما ذلك إلاّ لأنّ لكلّ نبي ـ حسب البيئة التي ب

مُفْسِدِينَ)(هود: ٨٥.)، لأنّه كان هو الداء الذي ابتلي به قومه، كما أنّ الكليم(عليه السلام)بعث لأجل رفض البطالة والتحلّل في الحياة حيث

وأمّا المسيح (عليه السلام)، فإنّه لمّا اشتدّ بين بني إسرائيل التكالب على الدنيا والتخاصم بين طوائفهم، أخذ يداوي هذا المرض المهلك بالد

وأمّا أتباعه اليوم من النصارى، فإنّ أغلبهم نصارى بالاسم فقط لا بالقلب، فلا تعمّهم الآية، وقد ظهر فيهم تيّار متشدّد متأثّر بالصهيو

قوى الجهاد والمقاومة.

قوله تعالى:(وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إلاّ ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللهِ فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها).

وقبل تفسير هذه الفقرة من الآية، نطرح السؤال التالي: ما هو الداعي الذي جعل بعض أتباع المسيح(عليه السلام)يستحدثون الرهبانية التي يص

والجواب: إنّ الداعي قد تضمّن ذكرَه ما رواه ابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)حيث قال: كنت رديف رسول الله (صلى الله عليه وآله

يبق منهم إلاّ القليل، فقالوا: إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعو إليه، فتعالوا نتفرّق في الأرض، إلى أن يبعث الله النبي الذي و

أتدري ما رهبانية أُمّتي؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: الهجرة، والجهاد، والصلاة، والصوم، والحج والعمرة.(مجمع البيان: ٩ / ٤٥١ .)

والرواية تعرب عن أنّ الباعث لابتكارهم الرهبانية هو حفظ دينهم حيث قالوا: (إنْ ظهرنا لهؤلاء أفنونا...)، وهو أمر حسن .

وبعد أن تبيّن لك ذلك فلنعرّج على تفسير هذه الفقرة والتي تشتمل على جمل ثلاث:

١. ورهبانية ابتدعوها.

٢. ما كتبناها عليهم.

٣. إلاّ ابتغاء رضوان الله.

أمّا الفقرة الأُولى فقوله تعالى:(رَهْبانيةً) مفعول منصوب لفعل محذوف يدلّ عليه الفعل المتأخّر (ابْتَدَعُوها) ويكون المعنى: «ابتدعوا ره

واحتمال كونها معطوفة على قوله:(رَأفَةً وَرَحْمَةً) غير تام، وذلك لأنّ اللفظين مفعولان لقوله:(وَجَعَلْنا)، فلو كانت معطوفة عليهما يلزم أن

وأمّا الفقرة الثانية فقوله تعالى: (ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ) هي تفسير للفقرة الأُولى، كما مرّ عليك.

وأمّا الفقرة الثالثة ـ أعني قوله تعالى: (إلاّ ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللهِ) ـ ففي تفسير الاستثناء وجهان:

١. أنّ الاستثناء منقطع، حيث إنّ رضوان الله ليس داخلاً في المستثنى منه، أعني: الضمير في (ما كَتَبْناها)، الراجع إلى الرهبانية، فيكون ال

ولكنّهم لم يلتزموا بشؤون ما ابتدعوه، فإنّ الغاية من الرهبانية هو الإعراض عن اللذائذ وترك ما يشغل الإنسان عن العبادة، ولكنّهم عمل

٢. أنّ الاستثناء في قوله: (إلاّ ابتغاء رضوان الله) منقطع ـ أيضاً ـ ، والمعنى ما فرضنا الرهبانية عليهم لكنّهم ابتدعوها من عند أنفسهم ابتغ

والفرق بين المعنيين واضح مع اشتراك الجميع في كون الاستثناء منقطعاً غير أنّ ابتغاء الرضوان كان مكتوباً من الله عليهم في أعمالهم وأف

ولعلّ المعنى الثاني هو المتبيّن؛ لقوله: (فَمَا رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها) أي ما حافظوا عليها حق محافظتها بتعدِّيهم حدودها. وهذا المعنى هو خيرة ا

أ. قصّروا فيما ألزموه على أنفسهم.

ب. تركوا طاعة الله عند نصب النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، فلم يؤمنوا به وتركوا طاعة الله.(مجمع البيان:٩/٤٠٣.)

وعلى هذا فالرهبانية لم تكن ممّا أمر به السيد المسيح(عليه السلام) إلاّ أنّهم ابتدعوها من بعده مبالغة في الزهد وطاعة الله، ولكنّهم لم يرا

وفي الآية إشارة إلى أنّه ربّما توجد بين الناس سنّة حسنة يعملون بها في بادئ الأمر بنيّة حسنة، لكن سرعان ما يتخلّف الأتباع عن هذ

الأديرة والصوامع عبر التاريخ

جاء في «دائرة معارف القرن العشرين»: الرهبنة ليست أصلاً من أُصول المسيحية الأُولى، ولم تنشأ إلاّ بعد القرن الثالث لمّا ظهر الامبراط

وينقل ـ أيضاً ـ عن دائرة معارف لاروس قولها: واعتبَروا (أي: المسيحيون)الرهبانية حالة من أحوال الكمال الإنساني فرفضوا الزواج والج

ثم رجعت تلك الدائرة فقالت: إنّ الرهبان لم يرعوا الرهبنة حق رعايتها، وإليك ما جاء بالحرف الواحد في ص ٨٩٧ من المجلد الثالث منها:

قالت: في القرن الحادي عشر كان الرهبان الشرقيون الذين آلوا على أنفسهم أن يعيشوا بلا زواج لا يجسرون أن يدخلوا إلى بيوتهم الإناث م

سبحانه:(فَمَا رَعَوها حَقَّ رِعايَتِها).

وسنعود إلى بيان أحوال الأديرة في نهاية الكلام فانتظر.

قال تعالى : (فَآتَيْنا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ).

لمّا تقدّم قوله سبحانه في حق طائفة من النصارى، أعني قوله: (وَجَعَلْنا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً)، وتقدّم أيضاً في طائفة أُخرى قو

بقي الكلام في أمرين:

الأوّل: قوله(صلى الله عليه وآله وسلم): «لا رهبانية في الإسلام».

الثاني: المفاسد السائدة في الكنائس والأديرة التي ذكرها مؤلّف «قصة الحضارة».

وإليك دراسة الأمرين:

أمّا الأول: فقد تضافر عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: «لا رهبانية في الإسلام».

فالشريعة الإلهية مبنية على مقتضى الفطرة، وما تستدعيه خلقة الإنسان الطبيعي فقد أقرّته الشرائع السماوية ووضعت له قواعد حتى يبتن

ولذلك نرى أنّ الإسلام ينهى عن الرهبانية بشكل حاسم.

روى الكليني بسنده عن ابن القداح عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: «جاءت امرأة عثمان بن مظعون إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت

بالرهبانية، ولكن بعثني بالحنفية السمحة، أصوم وأُصلّي وألمس أهلي، فمن أحبّ فطرتي فليستنَّ بسنّتي، ومن سنّتي النكاح».(وسائل الشيعة

وروى الشيخ الطوسي بإسناده عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: «إنّ ثلاث نسوة أتين رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت إحداهن

يأكلون اللحم ولا يشمّون الطيب ولا يأتون النساء، أما إنّي آكل اللحم وأشمّ الطيب وآتي النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي».(وسائ

وروى مِسْمَع عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: «قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): من أحبَّ أن يكون على فطرتي فليستنّ بسنتي

وهذا هو أوّل الأوصياء ـ أعني: أمير المؤمنين عليّاً(عليه السلام)ـ قد دخل دار العلاء بن زياد الحارثي ـ وهو من أصحابه ـ يعوده، فلمّا رأى سع

فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين، أشكو إليك أخي عاصم بن زياد، قال: «وما له؟» قال: لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا، قال: «عليَّ به». فلما جا

قال: يا أمير المؤمنين! هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك!

قال: «ويحك، إنّي لست كأنت، إنّ الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضَعَفَة الناس، كيلا يتبيّغ بالفقير فقره».(نهج البلاغة

وقد حثّ الإسلام على العمل على وجه الإطلاق وعلى التجارة والزراعة وغيرها من أنواع طلب الرزق، قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم

وقال الإمام الكاظم(عليه السلام): «إنّ الله تعالى ليبغض العبد النوّام، إنّ الله تعالى ليبغض العبد الفارغ».(من لا يحضره الفقيه:٣/١٦٩.)

قال رجل لأبي عبد الله(عليه السلام): لأقعدنّ في بيتي ولأُصلينّ ولأصومنّ ولأعبدنّ ربّي عزّ وجلّ، فأمّا رزقي فيأتي.

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): «هو أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم».(. تفسير نور الثقلين:٥/١٣٤. في تفسير قوله: (إنَّ اللهَ هو الرَّزّاقُ ذُو القُوّةِ المَ

وروى الكليني بإسناده إلى علي بن عبدالعزيز، قال: قال أبو عبد الله(عليه السلام): «ما فعل عمر بن مسلم؟» قلت: جعلت فداك أقبل عل

العبادة، وقالوا: قد كُفينا، فبلغ ذلك النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فأرسل إليهم قال:ما حملكم على ما صنعتم؟ فقالوا: يا رسول الله تكفّل لن

أمّا الثاني: فقد تكلّمنا في الرهبانية ونقلنا شيئاً ممّا نقله فريد وجدي في دائرة معارفه، غير أنّ مؤرّخ القرن العشرين ول ديورانت عقد

(وكان سخاء الشعب مصدراً لما كان ينغمس فيه الرهبان أحياناً من ترف. ولنضرب لذلك مثلاً دير القديس ركويه، ولم يكن من أغنى الأ

وكان رؤساء الأديرة أمثال: سوجر... و بطرس المبجّل... و حتى سامسون... كان هؤلاء الرؤساء، سادة أقوياء عظماء أصحاب ثروات مادية ط

وقال ديورانت أيضاً:

(وبعد، فإنّ من السهل على الإنسان أن يجمع من عشرة قرون أمثلة رائعة من الفساد الخلقي المألوف. فقد دخلت بعض الراهبات الأديرة ع

وكتب إيفو أسقف تشارتر يقول: إنّ بعض راهبات دير القداسة فارا يحترفن الدعارة، ويرسم أبلار صورة شبيهة لهذه الصورة لبعض الأدير

ويرسم ريجو أسقف رون صورة طيبة بوجه عام للطوائف الدينية المنتشرة في أسقفيته، ولكنّه يتحدّث عن دير من أديرة النساء فيه ثلاث

وحاول بنيفاس الثامن (١٣٠٠م) أن يرقى بقواعد الآداب التقليدية في الأديرة فأمر بالتشديد في عزلة الراهبات عن العالم، ولكن أمره هذ

الدير الواردة في أقاصيص تشوسر عمل تقوم به لأنّ الكنيسة حرّمت على الراهبات أن يخرجن حتّى للحجّ).(قصة الحضارة:١٦/١٤٨ـ١٤٩.)

إنّ متابعة ما كتبه ذلك المؤرّخ الأمريكي، لا تُبقي في قلب أحد مجالاً للشكّ في صدق قوله سبحانه: (فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعايَتِها) الذي ينطب
نعم لا يمكن إنكار ما قدّمته الراهبات ـ مثلاً ـ من خدمات إنسانية للمجتمع في مجالي التربية والصحّة، وها نحن نذكر شيئاً من ذلك ح
(وكنّ ينسخن المخطوطات ويزيّنّها بالرسوم والحروف الكبيرة الجميلة ويقبلن الأطفال للإقامة في الدير، ويعلّمنهم الأدب، وقانون الصحة

الآيات ٢٨ و ٢٩ (يا أيُّها الّذين آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ آمنوا بِرَسُولِهِ... وَاللّهُ ذُو الفَضْلِ الْعَظِيمِ)

الآيتان: الثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون

(يا أيُّها الّذين آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ آمنوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لِئَلا

المفردات

كفلين: الكِفْل: النصيب والسهم.

لئلاّ: الظاهر أنّ (لا) ليست زائدة كما سيأتي.

التفسير

٢٨. (يا أيُّها الّذين آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ آمنوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ):
إنّ قوله:(يا أيّها الّذين آمَنوا) خطاب للأُمّة الإسلامية جميعاً وأنّه سبحانه يأمرهم بالتقوى والإيمان برسوله ثم يعدهم بأن يعطيهم كفلين م
والجواب: إنّ للإيمان درجات كما أنّ للتقوى درجات، ويمكن بيان ذلك بمثال:
إنّ للصوم الواجب درجات: الدرجة الدنيا له هي إمساك الصائم عن المفطرات المعروفة، وإن لم يمسك عينه ولسانه عن المحرّمات. فهذا الن
وهناك درجة وسطى وهي أن يمسك الصائم عينه وسمعه ولسانه عن المحرّمات، فيكفّ بصره عمّا يُحرّم النظر إليه، ويمسك لسانه عن الك
وهناك درجة عليا وهي أن يمسك حتى عن اللغو في الكلام وعن إعمال الحواس في غير ما ندب الله إليه .
فإذا كان هذا حال الصوم، فالإيمان والتقوى مثله، ولكلٍّ درجات، فلا مانع من أن يخاطب المؤمنين وفي الوقت نفسه يأمرهم بالتقوى والإي
وبذلك يظهر أيضاً معنى قوله سبحانه: (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِي مَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فتكرار الأمر بالتقوى والإيمان دليل على أنّ لهما درجات، وبذلك يُعلم وجه وعدهم بكفلين من رحمته، وذلك لأجل وجهين :
١. لأجل تعدّد مراتب الإيمان .
٢. لأجل إيمانهم بالنبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)أوّلاً، ومن ثمّ الإيمان بمن سبقه من الأنبياء ثانياً، وهذا الوجه هو مقتضى الأثر الوارد
رجلاً: ائذن لنا فنأتي هذا النبي ونسلم به، فقدموا مع جعفر فلمّا رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة استأذنوا رسول الله وقالوا: يا نبيّ الله إنّ ل
عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنّا بِهِ إنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنا إنّا كُنّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ* أُولئِكَ يُؤْتَونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمّا رَ
فلمّا سمع أهل الكتاب ممّن لم يؤمن به، قوله: (أُولئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا)فخروا على المسلمين فقالوا: يا معشر المسلمين أمّا
ويظهر ممّا نقله الكلبي أنّ الذين فخروا على المسلمين كانوا أربعة وعشرين رجلاً قدموا من اليمن على رسول الله وهو بمكّة لم يكونوا يهو
فجعل الله لهم ولمؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه، أجرين اثنين فصاروا يفخرون على أصحاب رسول الله ويقولون: نحن أفض
وعلى كلّ تقدير فسواء أكان المفتخر من وفد الحبشة أو اليمن فالله سبحانه جعل لهم حسب الرواية أجرين: أجر لاعتقادهم بنبوّة نبيّهم، و
فلو قلنا بالوجه الأوّل فالآية تخصّ المؤمنين بالخطاب، قال سبحانه: (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا) ثم يردفه بقوله: (اتَّقُوا اللّهَ) حتى يترتّب عل
امتازوا بالإيمان أوّلاً ثم بالتقوى ثانياً ثم بالإيمان الكامل ثالثاً، يخاطبهم سبحانه بأُمور ثلاثة:
١.(يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ)، الكِفْلَ (على وزن الطّفل) بمعنى النصيب والحظّ.

٢. (وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ)، من غير فرق بين الدنيا والآخرة، فالمؤمن الحقيقي له في الدنيا نور من إيمانه، هو نور البصيرة
وَبِأَيْمانِهِم).(الحديد:١٢.)

٣. (وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

ونظير الآية في تعدّد الإيمان قوله سبحانه: (يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا آمِنوا باللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلى رَسُولِهِ...).(النساء:١٣٦.)

إنّ الخطاب في هذه الآية لو كان متوجّهاً للمسلمين يكون الفعلان ناظرين إمّا إلى الإيمان بعد الإيمان باعتبار اختلاف درجتهما، أو إلى

وبذلك ظهر أنّ تعدّد النصيب إمّا لأجل اختلاف درجات الإيمان ـ مع قطع النظر عن شأن النزول ـ أو لأجل تعدّد الإيمان باعتبار المتعلّ

٢٩. (لِئلاّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتابِ ألاّ يَقْدِرُونَ عَلى شَيْء مِنْ فَضْلِ اللهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ الْعَظِيمِ):

ذكر الله سبحانه أنّ سبب أمره بالإيمان بعد الإيمان ووعده بالكفلين من الرحمة وجعل النور والمغفرة للمؤمنين، هو(لِئَلاّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتا

فعندئذ يقع الكلام في أنّه كيف تكون هذه الآية سبباً للآية المتقدّمة؟

قال الواحدي: هذه آية مشكلة وليس للمفسرين فيها كلام واضح في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها.(تفسير الرازي:٢٩/٢٤٧.)

وعلى ما ذكرنا ـ من شأن النزول ـ فاتّصال الآية بما قبلها واضح، وكأنّ الله سبحانه وتعالى يقول: أمرنا أصحاب النبي بالإيمان بعد الإيمان

وجه الرد: ما تقدّم في الآية المتقدّمة من أنّ لهم أجرين كسائر أهل الكتاب إذا آمنوا بنبيّنا.

وعلى ما ذكرنا فـ «لا» في قوله: (لِئلاّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتابِ) ليست بزائدة، وفعل (يَعْلَم)بمعنى يعتقد، والضمير المتّصل في قوله: (يَقْدِرُونَ) يرج

ومعنى الآية: إنّما أمرناهم بالإيمان بعد الإيمان، ووعدناهم كفلين من الرحمة لئلاّ يعتقد أهل الكتاب أنّ المؤمنين لا يقدرون على شيء من

فظهر أنّ للمؤمنين أيضاً نصيبين، كأهل الكتاب إذا آمنوا بالرسول الخاتم(صلى الله عليه وآله وسلم).

هذا وقد فسّرت الآية بوجه آخر، وبما أنّه غير خال عن التكلّف أعرضنا عن ذكره.(لاحظ: تفسير الرازي:٢٩/٢٤٧؛ التحرير والتنوير :٢٩/٣٨٧ـ ٣٨٨

قال السيد الشريف الرضي: قوله: (وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ)استعارة، أي في ملك الله وقدرته يبسطه إذا شاء ويقبضه إذا شاء على حسب المص

وقد أشرنا في تفسير الآية الرابعة أنّنا قمنا بتحرير رسالة حول امتناع المكان والجهة والرؤية لله سبحانه نأتي بها هنا.

نشرت الجمعية العلمية السعودية لعلوم السنّة مقالاً حول رؤية الله ـ جلّ جلاله ـ يوم القيامة، ونسبتها إلى الصحابة والتابعين وأئمّة الإ
هريرة في الصحيحين.

قبل دراسة الأدلّة نذكر مقدّمة وهي:

إنّ الاعتقاد بالرؤية عقيدة يهودية أصيلة جاءت في العهد القديم وإليك مقتطفات منها:

١. رأيت السيد جالساً على كرسي عال فقلت: ويل لي لأنّ عينيّ قد رأتا الملك رب الجنود.(اشعياء:٦/١ـ٦.)

٢. كنت أرى أنّه وضعت عروش وجلس القديم الأيام، لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقي، وعرشه لهيب نار.(دانيال:٧/٩.)

٣. أمّا أنا فبالبر أنظر وجهك.(مزامير داود:١٧/١٥.)

٤. فقال منوح لامرأته: نموت موتاً لأنّنا قد رأينا الله.(القضاة:١٣/٢٣.)

٥. فغضب الرب على سليمان، لأنّ قلبه مال عن الرب، إلٰه إسرائيل الذي تراءى له مرّتين.(الملوك الأوّل:١١/٩.)

٦. وقد رأيت الرب جالساً على كرسيّه وكلّ جند البحار وقوف لديه.(الملوك الأوّل:٢٢/١٩.)

٧. كان في سنة الثلاثين في الشهر الرابع في الخامس من الشهر وأنا بين المسبيين. عند نهر خابور، أنّ السماوات انفتحت فرأيت رؤى الله -

هذا نزر يسير ممّا ورد في العهد القديم الذي يركّز على رؤية الله تعالى في الدنيا فضلاً عن الآخرة.

إنّ مَن تدبّر في آيات الذكر الحكيم يقف على أنّه كلّما يذكر الرؤية فإنّما يذكرها بإنكار واستنكار، يقول سبحانه مسلّياً للنبي الأكرم(صلى

ولمّا سأل الكليم ـ بضغط من قومه ـ رؤيته سبحانه وقال: (ربّ أرني أنظر إليك)(الأعراف:١٤٣.) أُجيب بنفي قاطع، قال: (لن تراني) إلى غير

وأي كلام أوضح في بيان العقيدة الإسلامية من قوله سبحانه:(لاَ تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)(الأنعام:١٠٣.)، و

اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ يُطْعِمُ وَ لاَ يُطْعَمُ)(الأنعام:١٤.)، وقال سبحانه:(قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لاَ يُ

ولسنا في هذا المقال بصدد سرد أدلّة المنكرين فإنّها مذكورة في الكتب الكلامية والتفاسير وغيرهما، وإنّما الغاية نقد المقال الذي نشرته الج

كان الرأي السائد تبعاً للذكر الحكيم وكلمات العترة الطاهرة هو تنزيه الله سبحانه عن الرؤية بالإبصار، إلاّ أنّ أوّل من نشر الرؤية بين المح

١. التركيز على التجسيم
قال: إنّ الله تعالى نظر إلى الأرض فقال: إنّي واطئ على بعضك، فاستعلت إليه الجبال وتضعضعت له الصخرة فشكر لها ذلك، فوضع عليها
٢. التركيز على رؤية الله

من كلامه أيضاً:إنّ الله تعالى قسّم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمّد(شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ٣ / ٢٣٧.).

وعلى هذا فلا تعجب من أن تصبح الرؤية عقيدة إسلامية يركّز عليها إمام الحنابلة والأشاعرة حتى المفكّرين منهم تبعاً للصحيحين.

وها نحن ندرس الآيات التي استدلّ بها في المقال المذكور على وجه الإيجاز.

الدليل الأوّل(لصاحب المقال)

قوله تعالى:(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ).(القيامة:٢٢ و ٢٣.)

وقال: وهي من أظهر الأدلّة وأمّا من أبى إلاّ تحريفها بما يسمّيه تأويلاً، فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب أسهل من تأويلها عل

العقيدة الطحاوية: ١٨٩.)

أقول: فقد عزب عن الكاتب أنّ التدبّر في الآية غير التأويل، فقد أمر الله سبحانه بالتدبّر في الآيات وقال: (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُ

وقد شغلت هذه الآية بال الأشاعرة والمعتزلة، فالفرقة الأُولى تصرّ على أنّ النظر بمعنى الرؤية، والثانية تصرّ على أنّها بمعنى الانتظار لا الرؤ

ونحن نقول: إنّ النظر سواء أُريد به المعنى الأوّل أو المعنى الثاني لا يدلّ على الرؤية، وذلك لأنّ المستدلّ لم يذكر مجموع الآيات الأربع التي ك

١. (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ* وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ).

هذه هي الآيات الأربع في سورة القيامة، وبالمقابلة يمكن أن يتيسّر لنا فهم الآية ورفع إبهامها، وليس تفسير الآية بآية أُخرى تأويلاً وإنّ

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) يقابلها قوله:(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ)

(إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) يقابلها قوله:(تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ)

وبما أنّ قوله:(تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) واضح المعنى، يكون قرينة على المراد من مقابلها، أعني قوله:(إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)، فإذا كان المقصود م

وذاته وهويته وإلاّ لخرج المتقابلان عن التقابل في المعنى، وهو خلف.

وأنت ترى أنّ هذا النوع من التفسير استنطاق آية بآية أُخرى، والله سبحانه يصف القرآن بقوله:(تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ)، وحاشا أن يكون تبيا

وإن شئت توضيحاً أكثر فنقول:

يجب أن يكون المتقابلان ـ بحكم التقابل ـ متّحدي المعنى والمفهوم. ولا يكونان مختلفين في شيء سوى النفي والإثبات، فلو كان المراد م

وبما أنّ تلك الجملة ـ أعني: القرين الثاني ـ لا تحمل ذلك المعنى ـ أعني: الحرمان من الرؤية ـ بل صريحة في انتظار العذاب الفاقر، يكون

ثمّ إنّ في الآية دليلاً واضحاً على أنّ المراد من النظر غير الرؤية؛ وذلك لأنّه إذا أُريدت الرؤية نسب النظر إلى العيون لا إلى الوجوه، فالمسند

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذ نَاضِرَةٌ)

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذ بَاسِرَةٌ)

وهذا يدلّ على أنّ النظر حتى بمعنى الرؤية كناية عن الانتظار لرحمة الله سبحانه، وهو دليل على أنّه كُنّي بالنظر إلى الله عن الانتظار لرحمت

والمراد من قوله: (وَ لاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ) هو المعنى المكنّي عنه، أي عدم شمول رحمته لهم.

إلى هنا تبيّن مفهوم الآية وأنّ ما ذكرناه هو مدلولها لكن بشرط التدبّر، ولا صلة له بالتأويل الباطل الذي ورد في النص النبوي: «أنّ مَن ف

ونظير الآية قوله سبحانه في سورة عبس، حيث يحكي أنّ وجوه الناس في يوم القيامة على نحوين، كما يقول: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَة

فإذا أردنا تنزيل تلك الآيات الأربع على ما ورد في سورة القيامة تكون بالشكل التالي:

سورة القيامة	سورة عبس
١. (وُجوهٌ يومَئِذ ناضِرَة)	١. (وُجوهٌ يومئذ مُسفِرَةٌ).
٢. (إلى رَبِّها ناظرة)	٢.(ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ).
٣. (وجوهٌ يَومَئِذ باسرة)	٣.(وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ).
٤. (تظنُّ أن يفعل بها فاقرة)	٤. (تَرْهَقُها قترة).

فبما أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً فعليك رفع الإبهام عن قوله: (إلى ربّها ناظرة) بما ورد في سورة عبس، فقد جاء فيها ما يقابله قوله تعا

وعلى هذا فإنّ أصحاب الوجوه الناضرة والوجوه المسفرة نصيبها شمول الرحمة لهم، ولذلك نراها ضاحكة مستبشرة تنتظر رحمة الله عزّ وجلّ

الدليل الثاني(لصاحب المقال)

قد طمع موسى في رؤية الله فأخبره ربه أنّه لن يراه في الدنيا ولا يستطيع، قال تعالى:(وَ لَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظ

فلو كانت الرؤية أمراً مستحيلاً لما يخفى على موسى أنّه مستحيل.

يلاحظ عليه: أنّ المستدلّ أخذ بآية واحدة، وترك التدبّر في سائر الآيات الواردة حول الموضوع، وتصوّر أنّ الكليم ابتدأ بالسؤال وأُجيب با

ولكن الحقيقة غير ذلك وإليك بيانها: إنّ الكليم لمّا أخبر قومه بأنّ الله كلّمه وقرّبه وناجاه، قالوا لن نؤمن بك حتى نسمع كلامه كما سم

وإلى هذه الواقعة تشير الآيات التالية:

١. (وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ).(البقرة:٥٥.)

٢. (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِم

٣. (وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ م

إلى هذه اللحظة الحسّاسة لم يحم الكليم حول الرؤية ولم ينبس بها ببنت شفة ولم يطلب شيئاً، بل طلب منه سبحانه أن يجيبهم حتى يدف

أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ).

فلو كان هناك سؤال من موسى فإنّما كان بعد هذه المرحلة وبعد إصابة الصاعقة للسائلين وعودهم إلى الحياة بدعاء موسى.

وعند ذلك يطرح السؤال الآتي:

هل يصحّ أن ينسب إلى الكليم ـ بعد ما رأى بأُمّ عينيه ما أصاب القوم من الصاعقة والدمار، إثر سؤالهم ـ الرؤية وأنّه قام بالسؤال لنفسه با
لا شكّ أنّ الأوّل بعيد جداً لا تصحّ نسبته إلى مَن يملك شيئاً من العقل والفكر، فضلاً عن نبي عظيم مثل الكليم، كيف وقد رأى جزاء مَ
وفي نفس الآية قرائن تدلّ على أنّ السؤال في المرّة الثانية كان بإصرار القوم وإلحاحهم وكفى في القرينة، قوله:(أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّ
خاطبه بقوله:(لَنْ تَرَانِي وَ لَـكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي).

ونحن نعيد السؤال على المستدلّ بأنّ المسلمين اتّفقوا على امتناع رؤية الله في الدنيا أو عدم جواز طلبها، فحينئذ فهل كان موسى جاهلاً به

الدليل الثالث (لصاحب المقال)

قوله تعالى في الكفّار:(كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ)(المطففين:١٥ـ١٦).
فلو كان الحجب عامّاً للكافر والمؤمن لما كان وجه لتخصيص الكفّار به.
يلاحظ عليه: أنّ الاستدلال مبني على أنّ المراد من الحجب هو الحرمان عن رؤية الله سبحانه، مع أنّ المناسب لظاهر الآية كونهم محجوبي
وإليك الآية مع ما قبلها وما بعدها:
(إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَ
فإنّ لحن الآية يكشف عن غضب الله عليهم من أجل وصف الآيات بأنّها من أساطير الأوّلين، وعندئذ استوجبوا أمرين:(كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ
يطلبون الدليل لها من الذكر الحكيم، وهذا هو نفس تفسير القرآن بالرأي.

الدليل الرابع(لصاحب المقال)

قوله تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَ زِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَ لاَ ذِلَّةٌ أُولَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(يونس:٢٦).
ثم قال: المراد من الزيادة التي وُعِد بها المؤمنون، هو النظر إلى وجهه الكريم.
يلاحظ عليه: بأي دليل جعل متعلّق الزيادة هو الرؤية؟ إذ لا دليل على حمل اللام على العهد بل المراد الجنس، ومعنى الآية إنّ الذين أحسن
مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).(يونس:٢٧).
وفي آية أُخرى: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا).(الأنعام:١٦٠).
هذه هي الآيات التي استدلّ بها الكاتب تبعاً للرازي وغيره على رؤية الله تعالى يوم القيامة.

ثمّ إنّ الكاتب قال: تواترت الروايات حول الرؤية، وذكر منها رواية أبي هريرة، قال: وفي الصحيحين عن أبي هريرة: أنّ الناس قالوا: يا رسول
أقول: إنّ هذا الحديث مهما كثرت رواته وتعدّدت نقلته، لا يصحّ الركون إليه في منطق الشرع والعقل، وذلك لأنّه:
١. إنّه خبر واحد لا يفيد علماً في باب الأُصول والعقائد، وإن كان حجّة في الفروع والأحكام، لأنّ المطلوب في العقائد هو الإذعان ورفع الر
٢. إنّ هذا الحديث رواه مسلم أيضاً في صحيحه عن أبي سعيد الخدري وجاء في ذيله هذه الفقرات:
«... حتى إذا لم يبق إلاّ مَن كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال: فما ت
آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى مَن كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلاّ أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كا
أقول: ماذا يريد الراوي بقوله: «آتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من الّتي رأوه فيها... فيقول: أنا ربّكم»؟ فهل كان لله سبح
وماذا يريد الراوي بقوله:«نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه»؟! فإنّ معناه أنّ المؤمنين والمنافقين يعرفون

إنّ القائل بالرؤية تمسّك بآيات زعم دلالتها على إمكان الرؤية ووقوعها يوم القيامة، ولكنّه غض النظر عن الآيات الكثيرة التي تصف الر

ونحن مهما تجردنا عن كل شيء لا يمكن أن نتجرد عن القول بأنّ الرؤية رهن المقابلة والجهة والمكان، فهي عبارة عن وجود الرابطة بين

فعلى ذلك فالرؤية سواء أكانت في الدنيا أو الآخرة رهن تواجد المرئي في جهة ومكان، وهذا يضاد صريح القرآن الكريم الذي يقول: (وَهُوَ مَ

ويقول عزّ وجلّ: (ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثلاثة إلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَ لاَ خَمْسَة إلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَ لاَ أَدْنى مِنْ ذَلِكَ وَ لاَ أَكْثَرَ إلاّ هُوَ مَعَهُمْ أيْنَ ما كانُ

ولمّا رأى القائلون بالرؤية أنّ الآيات تكذبها صاروا إلى تأويلها بأنّ المراد: علمه سبحانه بالأشياء في كلّ مكان، لا ذاته، وهو تأويل باطل

نظرية تافهة

التقيت في ماضي السنوات في دمشق مع بعض شيوخ الأشاعرة الذين كانوا يصرون على إمكان الرؤية، فلما ألزمتهم بأنّ الرؤية رهن تصوير

والمثلث في الآخرة غيرهما في الدنيا، أو إنّ نتيجة (٢×٢) تصير في الآخرة خمسة، بحجّة أنّ كلّ شيء في الآخرة غيره في الدنيا، وإنّما المراد من

ونظير ذلك حينما قابلني شاب مثقف في مؤتمر في تركيا وقد دار الحديث بيني وبينه حول الرؤية، فقلت له: إنّ لي سؤالاً لو أجبت عليه،

قلت له: هل المرئي يوم القيامة وجوده سبحانه كله أو بعضه، فإن قيل بالأوّل يلزم أن يكون سبحانه مُحاطاً والمشاهِد محيطاً، وهو باطل بالض

وإن قيل بالثاني فيلزم أن يكون سبحانه مركب من جزأين أو أجزاء، والتركّب آية الإمكان، لاحتياج الكلّ إلى الجزء، والمحتاج ممكن مخلو

حوار بين الإمام الرضا(عليه السلام) وبعض المحدّثين

وفي نهاية الكلام نذكر الحوار الذي جرى بين الإمام الثامن علي بن موسى الرضا(عليه السلام) وأحد المحدّثين في عصره.

قال أبو قرّة: فإنّا روينا: أنّ الله قسّم الرؤية والكلام بين نبيّين، فقسمّ لموسى(عليه السلام) الكلام ولمحمد(صلى الله عليه وآله)الرؤية.

فقال أبو الحسن(عليه السلام): «فمَن المبلّغ عن الله إلى الثقلين الجن والإنس أنّه لا تدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شي

قال أبو الحسن(عليه السلام):«فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند الله، وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله، ويقول:

فقال أبو قرّة: إنّه يقول: (ولقد رآهُ نزلة أُخرى).(النجم:١٣)

فقال أبو الحسن(عليه السلام): «إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأى حيث قال (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)(النجم:١١)، يقول: ما كذب فؤا

قرة: فتكذّب الرواية؟

فقال أبو الحسن(عليه السلام): «إذا كانت الرواية مخالفة للقرآن كذبتها، وما أجمع المسلمون عليه إنّه لا يحاط به علماً ولا تدركه الأبصار،

وكلمتي الأخيرة هي بذل النصح لهؤلاء الذين يعيشون في إطار محدود وبيئة ضيقة أن يقرأوا ويدرسوا كتب الشيعة الإمامية عن كثب، وأخ